الأمة

Al Ummah

اسلامية . شهرية . جامعة

العدد الثالث والثلاثون - السنة الثالثة

رمضان ١٤٠٣هـ - حزيران (يونيه) ١٩٨٣م

قراءات :
الأدب في مواجهة المادية

جيل النصر المنشود

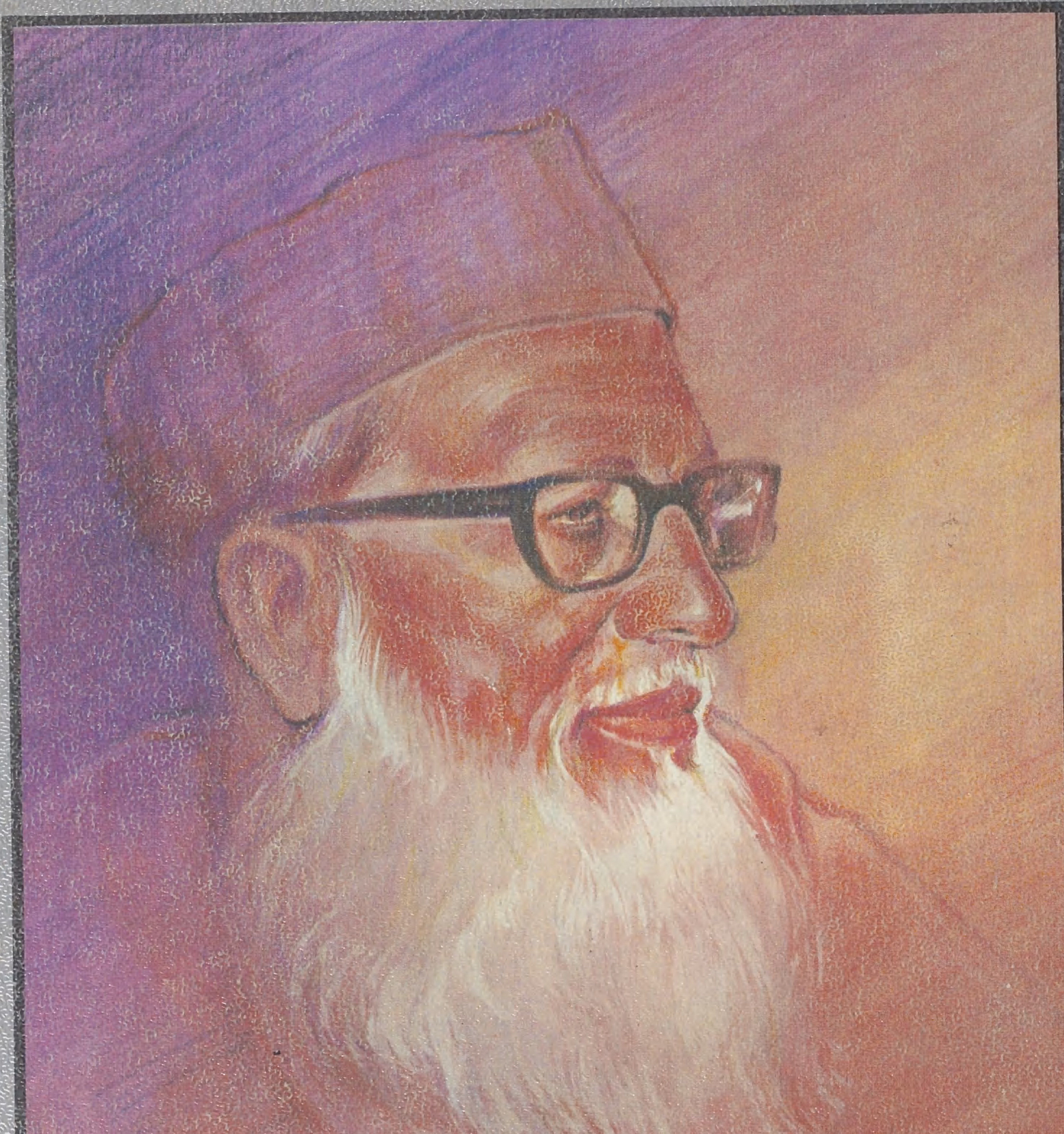

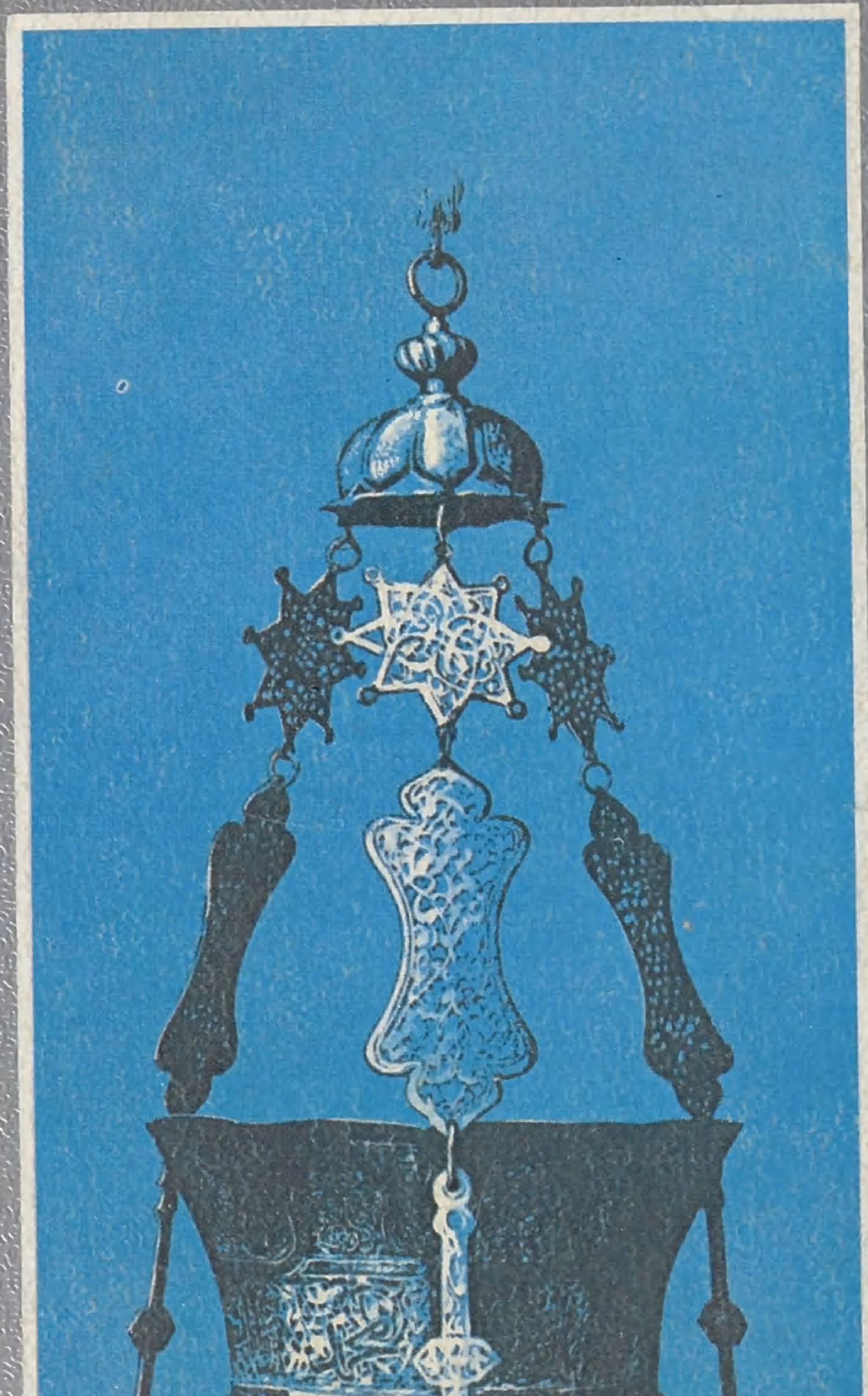

الشيخ ابو الحسن الندوي

في حوار حول:

مشكلات العمل الإسلامي

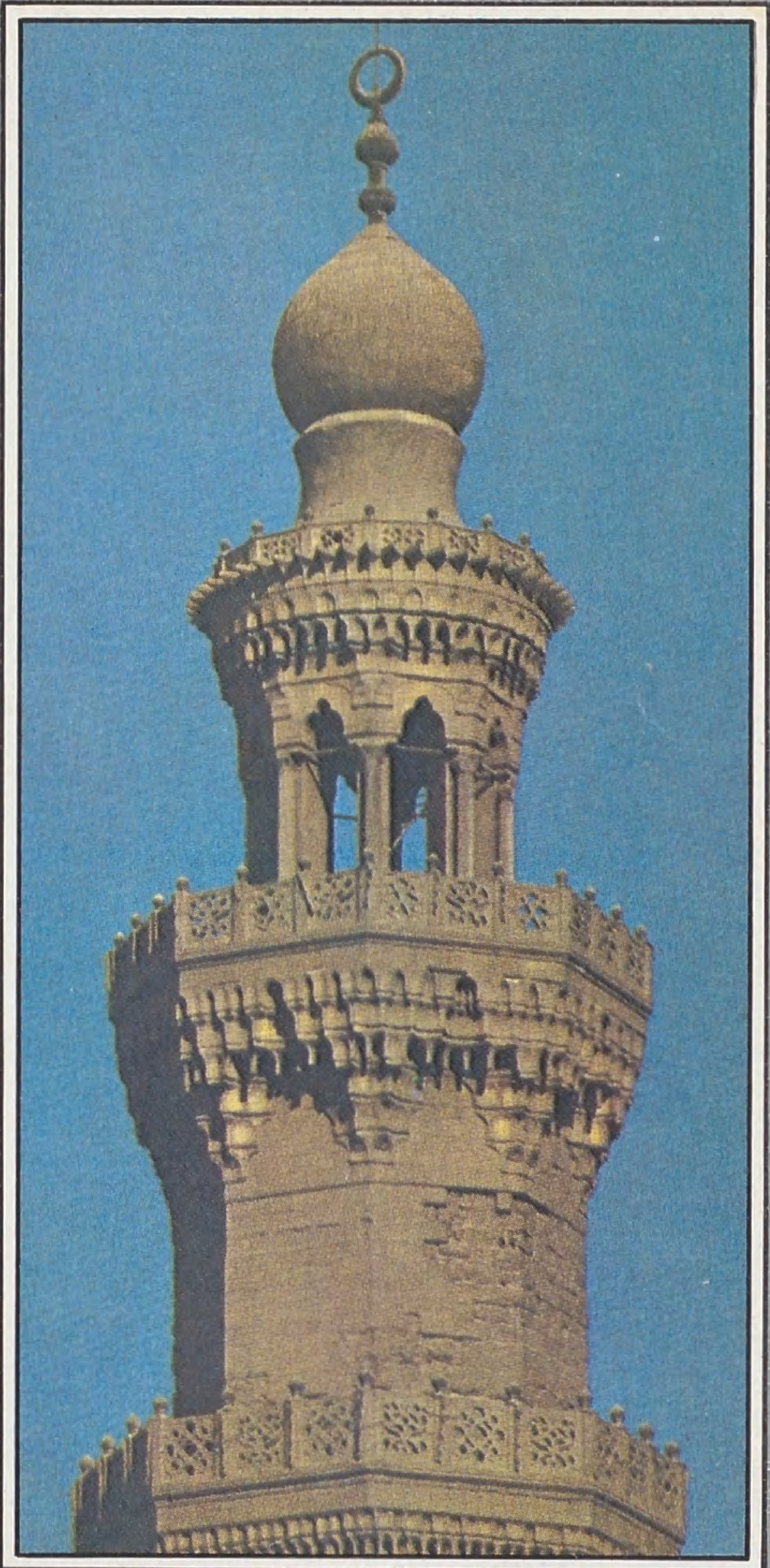

■ مئذنة من العصر المملوكي
مدرسة السلطان حسن ـ القاهرة ■

■ منارة سرابان ...
القرن ١٤م ـ أصفهان ـ ■

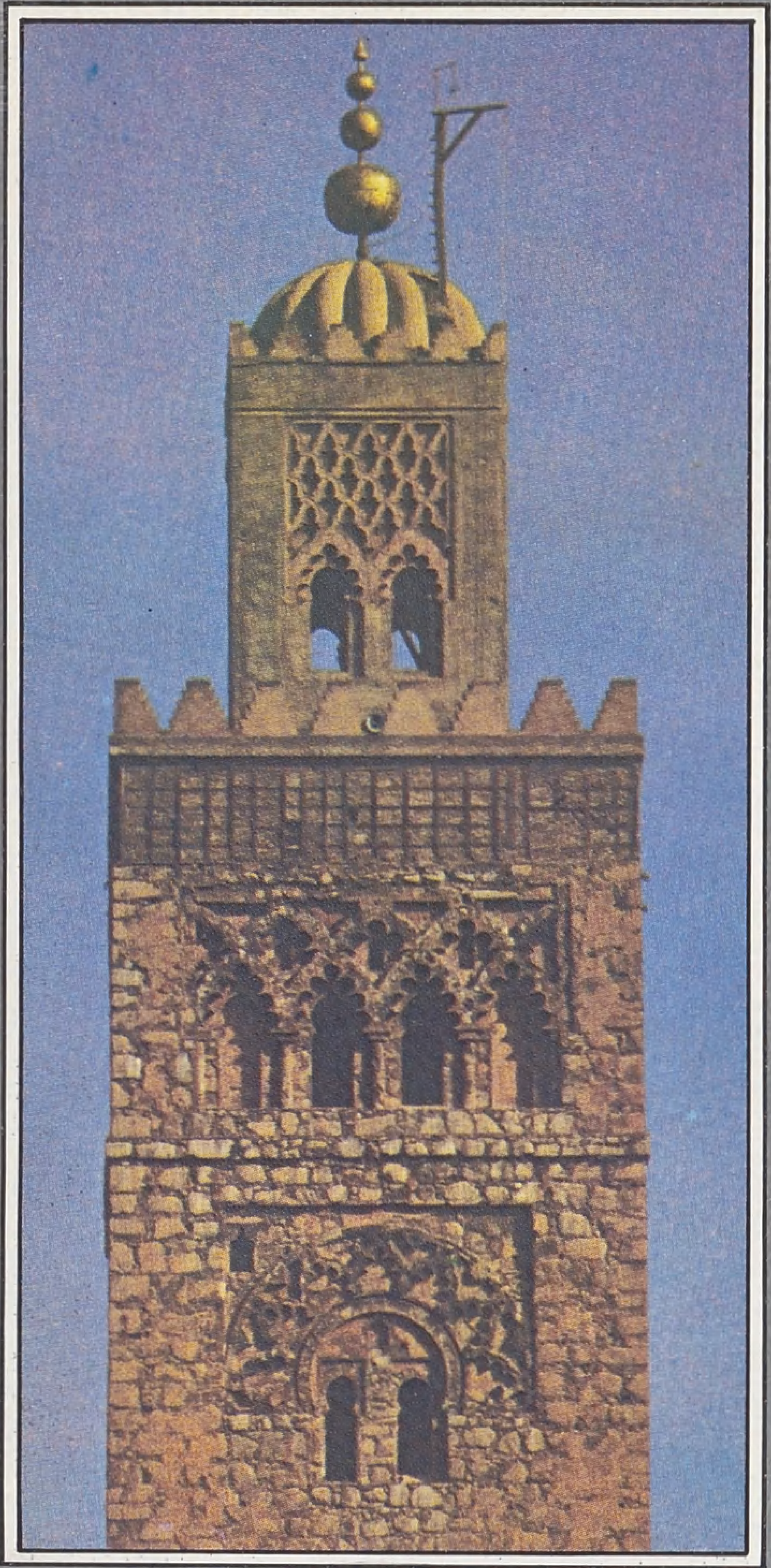

■ منارة مسجد قايتباي ....
القرن ١٢م ـ مراكش . المغرب ـ ■

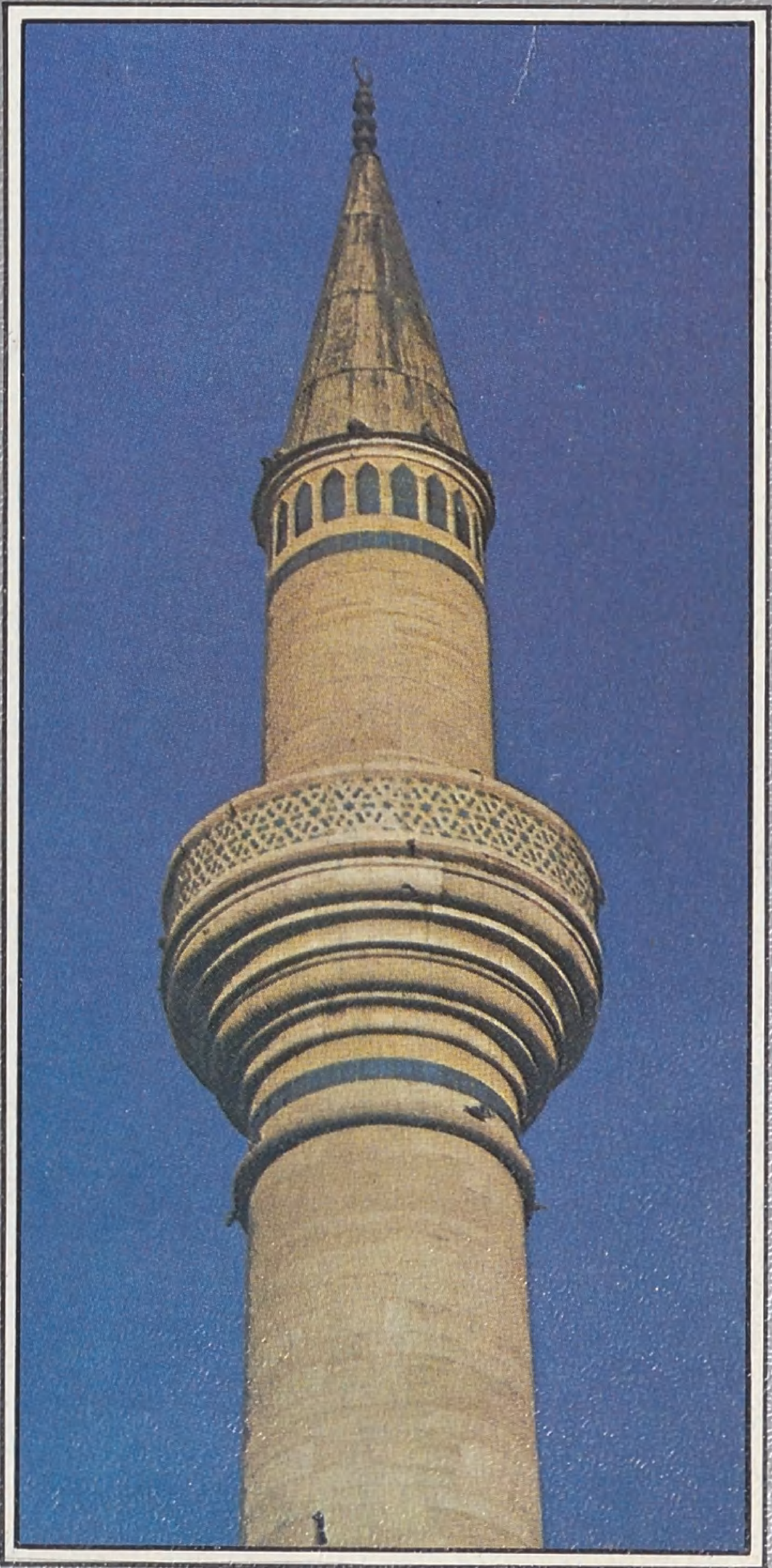

■ منارة عثمانية ...
القرن ١٦م ـ قونية . تركيا ـ ■

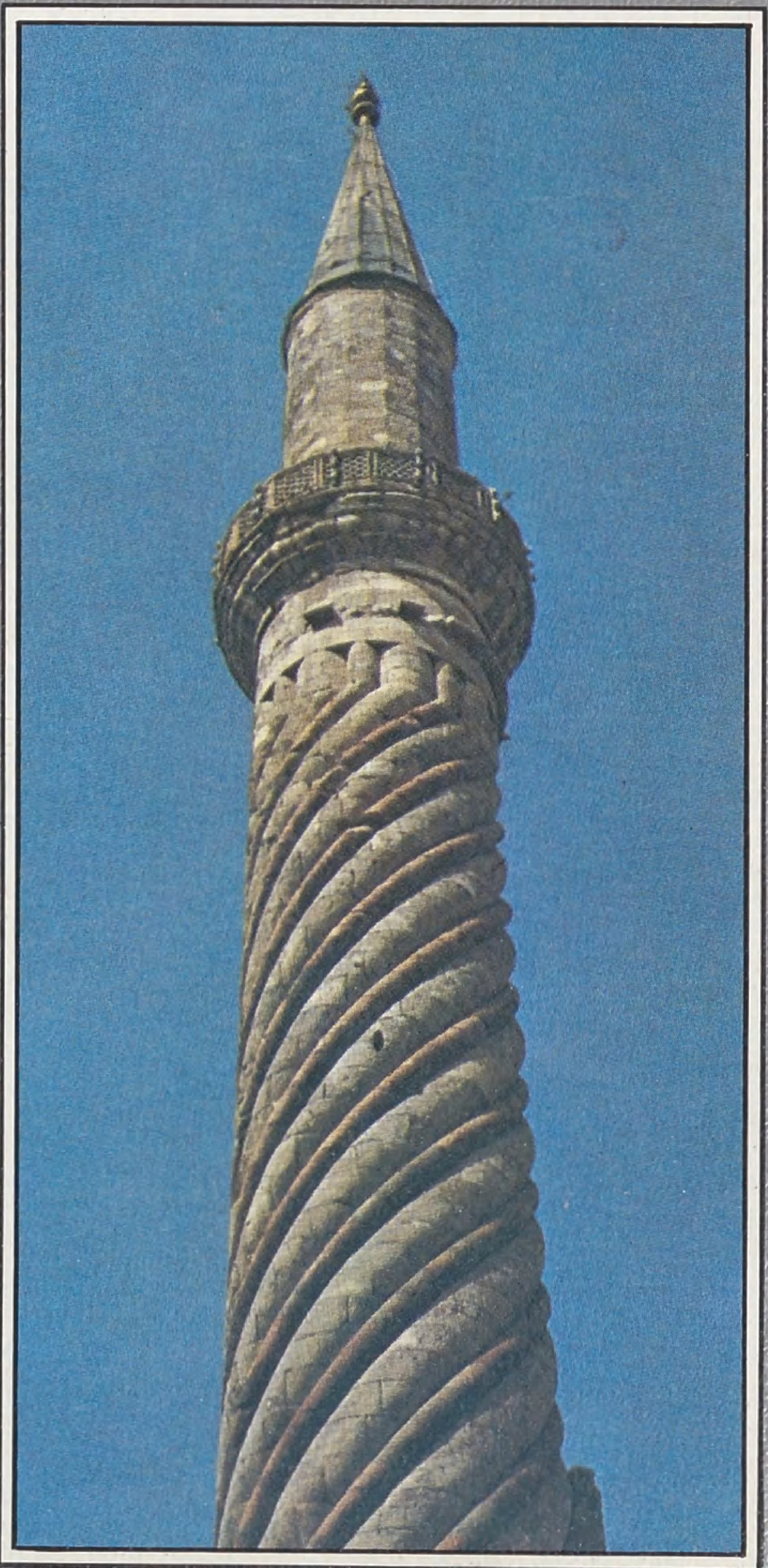

■ منارة حلزونية ...
القرن ١٥م ـ أدرنة . تركيا ـ ■

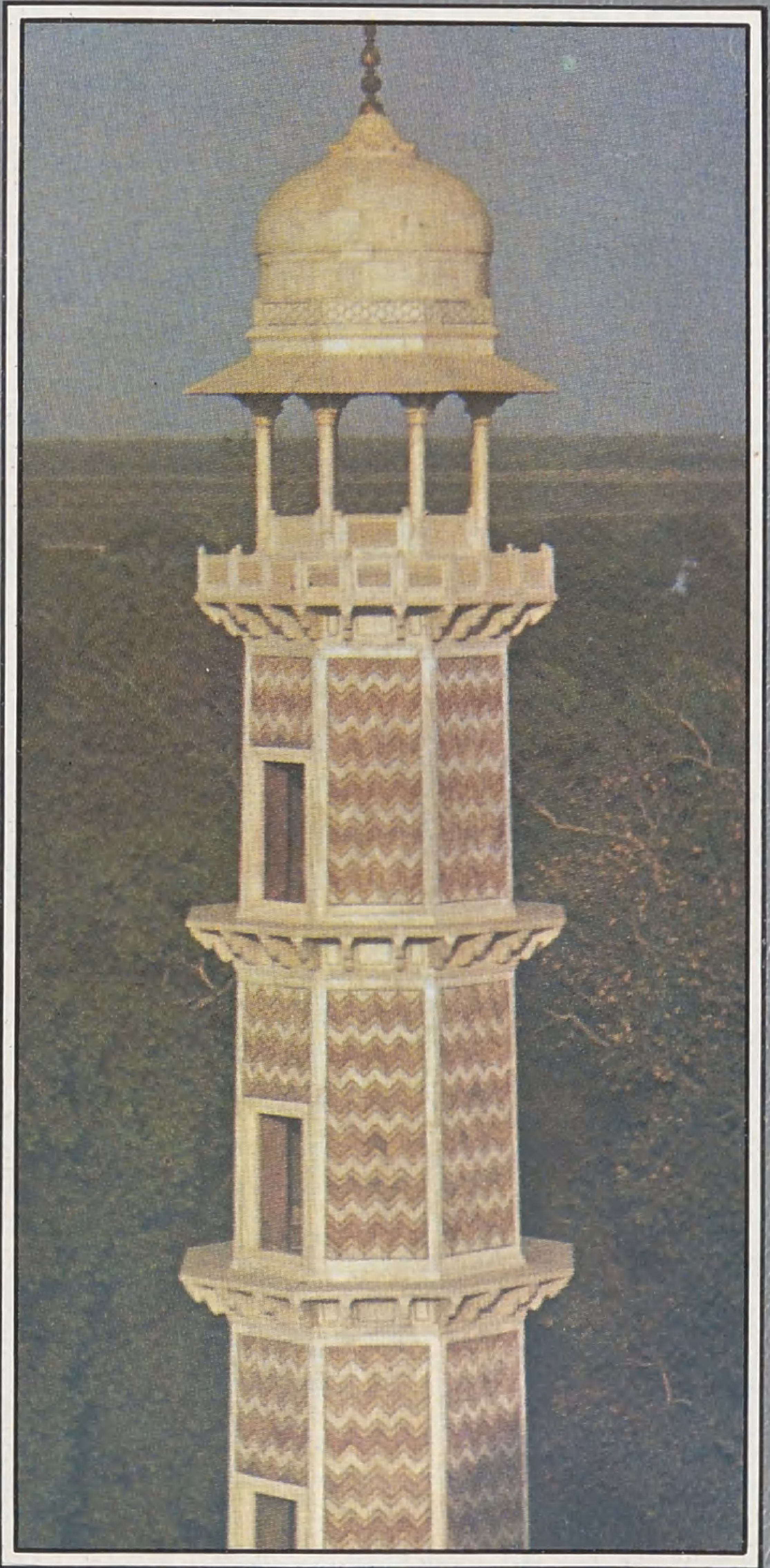

■ القرن ١٧م ـ
لاهور . باكستان ـ ■

1266 59 402

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمة
Al Ummah
اسلامية . شهرية . جامعة
تصدر في غرة كل شهر عربي عن
رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية
في دولة قطر
Al Ummah
An Islamic Monthly
on the inception of every Hijri month
Published by:
"Presidency of Sharia Courts & Islamic Affairs"
State of Qatar
RAMADAN 1403 A.H.
JUNE 1983 A.D.

المشرف العام
عبد الرحمن بن عبد الله آل محمود
President
Abdulrahman Abdulla Al Mahmoud

رئيس التحرير
يوسف عبد الرحمن المظفر
Chief Editor
Yousuf Abdulrahman Al Muzaffar

مدير التحرير
عمر عبيد حسنه
Editorial Director
Umar Ubaid Hasna

من المحرر

صدور كتاب "الأمة" الرابع

«إعادة تشكيل العقل المسلم»

■■ كنا طرحنا في تقديمنا لكتاب الأمة الأول « مشكلات في طريق الحياة الإسلامية » لفضيلة الشيخ محمد الغزالي ، أن غايتنا من إصدار سلسلة كتاب الأمة .. المساهمة في تحقيق الوعي الثقافي الإسلامي ، وإعادة ترتيب العقل المسلم ، وبناء عالم الأفكار والدعوة إلى وضع ملامح تخطيط ثقافي إسلامي (استراتيجية ثقافية) يعيد بناء التصاميم الذهنية ، ويوفر الطاقات ويضعها في المجال المجدي لتنتهي بذلك صور الرسم بالفراغ التي ورثناها عن مراحل التخلف ، وساهم في تكريسها الغزو الثقافي الذي لا نزال نعاني من آثاره على أكثر المستويات ، بالرغم من الدعاوى الكثيرة التي تريد أن تثبت عكس ذلك . وقد استجاب الأخ الدكتور عماد الدين خليل مشكوراً للكتابة في صميم القضية ، وكان كتابه الرابع في هذه السلسلة والذي سوف يكون في الأسواق مع هذا العدد إن شاء الله .

ولا شك أن القبول لما صدر حتى الآن من الكتب وطلبات الاستزادة التي لا تخص منطقة دون أخرى في العالم الإسلامي يعتبر إلى حدٍ بعيد المؤشر الصحيح على أن كتب « الأمة » أخذت بُعدها ومكانتها وبدأت تؤدي دورها الذي أُرِيدَ لها من ثقافة المسلم . وهذا دون ريب يزيد من عظم المسؤولية ، ويجعل الإمكانات المادية المتوفرة الآن دون سوية الأهداف والأمنيات ، الأمر الذي وضعنا أمام الخيار الصعب ، ذلك أن المضي في الطريق السابق وبالشروط نفسها يكاد يكون مستحيلاً بالنسبة للظروف المادية الطارئة فكان لابد من الدراسة للموضوع والموازنة بين جوانبه المختلفة ، التي انتهينا معها إلى الخيار الصعب ، وهو الاستمرار في إصدار السلسلة مع رفع سعر الكتاب ومغالبة الظروف المادية ، وكان هذا رأي كثير من القراء الذي يعكس رغبتهم في الحصول على الكتاب مهما كان الثمن ، وسوف تتولى الرئاسة المساهمة بالتكلفة في الحدود التي تستطيع .

لذلك نعتذر مرة أخرى إلى الإخوة القراء وندعو الله أن يزيل الغمة ويذلل العقبات لنكون عند حسن ظن القارىء المسلم وحاجته الثقافية .

وبالمناسبة نحب أن نحمل لقرائنا بشرى إعادة طباعة كتابي الأمة الأول والثاني طبعة ثالثة بالسعر نفسه ، وسوف يجد الأخ القارىء - الذي لم يستطع الحصول عليهما - هذين الكتابين في الأسواق مع هذا العدد من « الأمــة » أو بعده بقليل .. أما كتاب الأمة الرابع فسوف يكون بسعر آخر . ولله الأمر من قبل ومن بعد .. ■■

طبعت بمطابع الدوحة الحديثة - قطر

في هذا العدد

● كلمــــة الأمــــة ٤

● جيـل النصر المنشود .... الدكتور يوسف القرضاوي ٨

● (من القصص الإسلامي
في القــرآن الكـريم) .... محمد مصطفى البسيوني ١٢

● المثاليــة الإسلاميــة
في شعر محمد إقبــال .... احمد فؤاد عبد الرحمن ١٤

● فضـل رمضـــان
وعطايــا الرحمــن .... سعد عوض المر ١٧

● البشــرية والدين .... الدكتور محمود بن الشريف ٢١

● (قـــراءات ...)
الأدب في مواجهة المادية .... الدكتور عماد الدين خليل ٢٤

● المفاهيم العلمية للآيات الكونية .... الدكتور كارم السيد غنيم ٣٠

● أمــة الحــق (شعــر) .... أحمد بشار بركات ٣٥

● الشيخ أبو الحسن الندوي في حــوار حول
مشـكلات العمل الإسـلامي .... عمر عبيد حسنة ٣٦

● نبـا فأثم ودنـا فسلم .... فؤاد الحريري ٥٠

● بطاقـــة من قـــارىء ٥٢

● فن البنــاء وتخطيط المساجد
عنـد المســلمين .... الدكتور عمر عبدالسلام التدمري ٥٣

صــورة الغـلاف

أبو الحســـن النــدوي

■■ احد شيوخ الدعوة الإسلامية وعلماء المسلمين في العصر الحاضر .. ليس على مستوى الهند ، وإنما على مستوى العالم الإسلامي ..

له من مكتبة كل مسلم وثقافته نصيب بما ساهم به من كتب ودراسات ومحاضرات ومؤتمرات

مشكلات المسلمين هاجسه الدائم وشغله الشاغل ..

يرى ان حسبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي التي حفظت لهذا الدين نقاءه وسلامته ، لذلك لابد من استمرار المواجهة للتحديات الداخلية والخارجية للحيلولة دون تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين ، وانه لابد من النصح في المجال الإسلامي ، واي عمل للإسلام لا يقبل النصح والنقد عمل لا يوثق به .

ابرز صفات الداعية في نظره : العلم الصحيح والحكمة في معالجة الأمور والتجرد عن المصالح الشخصية .

من هنا يكتسب الحوار معه اهمية خاصة .... (ص:٣٦) ■■

□ الغلاف بريشة : الفنان عصام عزوز □

التحرير والإدارة

Editorial Offices & Administration

Tel.: (PABX) 417510	DOHA	هـاتـف : (بدالة)	٤١٧٥١٠
Chief Editor	410022	رئيس التحرير :	٤١٠٠٢٢
Editorial Director	415830	مدير التحرير :	٤١٥٨٣٠
Editing Staff	432887	القسم الفني	٤٣٢٨٨٧
Editor Staff	411300	هيئة التحرير :	٤١١٣٠٠
Telex:	4999 Al Ummah DH	تـلكس :	٤٩٩٩ الأمة د هـ
Cables:	Al Ummah DOHA	برقيـا :	الأمـة الدوحـة
Mailing Address: P O Box 893 DOHA QATAR		ص ب	٨٩٣ لدوحه قطر

ثمن النسخة

قطر	٣ ريالات	لبنان	١٥٠ قرشاً
السعودية	٣ ريالات	مصر	١٥٠ مليماً
الامارات	٣ دراهم	ليبيا	٢٠٠ درهم
عمان	٢٠٠ بيسة	السودان	١٥٠ مليماً
البحرين	٢٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
الكويت	٢٠٠ فلس	الجزائر	ديناران
العراق	٢٠٠ فلس	المغرب	درهمان
اليمن الشمالي	١٥٠ فلساً		
الأردن	١٥٠ فلساً		
اليمن الجنوبي	١٥٠ فلساً		
سوريا	١٥٠ قرشاً		

○ في باقي دول آسيا وافريقيا نصف دولار امريكي او ما يعادله

○ في الامريكيتين واوربا واستراليا وباقي دول العالم دولار امريكي او ما يعادله

الاشتراك السنوي — Annual Subscription

للأفراد

○ في قطر ٣٠ ريالاً قطرياً

○ في الدول العربية والآسيوية والافريقية ٣٥ ريالاً قطرياً او ١٠ دولارات امريكية او ما يعادلها

○ في الامريكيتين واوربا واستراليا ١١ دولاراً امريكيا او ما يعادلها

— For countries in: North America, South America, Europe and Australia: US $ 25

— For all other countries: US $ 22

للدوائر الحكومية والشركات والمؤسسات

○ في قطر ٧٥ ريالاً قطرياً

○ في الدول العربية والآسيوية والافريقية ٨٠ ريالاً قطرياً او ٢٢ دولاراً امريكيا

○ في الامريكيتين واوربا واستراليا ٢٥ دولاراً امريكيا او ما يعادلها

■ ترسل الاشتراكات باسم مجلة الأمة ■

المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

● البنوك الإسلامية ... تجربة رائدة لحماية الفقراء
وتحقيق التكافل الاجتماعي .... إسماعيل الكيلاني ٦٠

● الإسلام والتطعيم المعنوي
ضد شدائد الحرب .... اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ ٦٥

● (عالم وكتاب) ..
الزَّجاج وكتابه معاني القرآن وإعرابه .... الدكتور عبدالجليل شلبي ٦٨

● حديقة الأمة ٧٢

● من تاريخ ترجمات معاني القرآن الكريم
باللغات اليابانية والكورية .... الدكتور حسن المعايرجي ٧٤

● الآثار التربوية والنفسية للصيام .... محمد محمد عيسوي الفيومي ٧٦

● مكتبة الأمة ٧٨

● في استقبال رمضان (شعر) .... محمد السيد الداودي ٨٠

● بريد الأمة ٨١

● شؤون المسلمين في العالم ٨٤

● مع الصحافة في العالم ٩٠

● (الأسرة المسلمة) ٩٢

● مسابقة العدد الثالث والثلاثين ،
وحل مسابقة العدد الحادي والثلاثين وأسماء الفائزين ٩٤

● (خواطر وأفكار)
على هامش الصحوة الإسلامية ...
المسلمون وممارسة وسائل النهوض .... عيسى أمين صبري ٩٦

فن البناء وتخطيط المساجد

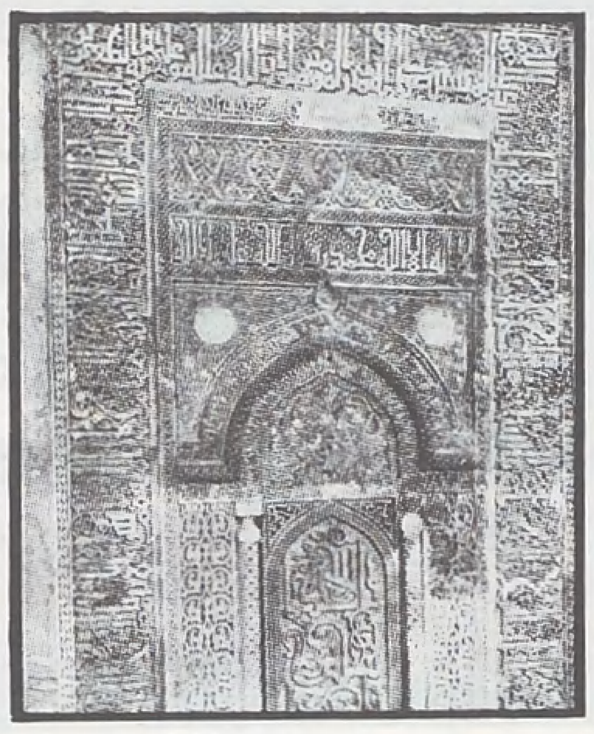

■ ليس غريباً ان تمتاز الفنون الإسلامية بتعدد مصادرها واصولها الفنية ، حيث تفاعلت مع الحضارات السابقة والمعاصرة لظهور الإسلام .. وليس غريباً ايضاً ان تستمد الفنون الإسلامية اصالتها من اتساع افق الاقتباس والاشتقاق فيها ، فقد كان الخيال الفني الإسلامي ينصب على ما اقتبس وما اشتق ، فيهضمه وينفي عنه العناصر التي لا تتوافق مع عقيدة التوحيد ، ويصبغه صبغة جديدة فريدة يجعله متميز الهوية ـ يجعله إسلامياً .... (ص:٥٣) ■

الإسلام والتطعيم المعنوي ضد شدائد الحرب

■ المعروف ان الحرب معاناة قاسية شديدة الوطاة على نفس المقاتل وعقله وبدنه ...

وتتطلب الحرب قدراً كبيراً من الثبات والصبر والتوازن النفسي ، ولقد اثبت التاريخ ان اللحظات الفاصلة بين الهزيمة والنصر تقررها قدرة احد الجانبين على الصمود اكثر من الاخر .

من اجل ذلك تعنى الدول والقيادات العسكرية بتحصين رجالها ضد شدائد الحرب .

فما هو موقف الإسلام من عملية التحصين ضد شدائد الحروب ، وما هو السر في تفوق المنهج الإسلامي على غيره ؟! .... (ص:٦٥) ■

الزجَّاج ومعاني القرآن

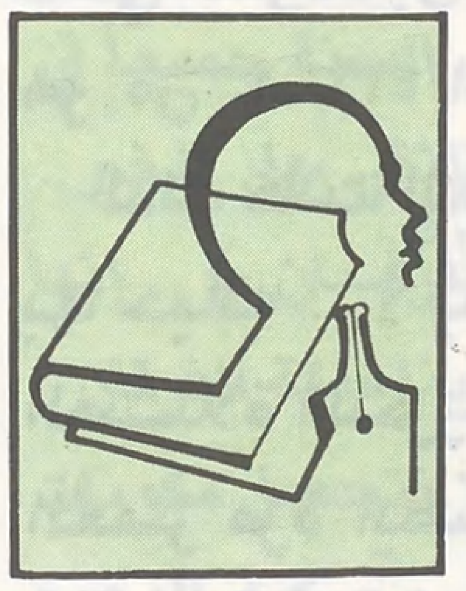

■ يمتاز كتاب « معاني القرآن وإعرابه » للزجَّاج عن اخويه ، مجاز ابي عبيدة ، ومعاني الفراء ببسط تفسيراته اللغوية وإفاضته في بيان اوجه الإعراب وبتعرضه لمسائل اخرى غير لغوية .

للزجَّاج راي في الاشتقاق فهو يرى ان الكلمات التي تشترك في كل الحروف او معظمها لابد ان يكون لها جميعاً معنى اساسي اصيل تدور كل معانيها عليه . وقد طبق هذا المبدأ في تفسيره .... (ص:٦٨) ■

الإخراج الفني مجدي نجيب

وكلاء التوزيع

البلد	اسم الوكيل وعنوانه	
قطر	□ دار الثقافة	ص.ب ٣٢٣ الدوحة
	□ الشركة المتحدة	
الكويت	لتوزيع الصحف والمطبوعات	ص.ب ٦٥٨٨ الكويت
الإمارات	□ شركة اكسفورد للتوزيع	ص.ب ٧١٢٩ ابوظبي
»	□ مكتبة دبي للتوزيع	ص.ب ١٥٢٦ دبي
البحرين	□ دار الهلال	ص.ب ٢٢٤ المنامة
عمان	□ المؤسسة العربية للتوزيع والنشر	ص.ب ١٠١١ مسقط
السعودية	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان	ص.ب ١٤٠٥ الرياض
»	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع	ص.ب ٨٠٧٠ جدة
»	» » »	الظهران
لبنان	□ مؤسسة الجزيرة للخدمات والتوزيع بيروت - لبنان	ص.ب ٧٣٨٥ بيروت
الاردن	□ وكالة التوزيع الاردنية	ص.ب ٣٧٥ عمان
»	□ مكتبة دار الارقم	ص.ب ٩٢٦٢٨٧ عمان
السودان	□ دار التوزيع	ص.ب ٣٥٨ الخرطوم
المغرب	□ سبريس	ص.ب ٨ ـ ٧٠ زنقة سجلماسة الدار البيضاء
اليمن	□ مؤسسة سبا العامة للصحافة والانباء	ص.ب ٨٠٨ صنعاء
مصر	□ شركة توزيع الاخبار	ص.ب ٧ القاهرة
تونس	□ الشركة التونسية للتوزيع	ص.ب ٤٤٠ تونس

Distributing Agents

ماليزيا	MUSLIM YOUTH MOVEMENT OF MALAYSIA,	KUALALUMPUR 2207, MALAYSIA
امريكا	ISLAMIC CENTRE OF PHILADELPHA	325 N BROAD ST., PHILADELPHA, Pa 19107 U. S. A.
»	MUSLIM STUDENTS ASSOCIATION IN — U. S. A. AND CANADA,	P. O. BOX NO. 38, PLAIN FIELD, INDIANA 46168, U. S. A.
انجلترا	THE MUSLIM INFORMATION SERVICE,	233 SEVEN SISTERS ROAD, LONDON N4 ENGLAND
»	M. E. PUBLICATION LTD.	85 BIGHTON ROAD, COULSDON, U. K
فرنسا	HACEN LIBRARY,	131 RUE DE CHARENTON 75012 PARIS, METRO GARE DE LYON, FRANCE.
»	MR. EL ALLAS AWAD,	5 ALLES WATTSAU, 952000 SARCELLES, FRANCE.
اليونان	HELLENIC DIST. AGENCY,	P. O. BOX NO. 315 ATHINA, GREECE
بلجيكا	ASSALAM SPRL.	196 BLD. M., LEMONNIER 1000 BRUSSELS. BELGIUM

كلمة الأمة

رمضان..

□□ وتمر الشهور وتتقلب السنون ، ويظلنا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ليعيد إلينا المعاني الكبيرة ، والكبيرة جداً التي تشكل بمجموعها معالم الحياة الإسلامية ، وقيم الدين ، التي يجب أن لا تغيب عن حياة البشرية ، في رحلتها الطويلة وأحوالها المتبدلة وحاجاتها المتجددة ، ونزوعها النهم إلى الإشباع المادي والجنسي الذي لا حد له ، والذي يقودها إلى الاثرة والطغيان ، ومجتمع الإباحية ..

إن التأكيد على هذه المعاني الخيرة ، التي يحمل دلالاتها شهر القرآن والتدريب عليها شهراً في كل عام ، لا يعتبر من قبيل الإعادة والتكرار ، وإنما يعني فيما يعني التجديد والتعميق والرعاية والتنمية لها والتربية عليها وإزالة الغبش والران الذي يمكن أن يلحق بها ، كما أنه يعني الحماية لها من الغياب عن حياة المسلمين ، والضمان لاستمراريتها ، لأن غياب البعد الإيماني واغتيال الشياطين ، حاصل في حمأة الحياة المادية وسيطرة الشهوة الجنسية .. ذلك أن الأمر الذي استذل البشرية وعبَّد رقابها وتحكم بها تاريخياً هو شهوتا البطن والفرج ، فهل تعني العودة إلى تناول الطعام الذي به قوام الجسم من قبيل التكرار ؟!! فإذا كان هذا بالنسبة لغذاء الجسم فأين هو من غـذاء العقل ورواء الروح ؟!!..

لذلك كانت العودة لتأصيل هذه المعاني ، وتأكيدها وتعميقها لتصبح منهجاً للمسلم يأخذ بها سلوكه وتصطبغ بها حياته .. لا يمكن بحال من الأحوال أن تحكمها قاعدة التكرار وعيوب التكرار ، وتستوي في ذلك العبادات كافة الصلاة المتكررة في اليوم خمس مرات ، والزكـاة ، والصيـام الذي يعاودنا في العام مرة ، والحج المفروض في العمر مرة أيضاً ..

إن العبادات في الإسلام لا تغني فيها الواحدة عن الأخرى حيث لكلٍ وظيفتها وضرورتها في بناء الشخصية الإسلامية ، فهي جميعها غذاء العقيدة والتعبير الإيجابي والعملي عنها .

إن الإنسان مجبول من دوافع الخير ونوازع الشر ، وطريق الخير واحد وطرق الشر كثيرة على رأس كل واحد منها شيطان يغري بها ، ونزوع الإنسـان إلى الشر قائم ودائم فلابد له من ديمومة حراسة ويقظة وتزود بطاقات تضمن ديمومة تغلب دوافع الخير على نوازع الشر .. ولا يتأتى هذا إلا بالعبادات عامة وبصيام رمضـان شهر القرآن خاصـة .

فالرسول المعصوم ﷺ الذي هو محل الأسوة والقدوة كان أجود الناس ومع ذلك كان أجود ما يكون في رمضـان .. إنه الجود الذي يكبر ويزداد ولا يحول دونه أي عائق حتى يصير أجود بالخير من الريح المرسـلة ..

ذلك أن الصيام : هو التربية الحسية المادية على الإحساس بجوع الجائعين ، والشعور بحاجة المحتاجين .. إنه التكافل الاجتماعي الذي يربي عليه الصيام الفرد المسلم ليكون المرآة الصادقة له والنافذة الصحيحة لاستشعاره .. إذ لا يمكن للإنسان المترف أن يحس بصدق وحسن تقدير لحاجة الفقراء كما لا يمكن للإنسان المتخم ، أن يحس بصدق واستجابة لتضوع الجائعين والمحتاجين .

إنها دورة المعاناة المفروضة ومركز التدريب الذي لا يقتصر على الزعيم والقائد والكاتب والمفكر والغني والفقير والطبقة . إنما هي المعاناة التي تنتظم الجميع فتشعر بالتساوي ، وتلغي التمايز ، وتحقق التكافل حيث لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم .. إنه الشعار المرتبط بالشعيرة ؛ شعيرة الصـوم ، ومطابقة القول العمل .

ولعل المعاني هنـا يستدعي بعضها بعضاً ... فعلى الرغم من أن الحس بالحاجة هو الطريق الوحيدة لتقدير حاجات الناس ، واستشعار المسؤولية إلا أن لهذا الحس وجهاً آخر أيضاً ـ على غاية من الدقة والأهمية ـ إنه إشعار للإنسان ببشريته المحتاجة ، ووسيلة لتحقيق العبودية لله وإلغاء نزعة التأله والاستغنـاء التي يعيشها بعض الناس ، بدافع من سلطة ، أو مال أو جاه أو منصب . فتعود إلى الحياة صورة النمرود الذي يظن بأنه يحيي ويميت ، والفرعون الذي يتوهم انه الرب الأعلى ، وقارون الذي يظن أن المال كل شيء في الحياة .. فيكون البغي والظلم ، ويسام الناس الخسف ويرهقون

شهر القرآن

بالذل ويُسْتَخَفُّونَ بالطاعة .. إن الفقر والأيام الشداد قد تكون ضرورة تربوية لحمل الإنسان إلى شكر النعم ، وذلك بوضعها حيث أمر المنعم ، ويحس معها أنه عبد محتاج لخالقه ..

إن رمضـــان يعيد هؤلاء الجانحين إلى صوابهم ويشعرهم بأنهم عبيد محتاجون وبشر ضعاف . فتتوقف نزعة التأله التي عانت منها البشرية ولا تزال ، ذلك أن معظم الشر في العالم كامن في تسلط الإنسان على الإنسان ، وأن هذا التأله أخذ في التاريخ صوراً وأشكالاً متعددة : من تأله الإقطاعي ، ورجل الدين ، والحاكم الديني في العصور الوسطى إلى الطبقة والحزب والزعيم وما سوف تأتي به الأيام وكلما اكتشف الإنسان صورة استبدلها المتألهون بأخرى ، ويبقى التأله هو التأله !!!

ولقد مورس هذا التأله على العبـاد حتى أصبح لازماً عند بعض الأمم حيث زرعت القابلية له وصعب الانفكاك عنه ، فكان شعارهم « اجعل لنا إلـهاً كما أن لهم إلـهاً » أفلا تستحق هذه النزعة التي كانت سبباً في شقاء البشرية ، ديمومة المعالجة وديمومة التحصين ضدها بما شرع الإسلام من عبادات وعلى رأسها عبادة الصوم !!!

أي فضل لهذا الشهــر على أشهر السنة يمكن أن يكون أكبر من نزول القرآن .. إنه ﴿ شَهْرُ رَمَضَـــانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّـاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدىٰ وَالْفُرْقَـانِ ﴾ (البقرة:١٨٥) .إنه الشهر الذي قدر الله له من بين شهور السنة جميعاً أن تتحقق من خلاله صلة السماء بالأرض لتستقيم مسيرة الحياة بعد هذا التيـه والشتات والضلال وتلتقي على الخير .

كان رمضـــان هو الموسم الذي أراد الله فيه أن ينزل ﴿ ... الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّـاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدىٰ وَالْفُرْقَـانِ ﴾ .. إنها البينات التي لا بد من الاستمرار على الصلة بها حتى لا تضل بنا الطريق ولا تزل بنا القدم حتى تتحقق فينا ملكة الفرقان ، وهي أهلية يختص بها المسلم الملتزم دون سواه .. إنها النظر بنور الله والسير على هدي رسول الله ﷺ ، ولا تتحصل مكونات أهلية الفرقان من خلال نظرة فلسفية باردة لتعاليم الإسلام تعوزها حرارة العقيدة واستجابة السلوك وحركية الدعوة والعمل الإسلامي ، كما أن ملكة الفرقان هذه ليست كما يظن بعض الناس ، أنها تعني المزيد من التحفز العاطفي ، والتجديد للتوثب الروحي ، بعيداً عن القدرة على الإبصار ، والإدراك ، والتعرف على مسالك الأمور ، والامكانية الفعلية المخلصة على التمييز والتفريق بين الخير والشر ، بعيداً عن الهوى .. إن الهدى والفرقان هما توفر عنصري الإخلاص والإدراك ، وسوف لا تحل المعـادلة الصعبة التي يعاني منها عالم المسلمين اليوم بتحقيق أحد طرفي المعادلة ، إنها لا تحل بالإخلاص فقط على أهميته وضرورته للخلوص من الهوىٰ والنزوة ، كما أنها لا تحل بالإدراك وحده الفاقد لعنصر الإخلاص الذي يعتبر الموجه الحقيقي إلى الخير والعاصم من الشر ، وبذلك نبقى نتأرجح بين جلد الفاجر وعجز التقي اللذين استعاذ منهما سيدنا عمر رضي الله عنه .. ذلك أنه لابـد لنا من الهدى والفرقان معاً .. ﴿ شَهْرُ رَمَضَـانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّـاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدىٰ وَالْفُرْقَـانِ ﴾ ، ولعل في رواية علي رضي الله عنه لحديث رسول الله ﷺ عن القرآن فيها كل البصائر لما نقول :

روى الترمذي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه في الجنة أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قلت : يا رسول الله وما المخرج ؟ قال : كتـاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه .. من علم علمه سبق ، ومن قال به صـدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أُجر ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم » .

إن توفر عنصري الإخلاص والإدراك سوف يتحققان من تدبر آيات القرآن الكريم والتعرف على السنن التي شرعها لحكم الحياة والأحياء ، ومن الاستجابة كذلك بممارسة الإسلام عقيدة وعملاً وعبادة وسلوكاً .

ولعلّ صوم شهر رمضـــان هو الموسم الذي يربي عنصر الإخلاص ، فـ [كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أُجزي به .. يدع شهوته وطعامه وشرابه لأجلي] .. وتلاوة القرآن وتدبر آياته والتبصر في قوانينه وسنن منهجه ، هو المخرج من ◁

كلمة الأمة

رمضان..

الفتن التي عميت فيها المسالك .. إنها « ... كقطع الليل المظلم ... » يمسي الرجل فيها مؤمناً ويصبح كافراً، ويصبح مؤمناً ويمسي كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل .. فتن تدع الحليم حيران .. إنه شهر القرآن ، شهر نزوله وشهر مدارسته ..

فهل يكون رمضان فرصة للعودة إلى القرآن ، دستور الثقافة الإسلامية ، والسبيل الوحيد للخروج من المأزق ، من قطع الليل المظلم حيث تكثر الرايات العمية في الوقت الذي أصبح معه تمزقنا الثقافي وعنتنا الفكري والسياسي لا يخفى على أحد ، لقد افتقدنا الالتزام بقيمه الثابتة بعد هذه الحيدة وهذا العقوق وهذا الهجر الذي نعيشه ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ... ﴾ (الفرقان : ٣٠) ، وأية أمة من الأمم تمتلك من القيم الثابتة المجمع عليها ما يمتلك المسلمون ؟!!...

إن شهر القرآن ضمانة للاستمرار في الخير وشيوع مناخه وأجوائه والتدريب عليه والالتزام به ، وفرصة للمراجعة والعودة إلى الله .. قال رسول الله ﷺ : « إذا جاء رمضان فُتِّحت أبواب الجنة وغُلِّقت أبواب النار وصُفِّدت الشياطين ... » ولو حاول أي إنسان أن يترصد ذلك في حياة الناس ، وخاصة المسرفين على أنفسهم لوقع على مئات الشواهد والدلالات . إن الكثير من عمليات التحول عن طريق الشر إلى طريق الخير إنما يكون في هذا الشهر الكريم ، ونسمع كثيراً من العهود والوعود التي يقطعها المذنبون على أنفسهم بأن رمضان هذا العام سوف يكون المحطة الأخيرة التي يتوقف عندها الإسراف والتقصير والتفريط في جنب الله .. وكثيرون كثيرون هم الذين يشكل رمضان منعطفاً في حياتهم ، فهم قبل رمضان غيرهم في رمضان وبعد رمضان .. لقد « ... فُتِّحت أبواب الجنة وغُلِّقت أبواب النار وصُفِّدت الشياطين ونادى المنادي يا باغي الخير اقبل ويا باغي الشر أدبر ... » خاصة وأن الله يغفر الذنوب جميعاً .

قال تعالى : ﴿ ... يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ﴾ (الزمر : ٥٣) .

ولسنا الآن بسبيل أن نتكلم عن أثر الخطأ النفسي في سلوك الإنسان ، وعن واقع هذا الإنسان الذي يعيش طريداً لأخطائه محاطاً بها قلقاً من أثرها النفسي . وما للتوبة التي فتح الله أبوابها أمام الإنسان دائماً - وفي رمضان بشكل خاص - من أثر في عملية التجدد النفسي والخلوص من الخطيئة التي تنغص الحياة .. قال رسول الله ﷺ : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » ، فلو أنعم الإنسان النظر في الآثار النفسية للتوبة واطمأن إلى قبولها لانقلب من خاطىء معذب النفس مسدود الطريق يعيش عقدة الخطأ التي تورث السلبية والشعور بعدم الصلاحية والتشاؤم إلى إنسان فاعل إيجابي يملأ نفسه الرضى والاطمئنان والتفاؤل والتجدد .

إن الصيام يمكن أن يعتبر إلى حدٍ بعيد من مراحل التحول والمنعطفات الكبيرة في حياة الأفراد والجماعات .. إنه محطة تغلق عندها أبواب الشر ، وتسد منافذ الشيطان على النفس ، وتفتح أبواب الخير وترسم طرقه وتستبين سبله . فيتابع الإنسان خطاه صوب المستقبل بما يمنحه رمضان من الطاقات الخيِّرة .. لذلك نرى بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى آيات الصيام عقب عليها بقوله :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٦) .. إنه الرشد العقلي والكمال النفسي الذي يحققه الصيام .

إنه شهر اعتكاف .. وليس الاعتكاف إلا عكوف على الذات لمراجعتها وتجديد الجوانب الشائخة والهرمة فيها ، والنظر في التقصير وبناء الذات طبقاً للمنهج الإسلامي ، ووضع اليد على الأخطاء ودراسة أسبابها ومعالجة آثارها في النفس والمجتمع . إنه شهر الاعتكاف والتدبر . قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأخير من رمضان شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله ..

وبعد ...

● فهل يكون شهر رمضان في هذا العام موسماً للعودة إلى الله ، وفرصة لمراجعة الحساب والتقصير في جنب الله على أكثر من صعيد ؟

شهر القرآن

- هل يكون فرصة للظالمين ليعيدوا النظر في سلوكهم ويفكروا في مصيرهم ويعتبروا بغيرهم ، حيث يأتون يوم القيامة شاخصة أبصارهم ترهقهم ذلّة ، مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ، ويدركون أن الله يمهل ولا يهمل فيتداركوا الأمر قبل فوات الأوان ؟ ذلك أن دعوة المظلوم لا ترد وليس بينها وبين الله حجاب ، وأن الله سينتصر للمظلوم ولو بعد حين .. قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : المظلوم والصائم والحاكم العادل » ، فكيف إذا كان مظلوماً صائماً ؟!! فالرجوع إلى الحق والعدل ليس جبناً ولا ذلّة ، وإنما هو بطولة وشرف وكرامة ...
- وفرصة للمسرفين على أنفسهم القانطين من رحمة الله ، المعذبين بالأخطاء والآثام لسماع كلام الله : ﴿... لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ... ﴾ (الزمر:٥٣) بقلوب واعية فيعودوا إلى الجادة ويلتزموا الحياة الإسلامية النظيفة ..
- وفرصة للعاملين في الحقل الإسلامي ليوقفوا التراشق فيما بينهم وليعيدوا النظر بمهمتهم ، ويدركوا أنهم يحملون أشرف دعوة ويعملون لأنبل غاية ، فيوطنوا أنفسهم ، ويعاهدوا الله أن يكونوا بمستوى إسلامهم وعصرهم فيتخلص العمل للإسلام من التمحور حول النفس والطواف حول الذات .. فما عند الله خير وأبقى .
- وفرصة للذين يحاولون توظيف الإسلام لمصالحهم الشخصية ويبيعون أنفسهم وإسلامهم في السوق السياسية الرخيصة ، فينقلبوا إلى أدوات تحرك وليس لها من الأمر شيء ، فيدركوا أن شرعية الوسائل من شرعية الغايات فيعيشون للآخرة .. وأنهم مهما حاولوا تبرير سلوكهم أمام الناس فإن الله مطّلع عليهم ، وسوف يوقفهم ويسألهم ، وأن هذا الدين محفوظ بحفظ الله له ، وسوف ينفي عنه الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد ..
- وفرصة للدعاة إلى الله ، الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر ، ليعيدوا النظر في وسائلهم وطرائقهم ، ذلك أن دعوة الناس إلى الإسلام إنما تكون بالحكمة والموعظة الحسنة ، وليست بالإكراه ، فمن كان آمراً بالمعروف فليكن أمره بمعروف ، وليستمعوا إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران:١٥٩) .
- وفرصة للفرد المسلم ليعيد النظر في موقعه الذي هو فيه الآن .. ما يقدم هذا الموقع للإسلام من فائدة ، ويدرك أن الطاعة في الإسلام مبصرة وأن المسؤولية فردية ، وأن لا يرتكس إلى المفهوم الحزبي الجاهلي فينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً !! بل يلتزم المفهوم الإسلامي بأن ينتصر للمظلوم برد ظلامته ، وينتصر للظالم بالأخذ على يديه .. فالتعاون على البر والتقوى وليس الإثم والعدوان . فتسود المناصحة الصف المسلم ، ويفوز بالنصر في الدنيا والثواب في الآخرة .
- وفرصة لبعض القادة والزعماء والحكام ليكونوا عند أمل أمتهم فيوقفوا الخصومات والحروب التي لا تدفع ثمنها إلا الدماء المسلمة ، ويستشعروا المسؤولية المنوطة بهم ، فلا يفرطوا بشبر من الأرض الإسلامية ، فيجمعوا أمرهم ويلتزموا قيمهم ويواجهوا عدوهم صفاً واحداً ، وتتوقف من حياة الأمة الإسلامية مرحلة الشعارات والفلسفات المهزومة لتبدأ عمليات الإنقاذ والمواجهة الحقيقية ..
- وفرصة للأغنياء والمترفين لمراجعة الحساب والحس بحاجة الفقراء ، وشكر النعمة بوضعها حيث أراد المنعم ، فيساهموا في إنقاذ الجائعين في العالم الإسلامي ويعلموا أن إيمانهم معرض للخطر إذا لم يطعموا الجائع ، ويكسوا العاري ويغيثوا الملهوف ..
- وفرصة لكل مسلم ليدرك أن التساهل بالصغائر يؤدي إلى الكبائر ، فيوقف الغيبة والنميمة وسوء الظن ، هذه العلل النفسية التي ابتلينا بها حتى استسهلناها ، ويرسم لنفسه منهاجاً يلتزم به ويتدرب من خلاله على المعاني الإسلامية لتصبح جزءاً من حياته اليومية ، وبذلك يكون الفرد الرباني الذي يصطبغ سلوكه بالإسلام فيمتلك اليد المسلمة والرجل المسلمة والعين المسلمة والأذن المسلمة بحيث تتحرك جوارحه جميعها الحركة الإسلامية التي شرعها الله لمن يحبه ، ذلك أن رمضان فرصة للاستزادة من النوافل قال تعالى : [ما يزال عبدي يتقرّب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي عليها ...] .

اللهم بارك لنا في رمضان وأعنّا فيه على الصيام والقيام وغض البصر وحفظ اللسان ... واجعلنا من عتقائه من النار □□

جيل النصر المنشود

أو الجيل المنشود للنصر الموعود

■■ قال صاحبي ، والحيرة تطويه وتنشره ، والهم يقيمه ويقعده ، بعد ما رأى مجازر بيروت يراق فيها الدم الإسلامي بلا حساب ، وتذبح فيها النساء والأطفال والشيوخ بلا خوف ولا حياء ، وتهدم البيوت ، وتدمر المخيمات على أهلها العزل بلا مبالاة ، والعرب خاصة - والمسلمون عامة - في مشرقهم ومغربهم عاجزون عجز الموتى ، والعالم المتحضر يتفرج على المأساة ولا يحرك ساكناً ، ولا يسكن متحركاً :

أما رأيت ؟ أما سمعت ؟!

قلـــت :

بلى ، قد رأيت وسمعت ، وعشت المأساة بقلب يتفطر ، وأعصاب تحترق ، لما رأيت من تخاذل العرب ، وعجز المسلمين !! وقبل ذلك غُزيت بلاد إسلامية في عقر دارها ، ودمرت مدن إسلامية عريقة على أهلها ، وهدمت مساجدها ، وقتل الراكعون الساجدون فيها ، وانتهكت أعراض المحصنات المؤمنات ، ولم نسمع ولم نر من العرب والمسلمين كلمة أو موقفاً ، فيه إنكار على الطغاة ، أو نجدة للمستضعفين ، إنما هو صمت القبور الموحشة في الليل البهيم !

فإذا سمعت لهم صوتاً جهيراً ففي شتم بعضهم بعضاً ، وإذا رأيتهم يوماً يتحركون بحماس وقوة ، ففي قتال بعضهم بعضاً ! كأنما أرادوا أن يكونوا على النقيض من أصحاب رسولهم الكريم ... الذين كانوا أشداء على الكفار رحمـــاء بينهم ، ليكونوا هم أشداء على أنفسهم ، رحماء بعدوهم ، أعزة على المؤمنين ، أذلـة للكافرين !! وكأنما أعجبهم من صفات اليهود ما وصفهم الله به من قبل :

﴿ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُــونَ ﴾ (الحشر : ١٤) ■■

قال صاحبي :

ولكن أما لهذا الظلام من آخر ؟ أما لهذا الليل من فجر ؟ أما آن لهذه الأمة أن تعرف غايتها ، وتهتدي إلى طريقها ؟ أما آن لها أن تجمع كلمتها ، لتقتل عدوها ، بدل أن يضرب بعضها رقاب بعض ؟ أما آن لها أن تذكر نفسها بعد أن نسيت نفسها ؟ أما آن لها أن تغسل ذل الانكسار بعز الانتصار ؟ أما آن لها أن تصحو أيام الهزائم والنكسات السود ، يوم أبيض ، كيوم خالد في اليرموك ، أو سعد في القادسية ، أو عمرو في اجنادين ، أو طارق في الأندلس ، أو صلاح الدين في حطين ، أو قطز في عين جالوت أو محمد الفاتح في القسطنطينية ؟!

قلت له :

لا تيأس يا صاحبي ، فسنة الله أن يعقب الليل الغاسق بفجر صادق ، وأشد ساعات الليل حلكة وسواداً هي السويعات التي تسبق بزوغ الفجر ، ولكن لله في خلقه قوانين صارمة لا تحابي ، وسنناً ثابتة لا تتبدل .

ومن هذه السنن : أن للأمم روحاً ، تحيا به ، كما للفرد روح ، فإذا فقدت الأمة روحها أصبحت أفراداً بغير رباط ، أو بناء بغير أساس ، كما أن الفرد إذا فقد روحه أصبح جثة بلا حياة ، وصدقني يا صاحبي ، إن امتنا تعيش في زمننا بغير روح ، أو يراد لها أن تعيش بغير روح !

الإســـلام روح الأمـــة ...

قلـــت :

قال لي صاحبي :

وما روح امتنا ؟ ومن ذا يريد لها أن تعيش بغير روح ؟

بقلم

الدكتور: يوسف القرضاوي

روح امتنا هو الإسلام ، هو الذي احياها بالأمس من موات ، وجمعها من شتات ، وهداها من ضلالة ، وعلمها من جهالة ، واخرجها من الظلمات إلى النور ، وجعلها خير أمة أخرجت للناس ، وهو القادر على أن يعيد إليها اليوم حيويتها ، ويوحد باسم الله كلمتها ، ويفجر بالإيمان طاقاتها ، فمن أراد لهذه الأمة أن تعيش بغير الإسلام ، فقد أراد لها أن تحيا بلا روح ، وأن تكون غثاء كغثاء السيل .

وأما الذين يريدون لها أن تعيش بغير روح فهم اعداؤها الحاقدون عليها ، والخائفون منها ، والطامعون فيها ، جمعتهم ـ على تفرقهم ـ الأحقاد والمخاوف والأطماع ليكيدوا لها كيداً ، ويمكروا بها مكراً ، ما بين يهودي فاجر ، وصليبي ماكر ، وشيوعي كافر ، وبين عميل لهذا أو ذاك أو ذلك ، يعملون سافرين حيناً ، ومقنَّعين احياناً .

ومشكلة المشكلات : أن الأمة ذاتها مخدرة ذاهلة عن نفسها ، لا تعرف عدوها من صديقها ، ولا تبصر ما يحاك لها من مؤامرات في الظلام ، وما يدس لها من سموم في الدسم والحلوى ، وما يوجه إليها من معاول الهدم في صور براقة ، وتحت عناوين خداعة ، فهي تسمي الكفر حرية ، والفجور فناً ، والانحلال تقدماً ، وتحسب الورم شحماً ، والسراب ماء !!

فجوات في مواقع الأمة ...

- ومشكلة .. بل مشكلات أخرى تعانيها أمتنا ، هي الفجوة التي نحسها ونلمسها بين المسلمين بعضهم وبعض ، نتيجة للعصبيات القومية او الإقليمية او اللغوية ، وللمذاهب المستوردة التي اتبعت سبلها الأنظمة المختلفة ، فتفرقت بهم عن صراط الله ، وللأنانيات الحاكمة التي تؤثر الهوى على الحق ، والمغنم العاجل على رضوان الله تعالى ، والمنفعة الشخصية أو المحلية على مصلحة الأمة الكبرى .
- ثم هناك الفجوة التي نشعر بها داخل كل بلد بين بعض الحكام والشعوب ، فالشعوب بفطرتها وتاريخها وواقعها مع الإسلام ، معظم الحكام بحكم نشأتهم وتربيتهم ومصالحهم وولاءاتهم مرتبطون بالمعسكرات المعادية للإسلام ، فهم لهذا ـ إن لم يكرهوا الإسلام ـ يخشون من حكمه أن يعود ، ويخافون من تعاليمه أن تسود وتقود ، وبهذا يبقون في واد ، وشعوبهم المسلمة في وادٍ آخر ، كأنهما خطان متوازيان لا يلتقيان .
- ثم تأتي الفجوة الأخرى بين النخبة المتعلمة والجماهير ، فالنخبة قد غزاها الاستعمار الثقافي وعزلها عن قاعدتها ، وحشا رؤوسها بمفاهيم خاطئة عن الإسلام وشريعته وتاريخه وأمته ، فغدا أكثرها يؤمن بالعلمانية (اللادينية) فكرة ومنهاجاً ، ويعتبر الدين مجرد علاقة بين المرء وربه ، فلا يُسمح له أن يقود الحياة أو يتدخل في المجتمع بالتشريع ، أو التوجيه أو التنفيذ ، فإن سمح له بموقع فحسبه المسجد للصلاة أو للموعظة ، وحسبه حصة الدين في المدرسة والحديث الديني في الإذاعة أو التلفاز ، والعمود الديني في الصحيفة ، وهم بذلك متبرعون له متفضلون عليه !! أما أن يُتخذ نظاماً للحياة ، أو دستوراً للدولة ، فلا ، والف « لا » !

الجيل المنشـــود ...

لهذا كان أكبر هَمِّ المصلحين الإسلاميين أن ينشأ في الأمة جيل مسلم جديد ، جيل يعود بالإسلام إلى ينابيعه الصافية ، ويفهمه فهماً صحيحاً متكاملاً خالصاً من الحشو والشوائب ، فليس هو إسلام عصور التخلف ، الذي كدرت عقائدَه الخرافاتُ ، وأفسدت عباداته البدعُ ، وغلبت على أخلاقه السلبية ، وطغى فقه الجمود والتقليد والعصبية المذهبية ، إنما هو الإسلام الأول ، الذي نزل به القرآن العظيم ، ودعا إليه الرسول الكريم ، وآمن به أصحابه الأطهار ، وحكم به خلفاؤه الراشدون ، وقامت على أساسه حضارة شامخة الذرا ، موثقة العرا ، وصلت الأرض بالسماء ، وقادت الدنيا بالدين وجمعت بين العلم واليقين ، إنه إسلام الحق والقوة ، إسلام العلم والعمل والجهاد والاجتهاد ، والشمول والتوازن ، إنه الإسلام الذي يؤكد الكرامة للفرد ، والترابط في الأسرة ، والتكافل في المجتمع ، والشورى في الحكم ، والتنمية في الإنتاج ، والعدالة في التوزيع ، والحقوق للجميع .

جيل يبصر الهدف ، ويبصر الطريق ، يعرف نفسه ، ويعرف ربه ، يعرف دينه ويعرف دنياه ، يعرف تراثه ، ويعرف عصره ، يعرف صديقه ، ويعرف عدوه الذي يريد أن يضلله عن الهدف ، وأن يلوي زمامه عن سواء السبيل .

جيل يتجاوز العشوائية ، ويكفر بالغوغائية ، ويحتكم إلى الحقائق لا إلى الأوهام ، ولا ينسى ـ وهو يتطلع إلى السماء ـ أنه واقف على الأرض ، فلا يجري وراء خيال كاذب أو حلم فارغ ، فيسبح في غير ماء ، ويطير بغير جناح ! بل يراعي قوانين الله في كونه ، كما يراعي أحكامه في شرعه ، يتبنى سياسة النَّفَس الطويل ، والصبر الجميل . فهو يصبر على البذرة حتى تنبت ، وعلى النبتة حتى تورق ، وعلى الورقة حتى تزهر ، وعلى الزهرة حتى تثمر ، وعلى الثمرة حتى تنضج ، وتؤتي أكلها بإذن ربها !

جيل النصر المنشود

أو

الجيل المنشود للنصر الموعود

• المطلوب جيل يعود بالاسلام الى ينابيعه الصافية، ليس اسلام عصور التخلف الذي كدرت عقائده الخرافات وافسدت عباداته البدع وغلبت على أخلاقه السلبية ..

جيل يؤمن بالعلم، ويحترم العقل، ويدين للبرهان، ويرفض الخرافة، ولا يتبع الظن وما تهوى الأنفس، تعلم من القرآن والسنة أن التفكير فريضة، وأن التأمل عبادة، وأن طلب العلم جهاد، وأن الجمود على القديم لمجرد قدمه جهل وضلال، وأن الاتباع الأعمى للآباء والكبراء فساد وخبال، فهو لهذا يفكر قبل أن يحكم، ويتعلم قبل أن يعمل، ويستدل قبل أن يعتقد، ويخطط قبل أن ينفذ، ولا يقبل حكماً بلا بينة، ولا دعوى بلا برهان، قد وضع نصب عينيه قول الله تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾ (الأنعام: ١٤٨)

و ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة: ١١١ والنمل: ٦٤).

جيل لا يقف أبناؤه عند التغني بأمجاد الماضي، ولا عند النواح على هزائم الحاضر، ولا عند التمني لانتصارات المستقبل، إنما يؤمنون بأن المجد بالعطاء لا بالمفاخرة، وبالإنتاج لا بالثرثرة، وأن الفتى من يقول: **ها انذا**، وليس الفتى من يقول: **كان أبي**، وأن الانتصار على مآسي اليوم، وتحقيق آمال الغد إنما يتحقق بالجد لا بالهزل، وبالبناء لا بالهدم، وبالعمل الهادىء لا بالصراخ المدوي، وأن الإيمان الحق ما وقر في القلب، وصدقه العمل، وما خلق الله الناس إلا ليعملوا، بل ما خلقهم إلا ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، **لهذا يعتبرون العمل فريضة، وإحسانه عبادة، والتعاون عليه جهاداً، موقنين بان الله لا يضيع اجر من احسن عملاً، ولا يظلم مثقال ذرة، وسيرى الله عملهم ورسوله والمؤمنون**.

العمل الجماعي فريضة

جيل يؤمن بان العمل الجماعي لنصرة الإسلام، واستعادة سلطانه، فريضة وضرورة، فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع، وان إصلاح الفرد ـ وإن كان هو الأساس ـ لا يتم إلا في ظل جماعة يعيش في كنفها.

علَّمهم دينهم، وعلمهم تاريخهم، وعلمهم واقعهم، أن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده، قوي بجماعته، وأن اليد وحدها لا تصفق، وأن صيحة الفرد لا تسمع، **وان يد الله مع الجماعة، وان الذئب إنما ياكل من الغنم القاصية**، وان الأهداف الكبرى التي يريدون من الأمة تحقيقها من التحرر والوحدة والنهوض والنماء، وتحكيم الإسلام في الداخل، وتبليغه في الخارج، لا يمكن أن تتم إلا بجهود جماعية بناءة، **وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب**، وقد علموا من قراءة الواقع: أن أهل الباطل يتكتلون حول باطلهم **فاولى باهل الحق ان يتجمعوا على حقهم، وأن من فرقتهم أيام الرخاء، أهل لأن** يجتمعوا في ساعة الشدة «**إن المصائب يجمعن المصابين**» وإن المعارك الكبرى توحد المختلفين أمام العدو المشترك.

﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ (الصف: ٤).

لهذا صمموا على أن يبحثوا عن أشباههم ممن ينشدون الحق، ويدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ليضعوا أيديهم في أيديهم، ويضموا جهدهم إلى جهدهم، ليتكون من اللبنات المتناثرة جدار متين، ومن الجدران المتعددة دار شامخة، ومن الدور المتنوعة مدينة عامرة، فمضوا في طريق العمل الجماعي، يعملون في صمت، ويبنون في صبر، ويجاهدون بلا كلل ولا ملل، وعزموا على أن يعيشوا متواصين بالحق والصبر، متواصلين في العسر واليسر، متعاونين على البر والتقوى، متكاتفين في السراء والضراء، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

جيل يجسد الصحوة، ويمثل الصفوة، ويجسم القدوة، ويضرب المثل، ويتقدم الصفوف ساعة الفداء، ويتأخر عند تقسيم المغانم، ـ مع تميزه بالوعي، وتقدمه بالبذل، وتفوقه بالعطاء ـ لا يعيش في برج عاجي، بعيداً عن الناس، مزهواً بنفسه مستعلياً على غيره، بل يتفاعل مع الشعب، ويعايش الجماهير المسلمة في مواقعها، يحمل همومها، ويعاونها في حل مشكلاتها، ويشاركها مسراتها وأحزانها، ويعبر عن آلامها، ليس ذلك صدقة منه عليها، فهي جزء منه وهو جزء منها، لا تنفصل عنه ولا ينفصل بحال عنها، فلا يتصور أن يتعالى عليها، أو يكفر بها، بله أن يكفِّرها، بل هو حريص عليها، رؤوف بها، يعلمها ما جهلت، ويذكرها ما نسيت، وينبهها إذا غفلت، ويدعوها إذا شردت، لا يمل من دعوتها، ولا يقنط من عودتها، فهي الحليف الطبيعي، والرصيد التاريخي لكل حركة إسلامية، وكل دعوة إيمانية.

جيل من المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، والقانتين والقانتات ... فالنساء في الإسلام شقائق الرجال، والمرأة تكمل الرجل ويكملها ﴿ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ... ﴾ والمرأة شريكة الرجل منذ قال الله لآدم:

﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ... ﴾ (البقرة: ٣٥)، وهي مكلفة مثله منذ قال لهما:

﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾، وهي مجزية على عملها مثله

○ ننشد اسلام الحق والقوة، العلم والعمل، الجهاد والاجتهاد
الشمول والتوازن، الكرامة للفرد، الترابط للأسرة
التكافل للمجتمع، الشورى للحكم، التنمية في الانتاج
العدالة في التوزيع..

﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ (آل عمران: ١٩٥). فلا عجب أن يكون لها اليوم كما كان لها بالأمس، دور في دعوة الإسلام، ومكان في حركة التجديد، تعمل فيه مزكية لنفسها، وداعية لبنات جنسها، وهن نصف المجتمع أو أكثر، أو معينة لزوجها على الدعوة إلى الله، أو ملهمة ودافعة لأبنائها وبناتها على عمل الخير وخير العمل.

جيل من «الربانيين» الذين يعيشون في الدنيا بقلوب أهل الآخرة، ويعيشون فوق الأرض وقلوبهم تهفو إلى عرش الله، حيث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

قد وصلوا بحبل الله عراهم، وأضاؤوا بنوره خطاهم، وعمروا بحبه قلوبهم، ورطبوا بذكره ألسنتهم، وشغلوا بطاعته جوارحهم، فهم بالله ولله، ومن الله وإلى الله، إلى الله فرارهم، وبالله اعتصامهم، ومن الله استمدادهم، وعلى ضوء كتابه حركتهم وسكونهم، يحبون في الله، ويبغضون في الله، ويصلون في الله، ويقطعون في الله، ويعطون لله، ويمنعون لله، ويسالمون لله، ويحاربون لله، فالله مبدؤهم، والله غايتهم:

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ (الحديد: ٣) ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (النجم: ٤٢).

الإخلاص والتوحيد:

أبرز ما يميزهم عن غيرهم أنهم «مخلصون»، قد أخلصوا دينهم لله، كما أخلصهم الله لدينه، قد أيقنوا أن الدنيا خلقت لهم، أما هم فخلقوا لله وحده، فلا غرو أن وضعوا نصب أعينهم قول ربهم:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ (الأنعام: ١٦٢).

فإذا اختلفت غايات الناس في الحياة الدنيا، ما بين منهوم بالمال، ومشغوف بالشهرة، ومغرم بالسطوة، ومفتون بالمرأة، ومتيم بالكأس، ومتطلع إلى الملك، فإنهم لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، ولا يبغون جاهاً ولا مالاً، ولا يجرون خلف شهوة أو شهرة، يدعون ربهم ألا يجعل الدنيا أكبر همهم، ولا مبلغ علمهم، **فإذا جاءت الدنيا جعلوها في أيديهم، ولم يدخلوها في قلوبهم، واتخذوها طريقاً، ولم يتخذوها غاية، إنما همهم الآخرة، وغايتهم رضوان الله، فكل ما دون الله والجنة سراب، وكل ما فوق التراب تراب!**

خالطت قلوبهم بشاشة التوحيد، فلا يبغون غير الله رباً، ولا يبتغون غير الله حكماً، ولا يتخذون غير الله ولياً، قد حطموا من حياتهم كل الأوثان، وبرئوا من كل الآلهة المزيفين، فلم تعد تركع ظهورهم لغير عبادة الله، كما لا تركع عقولهم وقلوبهم لغير كلمة الله.

لا يعبدون الأصنام، ولا يعبدون الأوهام، ولا يعبدون الأهواء، ولا يعبدون الأشخاص، ولا يعبدون الطبيعة، ولا يعبدون الطاغوت، أياً كان اسمه وعنوانه وصورته، فقد وعوا عن رسل الله ـ نداءهم للبشر:

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦)، قد تبين لهم الرشد من الغي، فكفروا بالطاغوت، وآمنوا بالله، فاستمسكوا بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

من سأل عن جنسيتهم أو نسبهم أو هويتهم فهم «**مسلمون**» لا بالاسم واللقب، ولا بحكم الوراثة أو البيئة، بل بالدراسة والبرهان، والتذوق والتخلق، **فهم يؤمنون بالإسلام عن بينة، ويرفضون الجاهلية عن دراية، ويدعون إلى الله على بصيرة، ويكفرون بالطاغوت على علم**. لا يبتغون غير الإسلام ديناً، ولا يرضون بغير شريعته منهاجاً، ولا يقبلون غير كتابه دستوراً؛ وكيف لا يرضونه وقد رضيه الله لهم، وأتم به النعمة عليهم:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣) ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥).

إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، قالوا: سمعنا واطعنا، وإذا دُعوا إلى تحكيم الطاغوت ـ وكل ما عدا الله ورسوله طاغوت ـ قالوا: ابينا وعصينا.

يرفضون التبعية للغرب وللشرق جميعاً، ولا يقبلون ظلم الرأسمالية، ولا ظلام الشيوعية ولا ينتمون إلى يمين أو يسار، ولا يعملون لحساب فرد، أو طبقة أو حزب أو نظام. إنما يعملون لأمة الإسلام كلها، ولها وحدها دون غيرها.

لا ينتسبون إلا للرحمن، ولا يعتزون إلا بالإيمان، ولا يتعصبون إلا للقرآن، ولا يفخرون إلا بالإسلام. شعارهم قول القائل:

ابي الإسلام، لا اب لي سواه   إذا افتخروا بقيس او تميم!

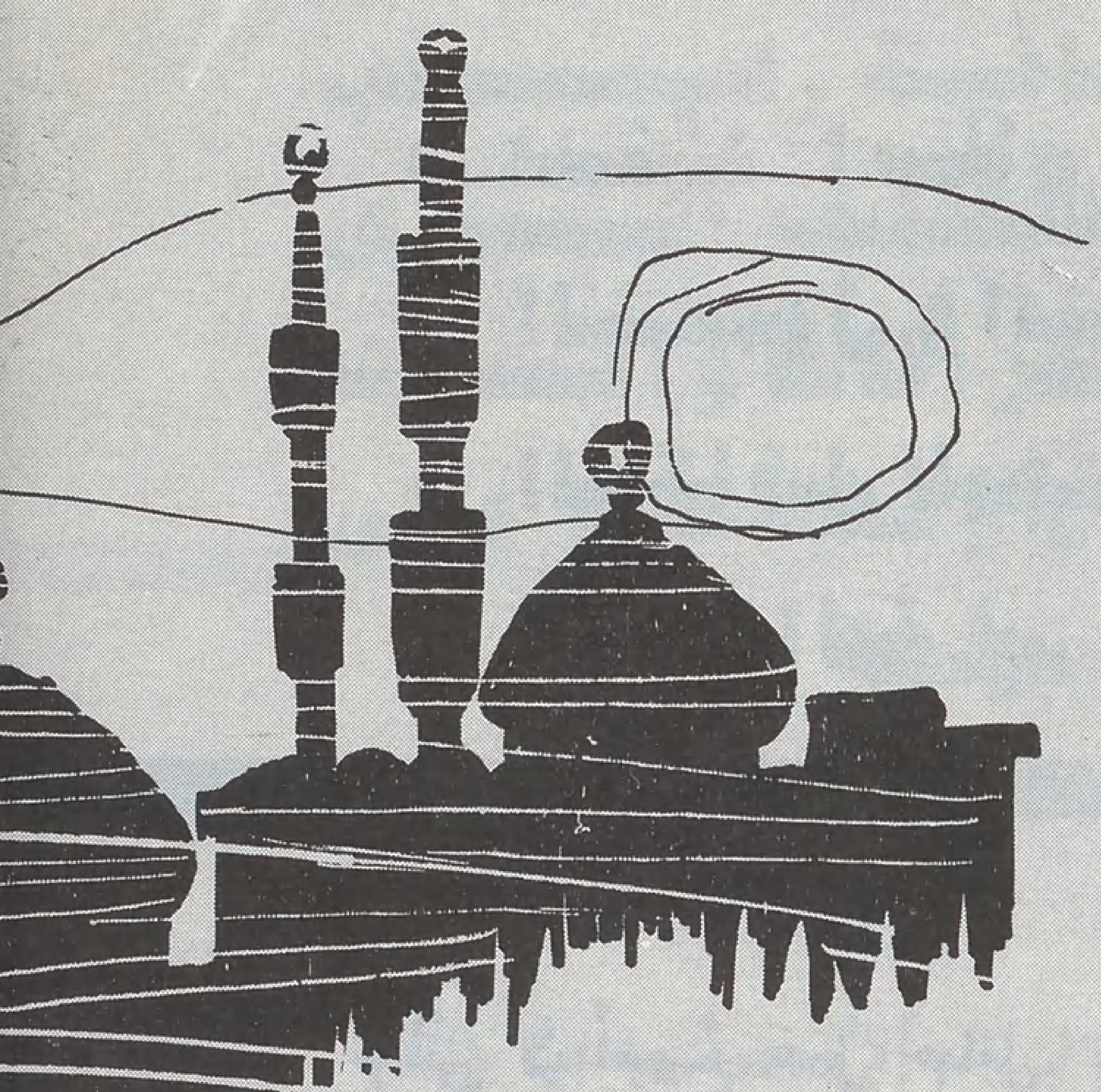

من القصص التربوي في القرآن الكريم

ولدان

■■ يُولي علماء النفس ، وخبراء التربية القَصَصَ المعبر ، والمثالَ المؤثر أهمية كبرى ، وعناية قصوى باعتبارهما من أخطر وسائل الإيضاح ، وطرائق الإفصاح : فتراهم يُوصون بهما الوصية الأكيدة ، ويلحون على ضرورة اصطناعهما الإلحاح الشديد لما يرون لهما من الفعل النافع ، والأثر الناجع في مجال التربية والتقويم .

ولقد ظن هؤلاء ، وأولئك أنهم قد خَلَقوا في هذا خلقاً ، أو أنهم ابتكروا به صُنعاً ؛ ولكنْ إن يتبعون إلا الظن ، فقد سبقهم إلى هذا ـ ولا ريب ـ الكتاب التربوي الأعظم الذي أنزله ربُّ كل شيء ، وخالق كل شيء على قلب المعلم الأمثل ، **محمد** ﷺ بعد أن أدَّبه سبحانه فأحسن تأديبه .

إذ ضرب الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أدق الأمثال ، وقصَّ أحسن القصص لتكون عبرة لمن يعتبر ، وذكرى لمن يذَّكر .

ولئن كلف علماء النفس ، وخبراء التربية بالقصص والأمثال الرمزية التي تزخر بها كتب المناهج الدراسية ، وبعض كتب التراث مثل كتاب « **كليلة ودمنة** » الذي يسوق ما ينبغي أن تكون عليه الأخلاق في أسلوب برضى بالتلميح دون التصريح : **فإن القصص القرآني الحكيم ، والمثل السماوي المحكم جاءا بالفكرة الحية التي تعيش بين الناس ، وتتجسد أمام الأسماع والأبصار .**

والقرآن بهذا يواجه الإنسان بنفسه ، ويكشف النفس أمام صاحبها ، فكأنما الإنسان ونفسه مرآة عاكسة ومعكوسة معاً ، ومرسلة ومستقبلة في آن واحد ، فإذا لم يتأثر المرء بالمثل بعد هذا الحق الصراح ، والبيان المفحم فإن ذلك لهو العتو بعينه ، وإن هذا لهو الضلال المبين .

وَلَكَ في هذا المجال أن تتأمل بفكرك الواعي بعض الأمثال التربوية الرائعة التي يسوقها إلى الناس ، ربُّ الناس .

فهذان مثلان جهيران ، ضربهما الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في موقف المحنة ، والاختبار ، على سبيل الموعظة والاعتبار :

﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (إبراهيم:٢٥) .

وهما مثلان لفتيين يافعين إن يكونا قد اختلفا في نسب النُبُوَّة والأُبوَّة ، فقد اتفقا في الانتساب إلى بيتين عريقين من بيوت الرسالة والنُبُوَّة .

وأحد هذين الفتيين هو **وَلَدُ نوح عليه السلام** ، وثانيهما هو **إسماعيل ولدُ إبراهيم عليهما السلام** .

ولقد بَيَّنَ الله عز وجل هذين المثلين في كتابه التربوي المجيد مبيناً تقابل الخير والشر ، وتنافي الرشد والحمق في مدى استجابة الأبناء لتوجيهات الآباء ولا سيما في مواقف الشدة ، والخطر ، ومواطن الرهبة ، والحذر .

فنحن أمام هذين المثلين إزاء وسيلةٍ تربوية إلٓهية معجزة وموقفٍ سماويٍ مبين .

وما أظن الشباب المسلم اليوم إلا في حاجة ـ وأية حاجة ـ إلى الوقوف ملياً أمام هذه الأمثال الباهرة ، والدروس العامرة في تأمل طويل ، وفي دراسة وتحليل ؛ ممعناً فيها ما وهبه الله من لُبّ ، ومهيئاً لها ما منحه الله من قلب .

لقد وُضع كلٌ من الولدين في امتحان عسير ، واختبار خطير ، وناهيك بامتحان عقدته المشيئة الإلٓهيـة .. هل يجتازه إلا الصابرون المؤمنون ؟!!

فأما وَلَدُ نوح فقد شهد الطوفان الغامر شهادة العين ، ورأى بعيني رأسه سفينة أبيه ذات الألواح والدسر ، وقد حملت من كل زوجين اثنين ، وأهله .

نعم !! شهد الابن ذلك المشهد المصيري الرهيب حيث تجري السفينة بمن فيها من المؤمنين الصادقين في موج كالجبال . ولكنه في عناد وغرور ، يأخذ مكانه بعيداً بعيداً مؤثراً العصيان على الطاعة ، ومفضلاً العزلة المهلكة على

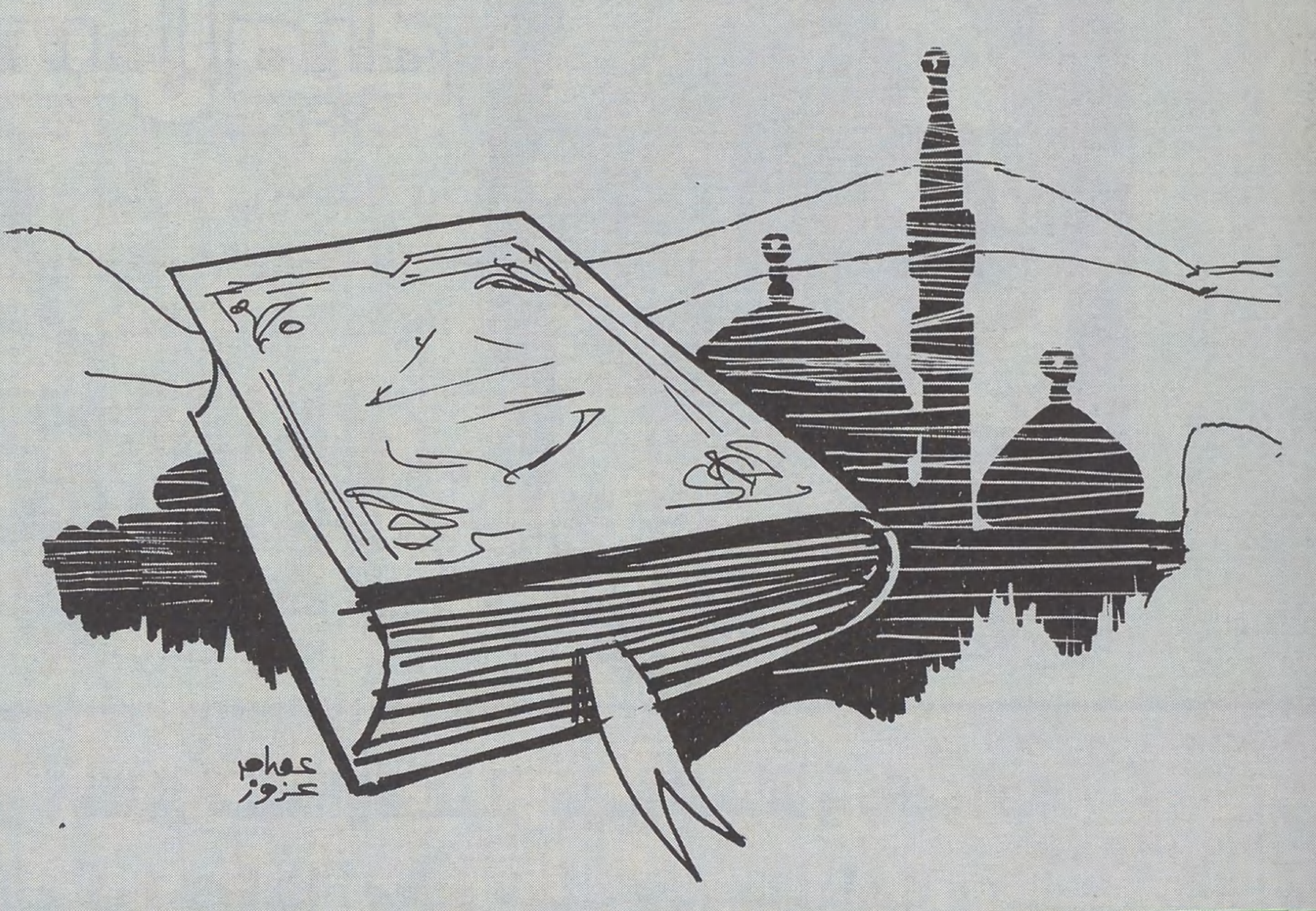

بقلم :
محمد مصطفى البسيوني

الجماعة ظناً منه أن مأواه إلى الجبل سيعصمه من الماء ... وهيهات ..

وعندئذ يرتجف قلب الوالد الواله فرَقاً على ولده الذي يحدق به الخطر من كل مكان ، ويحيق به الهلاك من كل صوب أمام ناظريه ؛ فيدعوه في لهفة شديدة وإشفاق رحيم :

﴿ يَـٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَافِرِينَ ﴾ (هود: ٤٢) ، ولكن الولد الأحمق العاق يَرُدُّ أباه القلق الحاني في صلف واستهتار ، ويزين له صلفه واستهتاره أنه قد عثر على الحجة التي تبرر له هجر أبيه وعصيانه :

﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ (هود: ٤٣) ، ولكن الأب الشفوق اللهيف يعود إلى مناجاة ولده ، ومناداة فلذة كبده ، لا ينال من أمله يأس ، ولا يضعف من همته خَوَرٌ ولا فتور .. ومن يدري ؟ لعل الإلحاح يعيد ابنه إلى الرشاد ، ويهديه إلى السداد !!

هناك ظل الوالد الشيخ يجادل ولده ، ويؤكد له نصحه الصادق الأمين :

﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ (هود: ٤٣) .

﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ (هود: ٤٣) .

ولعل الله سبحانه وتعالى ـ وهو بمراده أعلم ـ قد أتاح للابن وأبيه فرصة الجدل ، وفسحة الحوار حتى يستنفد كلٌّ منهما حقه في القول ، وعندئذ يكتمل المثل ، وينقضي الأجل ؛ ليصبح بعد ذلك آية للناس جيلاً بعد جيل .

ذلك ابنٌ ينصحُهُ أبوه بأن ينجو من خطر داهم ، وطوفان عارم ، ويبين له سبيل النجاة ، ويرسم له وسيلة الحياة ، بل وتكاد هذه النصيحة الأبوية الخالصة أن تخرج إلى الرجاء والتوسل ، ولكن الابن الجانح سادرٌ في غيِّه كأن في أذنيه وقراً فهو لا يسمع نداء ، أو كأن على بصره غشاوة فهو لا يرى قضاء أو كأنه قد أصر إصراراً على عصيان أبيه ولو دفع حياته وروحه ثمناً لذلك العصيان .

*****

وأما الولد الآخر فإسماعيل عليه السلام ، لا يكاد أبوه **إبراهيم عليه السلام ينهي إليه ما رآه في المنام ـ مجرد المنام ـ من أنه يذبحه حتى يهب طائعاً ملبياً هاتفاً في حماس** :

﴿ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ... ﴾ **فلله** ما أعظم بطولة الأب ، وما أروع بطولة الابن !!!

ولئن دخل **إسماعيلُ** مع أبيه في جَدَل ـ وحاشاه ـ فما كان أيسر عليه من أن يذكر لأبيه أن ذلك المنامَ قد يكون أضغاث أحلام .. ولكن الطاعة المذعنة ، والاستجابة المؤمنة تمنع إسماعيل أن يقف من أبيه موقف المراوغ المجادل حتى لو كان موضوع هذه المراوغة والمجادلة نجدة روحه ، وإنقاذ حياته من الذبح ، وحتى لو كان هذا الذبح قد جاء أمره في المنام ، وليس في العيان .

وكأننا **بإسماعيل** لم يكتف بتلبية حلم أبيه ، وهو يعرضه له في صورة الحديث الجاري وليس الأمر القاطع :

﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ (الصافات: ١٠٢) ، كأننا بإسماعيل لم يكتف بالطاعة فقط ، ولكن لعله عند ذاك قد أخذ يربت على كتف أبيه الشيخ مهدئاً من عاطفته ، معزياً له ، مطمئناً إياه في إسلام عامر ، وإيمان باهر :

﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (الصافات: ١٠٢) .

لم يكن الخطر مشهوداً للابن كما كانت الحال في الطوفان ، ولكنه كان مناماً ؛ ولم يكن الابن نفسه هو الذي رأى ذلك المنام ، كما لم يكن خطابُ إبراهيم لولده في صيغة الأمر كأمر **نوح** لابنه :

﴿ يَـٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا ... ﴾ (هود: ٤٢) ، ولكن **إسماعيل** في إيمانه المطلق ، وإذعانه الحق ، قد عرف النجاة العظمى في طاعة أبيه ، وهي نجاة تدركها البصائر النافذة دون الأبصار الجامدة ، وتعيها القلوب الواعية التي لا تقف عند الساذج المحسوس من الأمور .

ثم نقف في نهاية المشهدين المتقابلين عند نقطة المصير ، فبينما ينتهي أمرُ الولد العاصي إلى أن يكون من المغرقين ؛ إذا بالولد المطيع يكافأ على طاعته بالمثوبة والنجاة :

﴿ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (الصافات: ١٠٧) .

وهكذا نرى أنفسنا أمام صورتين تحلَّت إحداهما بالإيمان ، وباءت الأخرى بالعصيان والخسران .

فلله كم نتشوف إلى المدارسة الدؤوب ، لمثل هذه العبر والأمثال مع أبنائنا الشباب ، الذين ندعو لهم بالتوفيق في كل حين .

المثالية الاسلامية في شعر محمد اقبال

■ حين خلق الله الإنسان ، خلق معه الاختيار بين السمو بالذات والهبوط بها « قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » .

الذات كنواة للحياة ...

يدور المحور الفكري لكل أعمال **إقبال** حول بؤرة الذات . إن إقبال لا يكتفي بالتأمل الصامت ولا بالمناظرة المحايدة بين النواة في الذرة وبين الذات في الانسان ، **وإنما يغوص في أعماق الذات ، لاستكشاف أبعادها ، بحثاً عن معادلات تفاعلاتها الداخلية وتفاعلاتها مع الذوات الخارجية ، التي تشاركها في عمارة الأرض ، محاولاً أن يفجر طاقاتها في سلسلة من الايجابيات ، التي تحقق الذات من خلالها حركة صعودية تنتهي بها إلى تسخير الكون وتحقيق سيادة الانسان الكامل ،** القوي والقادر على قهر الاستعباد والفقر وظلام الجاهلية الحديثة ، فمثلما للذرة قوانين تتفجر بها الطاقة النووية الهائلة ، للإنسان كذلك قوانين ، تتمثل في المقومات الاسلامية ـ عقيدية وتربوية وحضارية وسياسية ـ يستطيع بها استخراج طاقات الذات اللانهائية والتي يستحق بتطبيقها أن يستخلفه الله في الأرض .

إن **إقبال** يتطلع إلى الانسان مندهشاً :

« **ذلك الذي مساره على الأفلاك ، لماذا يصعب عليه السير فوق الأرض ؟** » .

وهو حين يقدم نفسه للإنسان ، كفيلسوف أو كشاعر ، ينزه نفسه عن منافقة الحاكمين أو إحناء الرأس للسلطان ، ليحوز الثقة في نفس المريدين والأهلية لشق الطريق أمامهم ، مهما يكن واعراً صلداً ، ولأنه يريد للإنسان أن يكون مرفوع الهامة قوي العزيمة :

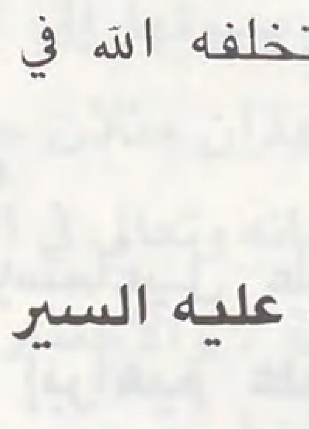

« إنني أرفع من نظم المديح ..
ولا أطأطىء الجبين أمام كل ديوان ..
ولن يذل عنقي بأعمال الإحسان ..
وذيلي من براعم الروضة خالياً ..
إنني أسعى في الدنيا بأقدام كالخنجر
وآخذ مائي من الصخر الصلد »

ومفهوم الذات عند **إقبال** هو ضد النفس الأنانية . بل إن إنكار الذات بالمعنى الأخلاقي هو مصدر قوة للذات ، لكنه حين يدين إلغاء الذات وإهمالها ، إنما يدين تلك الأنماط السلوكية التي تؤدي إلى القضاء على « الأنا » ، وذلك يؤدي إلى تحلل الذات وعدم قدرتها على الاستمرار . والمثالية الاسلامية هي خضوع الانسانية كلية للذات الإلّهية ، لأن هذا الخضوع يقهر الخوف ويرتفع بالانسان فوق الدنيا فيخضعها لمشيئته ، كما يحقق بخضوعه الكلي لله البقاء الأبدي ، وهذا أعلى درجات تأكيد الذات ، وهذه الذات التي تريد أن تقصر خضوعها لله ، تتطلب أقصى درجات القوة : « **كن صلباً كالماس** » .

وصلابة إقبال ليست مرادفة لقسوة الفؤاد وانعدام الرحمة ، كما هو الحال عند « نيتشة » ، وإنما الصلابة الماسية تعني تكامل عناصر الذات وإحكامها لتسد الطريق على قوى التدمير المحيطة بها . فإذا تكاملت هذه العناصر تحققت العدالة وعلت قضية الحق وهان الموت في سبيل رفعة الانسان .

وتمثل فلسفة إقبال ، ركناً رئيسياً في الفلسفة الاسلامية المعاصرة ، كما أنها تتميز بنمطها الفريد ، فإقبال لا يعرض فلسفة من خلال ثياب الواعظ ذي النمط التقريري الرتيب ، ولكنه يقدمها في إطار درامي يفيض بالعاطفة والإيمان ، فهو يدعو إلى القرآن والسنة في قالب يعتمد على تقويم الذات وتنميتها لبناء الإنسان الحر . فإذا سعى هذا الانسان الفرد إلى التخلق بأخلاق الإسلام العظيم ، قامت دولة الاسلام الحقة التي هي خلافة الله في الأرض ، فإذا تحقق المجتمع الاسلامي الموحد ، أذاب الفرد ذاته في المجتمع باختياره بعد أن أقام حياة الإسلام الأبدية والتي تحقق للذات الجمعية الخلود وتعصمها من الفناء .

واقعية المثالية الاسلامية ...

هذه المثالية الاسلامية ، ليست عن مجتمع يحلق في الخيال ، لكنه المجتمع الذي يرتكز على دعائم أول بيت وضعه الله للناس . فهو مجتمع واقعي وقائم ، ينجذب إلى مركزه المتمثل في بيت الله الحرام . والذي يولي وجهه إليه خمس مرات في اليوم كل مسلم في العالم ، فإذا تحقق التوجه الصحيح المنطلق من أعماق الذات حباً وطاعة .. خشوعاً وشوقاً ، وليس بالقيام المتثاقل الكسول ، تحققت الوحدة التامة .. وحدة التوبة والشعور والغاية ، فتسقط بينهم الحدود المتهافتة وأوهام

بقلم : أحمد فؤاد عبد الرحمن

■■ رغم كل ما يقال عن تأثر إقبال بالفلاسفة في الشرق والغرب ، فإن الحقيقة الناصعة التي نخرج بها من دراسة أعماله ، انه يقدم نسيجاً فريداً ، سواء في شعره أو في نثره ، وإطاراً رائعاً متعدد الألوان للمفاهيم الاسلامية ، تتناغم في إيقاعات سامية مع النصوص القرآنية والسيرة النبوية ، ويتألق فيها خيال إقبال الفسيح ، وهو يصور رموزاً بالغة الوسامة للمفاهيم والقيم الروحية والعملية في الاسلام ، وإذا كان ثمة تجارب قد تفاعلت في فكر إقبال بعد اطلاعه على التراث الفلسفي للشرق والغرب والخارج عن النطاق الإسلامي ، فإن حصيلة تلك التجارب ، إنما كانت بضعة من الرمال والحصى .. تمخضت عن لا شيء ، فبقي لنا وجدان محمد إقبال وفكره إسلاميين صافيين ، وإذا قارنا بين فكر محمد إقبال وبين الفكر الفلسفي غير الاسلامي ، سنتبين أن العلاقة بينهما ، هي العلاقة بين مستقيمين شماليين ، لا يلتقيان أبداً .

وما سنعرض على الصفحات التالية من قطفات ، اقتطفناها من حدائق إقبال الشعرية في ذكراه ، سوف تشع في الروح قبسات نورانية ، وترتقي بها إلى آفاق سامية من الفكر والوجدان وارتقاء الروح ■■

■ المحور الفكري لكل أعمال إقبال يدور حول الذات .. وإن مصدر قوة الذات عنده يقوم على إنكارها بالمعنى الأخلاقي .

القومية والغربة المصطنعة ، ويعمر فضاء الكون بشعار لا إله إلّا الله ، ما خرج من أفواه إلّا التقطته آذان ويظل يدور ويدور حول الأرض قاطبة ، كما يصعَّد إلى السماء - حيث يحتكم المسلمون إلى الشريعة الغراء - والله من فوقهم ينظر ويرى .. **لكن التسامي إلى هذه المثالية الواقعية ، تقتضي إسقاط القوانين الوضعية وآلهتها الزائفة والجهاد الحق في سبيل الله وليس جوعاً إلى الأرض .. كي نحقق الوحدة بين المسلمين بأرواحهم وأجسادهم وننبذ كل أسباب تشرذمهم وافتراقهم .**

الذات العليا والذات الانسانية في شعر محمد إقبال

الذات العليا - كناية عن الله عز وجل - هي الحقيقة المركزية للكون ، فالله سبحانه وتعالى يصف نفسه في القرآن الكريم بأنه : ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، الْمَلِكُ ، الْقُدُّوسُ ، السَّلَامُ ، الْمُؤْمِنُ ، الْمُهَيْمِنُ ، الْعَزِيزُ ، الْجَبَّارُ ، الْمُتَكَبِّرُ ، الْخَالِقُ ، الْبَارِئُ ، الْمُصَوِّرُ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ ، الْحَكِيمُ** ﴾ ، أما الذات الصغرى فهي الحقيقة المركزية للانسان ، والإنسان له من الصور ما يبدو فيها واهناً ضعيفاً ، فقد وصفه القرآن الكريم بأنه ضعيف ، قتور ، كفور ، عجول ، ظلوم ، جهول . لكنه مع ذلك قد خلقه الله جلَّت قدرته « **في أحسن تقويم** » . بل إنه أسمى وأجل من الطبيعة ، لأنه حمل الأمانة التي أشفقت السموات والأرض والجبال أن يحملنها ، وحين خلق الله الانسان ، فقد خلق معه الاختيار بين السمو بالذات والسقوط بها ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** ﴾ ، والفلاح يتحقق بالتخلق بأخلاق شرع الله ، ومن ثم يكتسب الانسان القدرة على خلافة الله في الأرض ، وسمو الانسان يتحقق بالسعي وراء الحقيقة ، وهذا يتطلب من الانسان أن يكون واعياً بذاته وبطاقاته الفكرية والعملية ، وبتنمية مشاعره وغرائزه بتحصيل العلوم الانسانية والعلمية والعقلية ، فيرتقي ويتطور على سلم الحقيقة ، فيستحق خلافة الله ، **وهي خلافة تقوم على المعرفة والأخلاق والقوة ، والتي تستمد نورها من القرآن والسنة ..** وتختلف جذرياً مع المعرفة العلمانية القاصرة على الظواهر المادية ، وبذلك يصل الانسان إلى الحقيقة الكلية أي الذات الشمولية الكاملة ، وكما نرى فإن الذات الانسانية عند إقبال تقوم على النشاط المتصل والحركة الدائبة وتستمد طاقاتها مما استودعه الله فيها من قدرات على المعرفة والادراك وتنمية للفكر والروح ، يقول **إقبال** :

« ... الـــذات ...
تهب وتثير ، تطير وتشع ، تحرق ، تشعل تقتل ، تبذر ..
تتخذ من الزمان الفسيح ميداناً لنضالها ..
وتموج السماء من غبار طريقها » ..

وإن ارتقاء الذات لا يتحقق إلا بالسعي لتحقيق الغايات التي تتمثل في القوة والسيادة والأخلاق والعطاء ، وهو بذلك يبغي أن يبعث في مواطنيه وفي مسلمي العالم الرغبة في تحقيق نهضة أخلاقية اجتماعية عن طريق انصهارهم في بوتقة الإسلام . والطريق لتحقيق هذه الغايات لن يكون هيناً .. ولكن ما يعمر القلب من أمل ، برغم المشاق ، سيُبقي على جذوة الحياة في الذات التي ستدفع بالإنسان إلى الأمام مهما تعثر في الطريق

« فبالتمني ترفرف القلوب في الصدور ..
والتمني بريقه في الصدور مرايا ..
والتمني يزرع في التراب أجنحة تحلق ..
وتكون (خضراً) يقود موسى إلى الإدراك ..
وحياة القلب من لهيب الأمل ..
فالأمل هو زينة نضال الذات وموجها المتلاطم » ..

وتعبير التمني والأمل عند إقبال ، يتخذ أبعاداً مغايرة لما قصده **أحمد شوقي** :

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

لأن التمني والأمل لا يأتي عند إقبال من ذات متواكلة ، وإنما من ذات فياضة بالطاقة والتحدي لكل أوضاع القهر التي يفرضها الاستعمار والحكام على المستضعفين ، الذين لو استخرجوا من ذواتهم طاقاتها الكامنة واستعصموا بالأمل ، لقهروا الضعف وظفروا بالقوة وسحقوا الفتنة وطغيان الأباطرة :

« يا من أنت عن سر الحياة غريب ، قم !
وبشراب الغاية قم ثملاً !
واجعل مقصدك مضيئاً مثل السحر ..
واحرق بالنار ما سواه ..
شن الغارة على الباطل العتيق ..

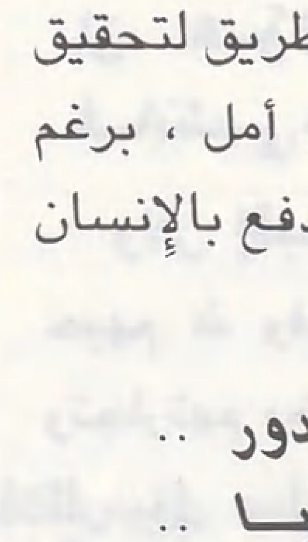

المثالية الاسلامية في شعر محمد اقبال

واخنق الفتنة كلها في قبضتك ..
فإننا برصد الأهداف نحيا ..
وبشعاع الأمل نستضيء » ..

والذات التي يعنيها إقبال ، هي التي تجمع الايجابيات التي ميزها الله بها ، وهي في سعيها الارتقائي نحو الحقيقة وتسنم ذرى الكون ، لن تنبذ سلبيات الضعف والجزع والهلع وإنما ستدعم نفسها بالمحبة الإلهية :

« نقطة النور - أي - الذات ..
هي شرارة الحياة تحت التراب ..
وبالمحبة تصبح الذات أشد تحصيناً ..
وأكثر حياة ولهيباً وإشعاعاً ..
فجوهر الذات يشتعل بالمحبة ..
وارتقاء الذرى غايتها » ..

والمحبة الإلهية يقدمها **إقبال** كمسار لتحقيق أعلى أشكال المثل والقيم ، إنها تمثل الطريق لمعرفة النفس واستشفافها ، وتصفيتها من الشوائب والرواكد :

« إن العشق يضفي لوناً جديداً عل كل قلب ..
أحياناً يجعله مغلقاً بالحجر وأحياناً بالبلور ..
وإن كان قد سلبك من ذاتك وادمع عينيك ..
فقد جعلني أقرب إلى ذاتي » ..

ولأنه يستنهض شعبه من كبوته ، فإنه يظهر السخط من التدهور المحيط به ، ليحث الناس على التغيير ، قبل أن يعمهم الله بعذاب ويستبدل بهم غيرهم ، من طينتهم ، ولكن بجذوة بيضاء وضاءة مشتعلة :

« أيها العشق ، يا رمز القلوب ،
تعال .. تعال .. يا من أنت الزرع والحصاد !
إن هؤلاء الترابيين ، قد شاخوا
فأنشيء من طينتنا آدم جديداً » ..

ولأن **إقبال** في عشقه ، يترسم خطى المسلمين الأوائل ، في حبهم لله وفي إيثارهم محبة الله والرسول ، على أبنائهم وذويهم وتجارتهم وضياعهم ، فإنه في طريقه لحب الله ، يتربع في قلبه حب الرسول صلى الله عليه وسلم : المثل والقدوة ونبع القدرة والعزة :

« لقد تربع في قلبك معشوقاً سامياً ..
إن القلب بعشقه يضحى قادراً ..
والتراب بعشقه يلامس الكواكب ..
إن مقام المصطفى في قلب المسلم

وما عزتنا إلا من اسم المصطفى ..
إن الطور موجة من غبار بيته ..
والحصير ممتن من نومه ..
وتاج كسرى تحت أقدام أمته ..
لقد استن في الدنيا سنة جديدة ..
وفتح باب الدنيا بمفتاح الدين » ..

والإنسان إذا تشبع بحب الرسول واتخذ منه المثال والقدوة تحول إلى إنسان كامل يرفع رأسه في شمم وعزة ، ويمقت **إقبال** المذلة وطلب الإحسان من الغير :

« يسير ذلك الشاب الوقور تحت الفلك ..
مرفوع الرأس كالصنوبر
....
الحذر .. الحذر من منة الغير ..

إن الذات التي تتطلع للأفلاك ..
تصبح ذليلة بإحسان الغير ..
وبذل السؤال تفلس النفس ..
ويصير المستجدي عدماً ..
فلا تبعثر حفنة ترابك ..
حتى يتسع رزقك أكثر من القمر ..
....
ولا تنشد رزقك من نعمة غيرك ..
ولا ماء البحر من عين الشمس ..
حتى لا تقف خجلاً ..
في الغد ، يوم تفارقك الروح » ..

وما تزال الذات ترتقي ، وتسمو بالمحبة الإلهية ، حتى تستحيل إلى قوة عظمى تحكم العالم ، ويدين لها أكاسرة العصر الحديث .

« عندما تصير الذات محكمة بالمحبة ،
تصبح قوتها حاكمة للعالم ..
فقبضتها مستمدة من قوة الحق ..
والقمر ينشق بأصبعها ..
فتغدو حكماً في خصومات الدنيا » ..

لن تنبعث النهضة الاسلامية إذن ، من الحماس الذي سرعان ما يخبو ولا يتبعه عمل .. لكنها ستنبعث من كل ذات مسلمة ، ارتقت بالمحبة لله وللرسول .. لأنها إذا أخلصت روحها لله ، محبة ، واتبعت التعاليم الاسلامية العملية القائمة على إيثار الجهاد في سبيل الله على الأموال والابناء وكل متاع الحياة .. فسيجد العالم نفسه بإزاء قوة بشرية لا تعرف الكلال ولا تلقي أدنى اهتمام إلى الموت . إذ الموت جهاداً هو الطريق المفضي إلى الجنة ، كما أن الذات المسلمة بعد أن تحقق السلام القائم على القوة وإعادة الحقوق المغتصبة إلى أصحابها ، ستصبح حاكمة للعالم ، ورسول سلام تقضي بشريعة الحق والعدل بين المتخاصمين .. لأنها تملك مقومات الحكم الصحيح القائم على التكافل الاجتماعي بين المسلمين بعضهم وبعض ، وبينهم وبين غيرهم من أصحاب العقائد الأخرى .. فلا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي .. وبعد أن يكتمل النضج للمقومات الاسلامية في كل ذات مسلمة ، فلن يبقى سوى العمل الصالح ، والمعاملات الطيبة - الدين المعاملة - المؤسسة على التقوى ، لقوم يحبهم الله ويحبونه .

« المسلمون أحياء بشريعة واحدة ..
جسد الملة حي بالقرآن الكريم ..

فكلنا تراب وهو القلب المدرك ..
....
فدين المصطفى دين الحياة ..
فإن كنت أرضاً جعلك سماء »

المراجع :

(١) العلامة محمد إقبال - حياته ، وآثاره - للدكتور أحمد معوض .

(٢) إحياء الفكر الديني في الاسلام - تاليف محمد إقبال - ترجمة عباس محمود العقاد .

(٣) تاريخ الفلسفة الحديثة - برتراند رسل - ترجمة د فتحي الشنيطي

(٤) عالم الفكر - فصل التصوف - إيجابياته وسلبياته - للدكتور أحمد محمد صبحي

بقلم : سعد عوض المر

فضل رمضان وعطايا الرحمن فيه

رمضـــــان شهر الخـير فلنر الله من أنفسنا خـيراً :

■■ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوماً وقد حضر رمضان : « أتاكم رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل » (رواه الطبراني) .

ويلاحظ هنا أن رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى لم يأت بلفظ (فيه) قبل أو بعد قوله (من أنفسكم خيراً) رغم أن هذا اللفظ قد جاء بعد ذلك بكلمات قليلة ، لقد كان ذلك من أجل ألا يقتصر طلب الخير من المؤمن على هذا الشهر دون غيره ، أو ينحصر في وقت الصيام فقط ، بل جاء المعنى طليقاً لينسحب ويمتد على شهور السنة الأخرى كافة ، لأن تأثير رمضان يستمر بعد انقضائه ..

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا جاء رمضـــان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين » (رواه البخاري) ، وفي رواية لمسلم : « ... فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين » .. حقاً إنه شهر الرحمات ، شهر الخيرات ، شهر البركات ، شهر البر ، شهر العطف ، شهر المواساة ، شهر الزكاة ، شهر العتق من النار ، شهر الانتصار على النفس ، شهر الانتصار على نوازع الشيطان .

رمضـــــان شهر الانتصـــــارات :

وكما ينتصر المؤمن على نفسه لله بالصيام في رمضان ، فإن الله قد نصره على غيره في كل زمان خلال شهر رمضان ، ولقد صدق من قال : إن شهر رمضان هو شهر الانتصارات .

لقد كان فيه أول نصر للمسلمين على المشركين في غزوة بدر

وكان فيه فتح مكة دون إراقة دماء

كذلك كان فيه انكسار الروم في تبوك حينما ولوا مدبرين من الرعب ...

وما أدراك ما الرعب ! : إنه جند من جند الجبار

سخره الرحمن لنصرة أمة محمد

عليه الصلاة والسلام .

كذلك كان فيه انتصار المسلمين في معركة عين جالوت بالقضاء على الزحف التتاري البغيض ، كذلك تم في هذا الشهر المبارك فتح الأندلس على يد القائد المغوار طارق بن زياد ..

رمضـــــان شهر الصيام ..

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله قال : « بني الإسلام على خمس : شهادة إن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، وصوم رمضان » (رواه البخاري) .

ولقد فرض الله صوم رمضان في بداية شهر شعبان في السنة الثانية من الهجرة على كل مسلم بالغ عاقل . ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (البقرة: ١٨٥) ، وليس شرطاً أن يشاهد كل مسلم هلال رمضان حتى يصومه ، بل يكفي علمه بدخوله وقت أن يشهد بذلك عدلان : يقول رسول الله ﷺ : « صوموا لرؤيته ... » (متفق عليه) ، ويقول الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ ﴾ (البقرة: ١٨٩) .

كذلك يمتد معنى هذه الآية الكريمة على كل مسلم امتد به أجله فجعله حاضراً شاهداً قدوم أول يوم من أيام رمضان بتواجده حياً فيه ما لم يكن هناك عذر يبيح له الإفطار كالحائض ، والنفساء ، والحامل ، والمرضعة التي يتأثر جسمها بالصيام

فضل رمضان وعطايا الرحمن فيه

إذا صامت ، والمسافر سفراً طويلاً يرهقه لا تقل المسافة فيه عن (٨٩ كيلومتراً) يقول الله عز وجل :

﴿ **فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ** ... ﴾ ، أولئك يجب عليهم أن يصوموا بعد ذلك في شهور لاحقة ، لأن تلك الرخصة لا تسقط عنهم تلك الفريضة ﴿ ... **فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾ ، أما مرضى الشيوخ الميؤوس علاجهم أو الذين لا يرجى شفاؤهم ، فإن الله كان بهم رحيماً ..

﴿ ... **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ** ﴾ (البقرة : ١٨٤) .

ويجب أن نتذكر أن نية الصيام محلها القلب ، وعند بعض المسلمين تكون النية كل يوم ، وعند المالكية تكفي النية في أول ليلة نلتقي فيها بسحور رمضان أو قبل أن نتام بمجرد علمنا بأن هلال رمضان قد بان لتمتد هذه النية إلى أيام الشهر كله ، حيث يتمثل العزم والعهد مع النفس على الإمساك عن الطعام والشراب والشهوة طوال شهر رمضان عن كل يوم فيه من طلوع فجره حتى غروب شمسه .

رمضان شهر التقوى والصبر ..

يقول الله عزَّ وجل :

﴿ ... **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (البقرة : ١٨٣) .

لقد فرض الله الصيام على عباده قبل الإسلام رحمة بهم كي يعينهم على تقواه حينما يأخذ منهم قلوبهم بعدما يقبلون عليه فيضعها على طريق رضاه ، وحتى يُمكن ذلك المؤمن من الانتصار على نفسه التي بين جنبيه فيقف ضد أطماعها دون أي عجز فيقول لها : لا .. ، إنك تراه شديد الحرص على الصدق ، فلا يكذب أبداً طالما هو صائم حتى لا يفسد صومه ، كذلك تجده دوماً حريصاً على ألا يغتاب حتى لا يرد الله عليه صومه فلا ينال إلا جوعه وعطشه ، ومن ثم يكون قد امتلك عزيمة قوية يستطيع بها إذابة شهوات نفسه .

لقد فرض الله على الإنسان الصيام ليستطيع به أن يسيطر على هذا المنفذ الذي يتخذه الشيطان متنفساً له بين عقله وفكره يصب فيه وساوسه ويزرع فيه حقده ، فيزين له هواه الذي يجذبه إليه فيهوي به ثم يصبح بعد ذلك واحداً من رفيقه المكبلين بقيود أسره ورذائله ، أما إذا صام فإنه يستطيع أن يقود زمام نفسه ويزكيها بعون ربه الأعلى ، لهذا كان رسول الله ﷺ يدعو ربه دائماً قائلاً : « **اللهم اعط نفسي تقواها ، زكها أنت خير من زكَّاها ، أنت وليها ومولاها** » . كما أن الصوم يعلم الصبر ويعود صاحبه على تحمل المشاق ، وهذا ما قرره الرسول عليه الصلاة والسلام حين قال : « **الصوم نصف البر** » (رواه الترمذي) ، ويقول الله تبارك وتعالى أيضاً :

﴿ ... **فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ** ... ﴾ .

رمضان شهر القرآن ...

يقول الله تعالى :

﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** ... ﴾ (البقرة : ١٨٥) .

إنه ذلك الشهر الذي بدأ فيه نزول القرآن على قلب المصطفى عليه الصلاة والسلام .

ولقد روى الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ كان يلقاه جبريل في كل ليلة من **رمضان** فيدارسه القرآن (أي يستمع منه) .

وقال الرسول ﷺ أيضاً : « **إن هذا القرآن مأدبة الله** » ، وفيما رواه الترمذي عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « **يقول الرب تبارك وتعالى : (من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**) » .

لقد كرّم الله هذا الشهر لأن السماء تلتقي فيه بالأرض ، فتنحني عليها كأم رؤوم تحنو عليها وتقبل جبينها بأجنحة هذه الملائكة ، لأن الله قد خلق من ترابها آدم وسيد الأنام محمداً عليه الصلاة والسلام وعيسى عليه السلام عبدالله ورسوله ، وفوقها أيضاً يُقرأ القرآن في شهر رمضان .

رمضان شهر الحب والنوافل ..

لقد ورد في صحيح البخاري ما أخبر به رسول الله ﷺ عن ربه فيما قاله في أحاديثه القدسية : (**ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه .. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيته**) .

وهل هناك شهر يحقق لنا حب الرحمن الحنان المنان إلا رمضان ، لأن رمضان فيه الصيام ، ومن الصيام تأتي التقوى ، ومن التقوى يأتي الحب : حبنا لله وحب الله لنا ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ... ﴾ (التوبة : ٤ و٧) .

فإذا تمكنت التقوى من هذا العبد دخلت قلبه ثم استقرت فيه ، حينئذ يكون من المتقين المكرمين ..

﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ... ﴾ ، وهو أيضاً شهر الصبر كما قال رسول الله ﷺ : « **هو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة** » ، وبالصبر يكون الصائم حبيب الرحمن ..

﴿ ... **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾ (آل عمران : ١٤٦) .

كذلك هو شهر التطهر بكثرة العبادات والاستزادة في النوافل والطاعات وقراءة القرآن ..

■ إن انتصار المسلم على شهواته وأهوائه هو المقدمة الصحيحة لكل انتصار في ميادين الحياة جميعها ..

■ قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه من أجلي ..

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة : ٢٢٢) .

وإذا كان الصائم في صيامه من الخاشعين تجده قد جاهد نفسه لأنه أحس في كل لحظة أن الله يراه ويراقبه ، فإذا غض بصره وذكر ربه وطهر سمعه أفلا يكون من المحسنين ..

﴿ ... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة : ١٩٥) .

وإذا صلى في ضحاه وأمسى ليله بالشفع والوتر ، وهجر مضجعه وذكر إلهه واستغفر بارئه في جوف ليله وسجد واقترب ، أفلا يكون بذلك قد عرج بهذا السجود إلى ربه الأعلى المعبود ؟ وهذا الصيام إذا أخلص فيه ، وهذا القيام إذا ذاب فيه ، وتلك الصلاة إذا خشع فيها .. أفلا يحبه الله ؟!

رمضان شهر القيام ..

في رواية للنسائي أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله فرض صيام رمضان وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه** » .

وقال رسول الله ﷺ أيضاً : « **من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » ، لم لا والصيام يؤدي إلى التقوى ؟ لهذا نرى هذا الصائم تدفعه تقواه دائماً إلى هجر مضجعه من أجل قيام ليله وقراءة القرآن وذكر الرحمن ، إنها بعينها كل الصفات التي عددها الله لنا في كتابه الكريم عن هؤلاء المتقين الذين ﴿ **كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ** ... ﴾ (الذاريات : ١٧) .

هذا وقد روي عن لقمان الحكيم أنه قال : **يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة (أي تكاسلت)** .

رمضان شهر الاستغفار في الأسحار

يقول الله عز وجل :

﴿ ... وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ... ﴾ (الذاريات : ١٨) ، ويقول أيضاً :

﴿ ... وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ... ﴾ (آل عمران : ١٧) .

لهذا كان شهر رمضان هو ذلك الصاحب الأمين الذي يعود المؤمن على المداومة على هذه الطاعة بغية الاستمرار فيها إذا ولى عنه ، فالصائم لابد أن يقوم في جوف الليل ليتناول طعام سحوره حتى يستطيع أن يواصل صومه ، وفي أثناء ذلك يتذكر ما صدر عنه من آثام ، وما غفل عنه من طاعات ، فيستغفر .

إنك لا تكاد ترى يوماً في رمضان يمر دون أن يقوم الصائم ليتسحر ويستغفر طاعة لقول رسول الله ﷺ حينما أوصانا بالسحور : فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **تسحروا فإن في السحور بركة** » (متفق عليه) .

رمضان شهر الذكر والتسبيح ..

يقول الله تعالى :

﴿ ... وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً ... ﴾ (الأنفال : ٤٥) .

وفي رمضان يكاد يكون التسبيح والذكر في كل وقت في نهاره وليله : فحين الفطور يذكر الصائم ربه ويسبح ثم يحمد كذلك حين السحور ، وعند أطراف النهار ، وعقب كل صلاة نافلة أو مكتوبة .

وفي كل لحظة لا ينسى فيها الصائم أنه صائم هي (**ذكر لله**) لأنه يتذكر فيها ربه وأنه عز وجل يراقبه فيبتعد عما يغضبه ، وحينما يتألم من الجوع أو تتلوى معدته من الألم أو تحترق أحشاؤه عطشاً فإنه لن يجد ما يبرؤها أو يطفيء نارها إلا هذا الذكر وصلاة التراويح وتلك التسابيح التي يسبح فيها الصائم إلى أعلى فيطفو فوق أحاسيسه الذاتية لينعم في هذا النور الإلهي سابحاً مشتاقاً .

رمضان شهر التراويح ...

إن صلاة التراويح في ليالي رمضان سنة مؤكدة حتى يشعر الصائم بعد فطوره أنه لا يزال متصلاً بالله ، وحتى يشعر الصائم أيضاً بتلك الراحة : (**تلك التي اشتق اسمها منها**) .

إن الصائم يؤديها بعد صلاة العشاء فيصليها ركعتين ركعتين حتى يصل إلى ثماني ركعات ثم يتم الاستمرار في أدائها حسب المقدرة حتى تبلغ العشرين في كل ليلة ، ثم تختم بصلاة الوتر .

إن صلاة التراويح هي جزء من قيام الليل ، ويفضل صلاتها في جماعة بالمسجد لإمكان قراءة القرآن كله أو معظمه على مدار ليالي رمضان .

رمضان شهر الاعتكاف ..

إن معنى الاعتكاف هو مكوث الصائم في المسجد للذكر والصلاة والتسبيح والتهجد وقراءة القرآن والاستغفار والدعاء دون أن ينشغل بأمور الدنيا حتى النساء .

يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ... وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ... ﴾ (البقرة : ١٨٧) .

ولا يخفى عليك أن كثيراً من المسلمين قد لمسوا هذه الشفافية التى ذابت في أنوار تلك الآية الكريمة المباركة التي صورت هذا الصفاء الروحي والطهارة الجسدية لذلك المعتكف ، كذلك لمحوا في كلماتها هذا الرضى والضياء الإلهي الذي يتجلى على من يأتي هذه النافلة التي أباحها الله ، لهذا يخطىء من يعتقد أو يظن أو يقول بأن الاعتكاف هو تشدد أو غلو في العبادات أو

فضل رمضان وعطايا الرحمن فيه

زهد للحياة ، لا ... لأن عشرة أيام طوال العام ليست بكثيرة ، ونحن نرى في كثير من الدول تلك الإجازات التي تبلغ يومين كل أسبوع حتى يعود العامل لعمله في نشاط .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ : إذا دخل العشر الأخير من رمضان ، شد مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله .

وما الاعتكاف إلا تهيئة للنفس والجسد ليقبل المؤمن بعد ذلك على ربه راضياً مرضياً وحتى يطمئن في عبادته حتى يتوفر الإخلاص الكامل فيها والتسليم لله رب العالمين دون أن ينشغل عمن سواه أو بأمور الحياة تمكيناً للروح من استقبال ونزول الملائكة ، ولمعاونته على التماس **ليلة القدر** والتعرض لنفحات الله فيها .

رمضان فيه ليلة القدر . .

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾ (القدر : ٣) ، ويقول أيضاً :

﴿ ... **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ** ... ﴾ .

إنها ليلة تتنزل فيها الملائكة الكرام ، فتتجمع حول قارىء القرآن ، ومن ثم تكون سلاماً في سلام في ضياء ، بل ونوراً حتى مطلع الفجر ، إنها في العشر الأواخر من رمضان كما أخبرنا بذلك المصطفى عليه. الصلاة والسلام حين قال : « **تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان** » (رواه البخاري) .

إنها ليلة تتجل فيها السماء على الأرض فتكون في أبهى حللها ، وتتفتح أبوابها لتستقبل الدعاء ، لهذا كان من الواجب على الصائم أن يتخير أحلى الدعاء وأكثره نفعاً لدنياه وآخرته ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ما أقول فيها ؟ قال : « **قولي : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني** » (متفق عليه) .

رمضان شهر الدعاء . .

إن الدعاء عبادة كما يقول الله جل شأنه :

﴿ ... **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ (غافر : ٦٠) .

وشهر رمضان فيه ليلة القدر التي تذكر وتحفز المؤمن الصائم طوال شهر رمضان على التقرب لله بهذه العبادة خاصة في العشر الأواخر منه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم** » .

نعم لقد فطن الصائم حكمة وجود آية الدعاء التي وردت في سورة البقرة بين آيات الصيام .. بل وفي قلبها دون سابق تمهيد أو امتداد لمعاني أو اتصال ما يليها بما انتهت إليه ..

﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ البقرة : ١٨٦) .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « **إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، فتحت أبواب الجنان ... ونادى منادٍ في كل ليلة إلى انفراج الصبح ... هل من مستغفر يُغفرُ له ؟ هل من تائب يتوب الله عليه ؟ هل من داع يستجاب له ؟ هل من سائل يُعطى سؤله ؟** » .

فهل هناك كرم أكثر من هذا يصب على الصائم صباً ؟!!!

عطايا جسدية . . وعطايا غيبية . .

إن هذه العطايا التي سيرد ذكرها بعد هي هبة الله عز وجل لهؤلاء الذين يصومون رمضان إيماناً واحتساباً لوجهه ، إن تلك العطايا تنقسم إلى مجموعتين :

أولهما : **ما عجله الله لنا في حياتنا الدنيا ، تلك التي تعود على صحتنا فتقوي أبداننا ، وتشفي أجسادنا من أمراضها ، وبصيامنا تستريح جميع أجهزة أجسامنا من شر وعاء فيها ألا وهو هذه المعدة .**

كذلك يساعد الصيام في تحريك تلك المشاعر نحو الإخلاص في الطاعات حينما تصح الأبدان فتصفو النفس وتستقر السكينة بين جنبات الصائم فلا يتعرض لأي قلق أو توتر عصبي .

وفي نهاية الصيام من كل عام يأتي بعده يوم الجائزة ، حينما يقبل العيد علينا بانشراح ، فنهلل ونكبر ونحمد ونمجد لا لأن رمضان قد ولى عنا وأدبر ، لا .. بل لأن الله قد أعاننا على أداء فريضة مكتوبة وفيه أخرجنا زكاة الفطر ، وفيه اقتربنا من مولانا في الذكر والنوافل .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « للصائم فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر فرح بفطوره » (رواه البخاري) .

أما العطية الأخرى فهي عطية الآخرة ويكفي أن الله هو الذي أخذ على نفسه عهداً بأنه هو الذي سيجازي به ، لأن هذه العبادة هي سر بين الله وعبده ، لا يستطيع أن يحس بها أو يقدرها أي إنسان آخر غيره ، ذلك لأنها فريضة لا يتحرك فيها أي عضو من الجسم أمام أحد من الخلق مثل باقي الفرائض الأخرى التي لا تتم إلا بتحريك بعض الجوارح .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ، قال الله عز وجل : (**كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**) (رواه البخاري) .

بقلم: د. محمود بن الشريف

البشرية و الدين

■■ مع مولد البشرية كان ميلاد عقلها وميلاد عقيدتها.. وكلما سارت الإنسانية في طريقها نحو التكامل والنمو صاحبتها عقيدتها في ذلك الطريق، يهديها نور النبوات، وتوجهها رسالات السماء إلى الحق، وإلى دين الله، والله هو الحق المبين.. ■■

الدين والفطـــرة..

ولمّا كتب الله للبشرية أن تنضج وترقى وتعرج في معارج من الكمال والسمو، كتب كذلك للشريعة أن تتدرج في مجالات النمو والسمو والتكامل والتسامي حتى وصلت كاملة في النهاية إلى أكمل الخلق وخاتم الأنبياء ورسول الإسلام محمد ﷺ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣).

وإذا كانت تعتري الإنسانية فترات ما تبدو فيها أنها طرحت رداء الدين، أو ألقت عنها ثوب العقيدة، أو عاشت في فراغ عقيدي أو جدب روحي، فما ذاك إلا فورة عارضة، أو نوبة طارئة، أو لوثة لا تلبث بعدها إلا أن تثوب إلى حظيرة الإيمان وتثوب إلى ساحة الحق.

وما تلك إلا لحظة من لحظات التطاول أو الانحراف الإنساني سرعان ما تتبدد وتعود بعدها إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها.. إلى صبغة الله.. إلى دين الله، إذ الدين مركوز في الطباع، مترسب في الأعماق منذ الإنسان الأول، بل منذ الأزل.. منذ الميثاق الأول، الذي أخذه الله على الناس جميعاً وهم في ظهر الغيب، وفي ظهور آبائهم.. في اللحظات الأولى عند بدء الخليقة، وعند ظهور البشرية، لتؤمن البشرية بوجوده وتعترف بألوهيته: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا... ﴾ (الأعراف: ١٧٢).

والإنسان حيوان متدين، **وإذا كان الإنسان، كما يقولون، مدنياً بطبعه، فهو متدين بفطرته.**

وما كانت للبارىء، جلّت حكمته، أن يخلق الخلق، ويوجد البشر، ثم يتركهم هملاً بلا عقل، ولا عاطفة، ولا دين.. فالدين متأصل في النفوس.. والاعتراف بالربوبية في أعماق البشر منذ الأزل.

والطلائع البشرية التي رادت طريق الإنسانية الأول كان يحدوها إيمان كامن في الأعماق.. والأمم التي تكاملت حضارتها وأخذت زخرفها وازّينت لها مع هذه الحضارة المدنية حضارة دينية بعيدة الجذور عميقة الأغوار.

حتى القبائل البدائية المتقوقعة الآن في الأحراش والأدغال، والتي لا تعرف إلا شريعة الغاب والناب تؤمن كذلك بالقوة الإلهيــة: **«فقبائل الهوتنتوب الإفريقية التي لم تفارق مرتبة الهمجية حتى اليوم ولا يزال أناس فيها يأكلون لحوم البشر، تعرف إلهاً واحداً فوق جميع الآلهة يسمى أبا الآباء»**(١).

الحاسة الدينية بعيدة الغور في طبيعة الإنسان..

فالدين القيم هو **«فطرة الله»** و**«صبغة الله»**.

وإن الأناسي جميعاً خُلقوا على هذه الفطرة الدينية، وعلى تلك الجبلة القائمة على معرفة الله والاعتراف به، ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ (الروم: ٣٠).

ويقول عليه الصلاة والسلام: **«كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يُمجسانه كما تُنتَجُ البهيمة بهيمةً جمعاء هل**

تُحسُّون فيها مِن جدعاء » [رواه البخاري] .

يقول عباس العقاد في كتابه « الله » :

« ففي الطبع الإنساني جوع إلى الاعتقاد كجوع المعدة إلى الطعام » ، ثم يقول :

« حق لا يقبل المراء أن الحاسة الدينية بعيدة الغور في طبيعة الإنسان .. وحق لا يقبل المراء أن الإنسان يجب أن يؤمن ، ولا يستقر في وسط هذا العالم بغير إيمان ، وهو قد وُجد في وسط هذا العالم لا مراء ، فإذا كان الإيمان هو الحالة التي يتطلبها منه وجوده فضعف الإيمان شذوذ يناقض طبيعة التكوين ، ويدل على خلل في الكيان ، وقد اتفق علماء المقابلة بين الأديان على تأصل العقيدة الدينية في طبائع بني الإنسان من أقدم أزمنة التاريخ » .

ويقول العالم المؤرخ الدكتور سليم حسن :

« دلَّت البحوث العلمية البحتة حتى الآن على أن لكل قوم من أقوام العالم عامة - مهما كانت ثقافتهم منحطة - ديناً يسيرون على هديه ويخضعون لتعاليمه ، ولما كانت السلالة البشرية تضرب بأعراقها إلى عهود قديمة قبل التاريخ ، فإنه يكاد يكون من المستحيل على الباحث المدقق في أصول الديانات أن يتبع الخطوات التي نهجها دين ما من الأديان القديمة المعروفة لنا من البداية حتى النهاية ... » .

ويقول الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه « الدين » :

« إن فكرة التدين فكرة مشاعة لم تخل عنها أمة من الأمم في القديم والحديث رغم تفاوتها في مدارج الرقي ودركات الهمجية ، وإنها أقدم في المجتمعات من كل حضارة مادية ، وإنها كانت تُعبر عن نزعة أصيلة مشتركة بين الناس » ، ثم قال :

« إن فكرة التدين في جوهرها ليس هناك دليل واحد على أنها تأخرت عن نشأة الإنسان » .

ويقول معجم « لاروس » للقرن العشرين : « إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية ، وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية » ، ويقول : « إن هذه الغريزة الدينية لا تختفي ، بل لا تضعف ولا تذبل إلا في فترات الإسراف في الحضارة » .

ويقول هنري برجسون :

« لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وآداب وفلسفات ، ولكنه لم توجد جماعات بغير ديانة » .

وقد عرض الدكتور « دراز » في كتابه آراء الكتاب الأوروبيين في القرن الثامن عشر الذين قالوا إن الديانات نُظُم مستحدثة وأعراض طارئة على البشرية !! وناقش هذه الآراء وعَرَّض بها ، وقال إنها ترديد لصدى قديم كان يردده أهل السفسطة من اليونان الذين زعموا أن الإنسان كان في أول نشأته يعيش بغير رادع من قانون ، ولا وازع من خُلق ، وأنه كان لا يخضع إلا للقوة الباطشة ، ثم كان أن وُضعت القوانين فاختفت المظاهر العلنية من هذه الفوضى البدائية ، ولكن الجرائم السرية ما برحت سائدة منتشرة فهنالك فكر بعض العباقرة في إقناع الجماهير بأن في السماء قوةً أزلية أبدية ترى كل شيء وتسمع كل شيء ، وتهيمن على كل شيء » .

ثم أورد الأسباب التي من أجلها راجت هذه الآراء في أوروبا الحديثة وأرجعها إلى الانحلال الخلقي عند بعض رجال الكنيسة ، وإلى ظُلم القوانين الوضعية ، وسوء توزيع الثروة العامة .

وما كان للحقيقة العقيدية أن تصل إلى الناس كاملة متكاملة في عصر واحد ، أو تتجلى لهم على حقيقتها في مطلع الزمن الأول ، فإن العالم الذي يخطر له أن يبحث في الأديان البدائية ليثبت أن الأولين قد عرفوا الحقيقة الكونية الكاملة منزهةً عن شوائب السخف والغباء إنما يبحث عن محال .

فلا جرم بعدُ .. أن كانت البشرية في مسراها العقيدي تنتابها - في جميع أطوار تطورها إلى أن بلغت رشدها العقيدي في عهد خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام - نوبات استيقاظ ، وتفتح ، ووعي ، وتطلع : تبحث وتدرس ، وتنشد المعرفة الحقة ، ولو بعض المعرفة ، وذلك شأن الإنسانية وشأن الإنسان في كل آن .. فالإنسان وهو وليد صغير ، لا يدري عن عالمه شيئاً ، وكلما نما ونمت مداركه يحاول أن يعرف .. ليصل .

● إن التدين أمر فطري مركوز في الطباع عائش في الأعماق منذ الانسان الأول ..

● قد توجد جماعات انسانية من غير علوم وفنون وآداب وفلسفات لكنه لم توجد جماعات بغير ديانة ..

● العقـــاد :
حاجة الإنسان إلى الاعتقاد كجوع المعدة إلى الطعام . ●

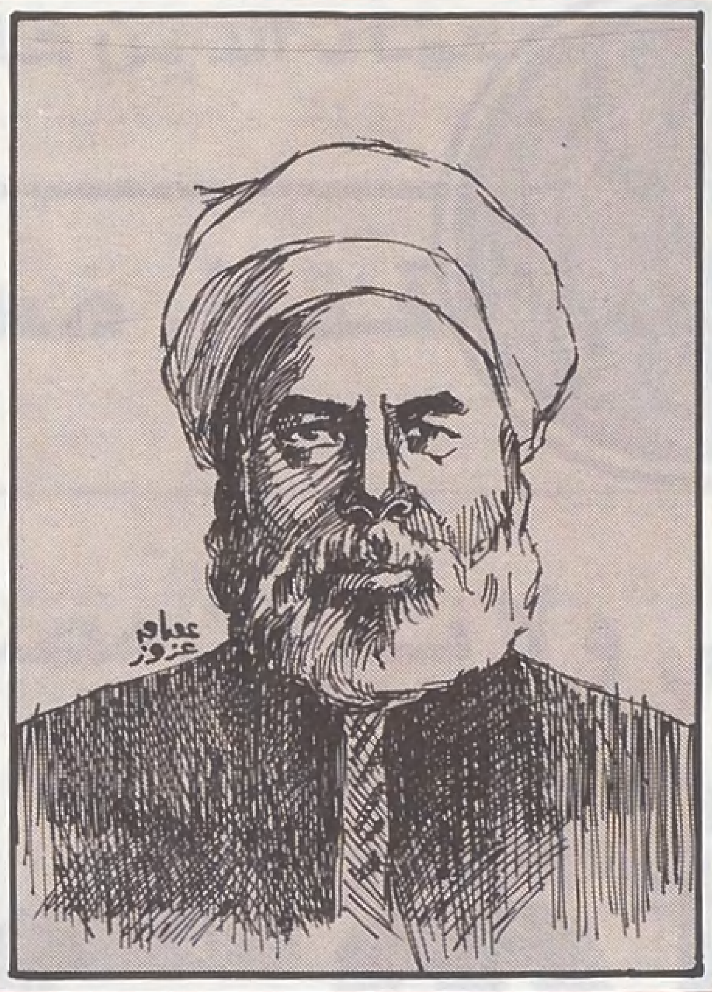

● محمد عبـده :
غرائز البشرية لا تكفي لتوجيه السلوك ●

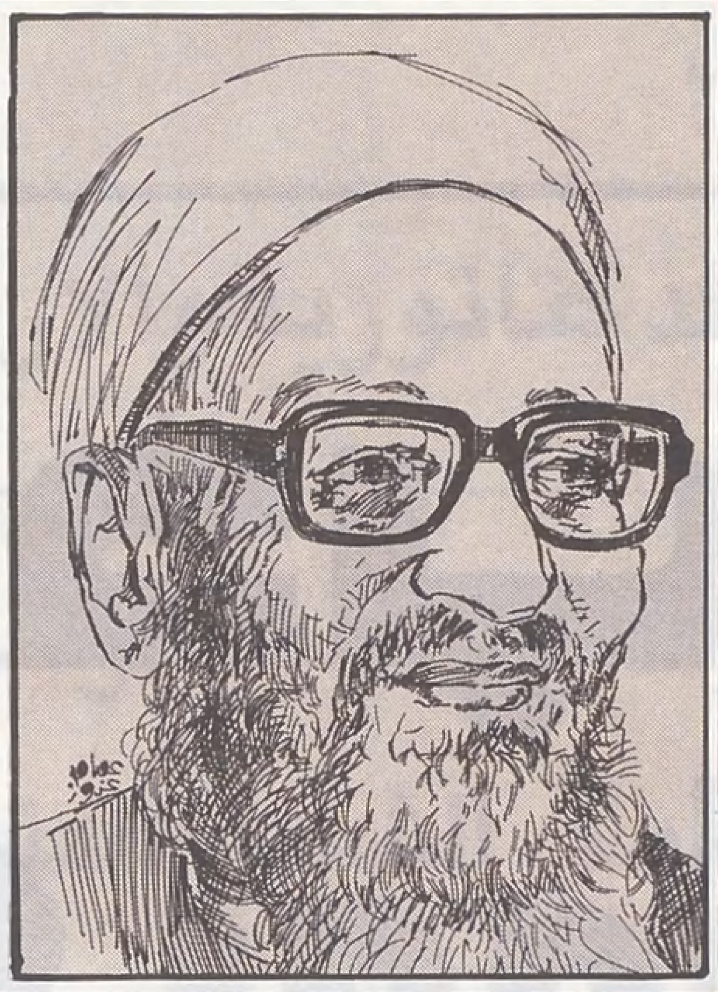

● الشيخ د. عبد الحليم محمود :
القـرآن هـاد للعقل ●

لا تكفي المعرفة العقلية .. بل لا بـد من الرسـل ..

استيقظت العاطفة الدينية لدى البشر ، واستيقظ فكرهم باحثاً منقباً يريد أن يصل إلى الله ، ويأخذ الله بيد العقل ، وبيد البشر ، ويوصلهم عن طريقين :

● **طريق عقلي بشـري** : طريق « الوعي الكوني » .. طريق البحث والنظر في ظواهر الكون ومظاهر الطبيعة .

● **وطريق إلـهي** : طريق المرسلين من الهداة والدعاة يأخذون بيد المتطلعين إلى المعرفة والمتشوقين إلى الحقيقة ، وإلى الهداية . وإلى الربوبية .. وإلى التوحيد .

يقول **الإمام محمد عبده** : « **إن غرائز البشر ـ وحدها ـ ليست كافية في توجيه أعمالهم إلى ما فيه صلاحهم فلابُدّ لهم من هداية أخرى تعليمية تتفق مع القوة المميزة لنوعهم ، وهي قوة الفكر والنظر ، تلك الهداية التعليمية هي : هداية الرسل منهم والكتب التي ينزلها الله عليهم** » .

وفي هامش كتاب « **إظهار الحق** » لرحمة الله الهندي تنبيه على « **أن العقل لا يستقل في معرفة كثير من الأمور** مثل : **المعاد الجسماني ، وأكثر أحوال الآخرة ، وبعض صفات الله ، ووظائف العبادات وغيرها** ، ثم قال : « **ولا شك أن أمر المعاد أهم من أمر المعاش ، وأن حكم العقل فيما يستقل بمعرفته أيضاً لا يكون موثوقاً به في جميع الأوقات ، لأن العقول متفاوتة ، ولا سيما إذا لاحظنا أن للأمزجة والعادات دخلاً في الاعتقادات ، وأن لكل قوم مشهورات مخصوصة بهم ، مسلمة عندهم** ، بل هي في منزلة البدهيات عندهم وغيرهم لا يسلمون بها ، بل يردونها وجوباً ، وكذا إذا لاحظنا أن النفس مسخرة للوهم ، وله استيلاء عظيم عليها .

ولذا ترى أن أكثر الناس منهمكين في أوهام باطلة مدة عمرهم فتشتبه على العقول غالباً المشهورات والوهميات بالأوليات » .

هدايـــة الدين للعقل ..

« فالتفويض في مثل هذه الأمور إلى العقل مظنة التنازع والتقاتل واختلال النظام ، وأن ما لا يدرك حسنه وقبحه قد يكون حسناً في الواقع يجب فعله ، وقد يكون قبيحاً فيه يجب تركه .

فالعقل غير كاف ، ولابد من الاحتياج إلى نبي .. وهذا النبي يعاضد العقل ، ويؤكد حكمه ، ويجعله موثوقاً به فيما يستقل العقل بمعرفته مثـل : وجود البارىء ، وعلمه وقدرته ، فيكونان بمنزلة دليلين على مدلول واحد ، ويرشد العقل ويهديه فيما لا يستقل بمعرفته ، مثل : **المعاد الجسمي** ، ويكشف عن وجود الأشياء التي لا يدرك العقل حسنها وقبحها ، فثبت أن البعثة ضرورية ورحمة للعالمين » .

وقد عقد الإمام الراحل **الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق** رحمه الله ، عقد في كتابه « **الإسلام والعقل** » فصلاً تحت عنوان : « **القرآن هادٍ للعقل** » انفرد فيه بالحديث عن موقف القرآن من العقل ، وتبيان صلة الدين بالعقل ، وهداية الدين للعقل في مناحي السلوك ، والتشريع ، وما وراء الطبيعة .

وقال إنه لو تُرك الناس وعقولهم في هذه المسائل فإنهم يختلفون .. ويتفرقون فرقاً عديدةً ، ويتنازعون ولا ينتهي الأمر بهم إلى الوحدة والانسجام ، ولا إلى الهدوء والطمأنينة .

ثم قال : **إن القرآن جاء بالحق المعصوم ، الحق العاقل المعقول ، الحق المتزن الموزون ، الحق الذي كل ما عداه باطل ، ولقد تركز الحق في مسائل الدين بين دفتي هذا الكتاب الموحى ، وفيما أخبر به الرسول صلوات الله وسلامه عليه شرحاً ، وتفسيراً ، وإبانة** » .

ثم قرر أن القرآن دليـل العقل ، ولا يناقض العقل ، بل هو هادٍ ومرشد له ، وعلى العقل أن يلجأ إليه في كل ما يأتي به ، وأنه ليس للعقل في النهاية إلا أن يسجد للوحي الإلـهي ، وهو ليس بسجود تحكمي أو تعسفي ، وإنما هو سجود مصدره الإيمان اليقيني بأن هذا من عند الله ، وما دام من عند الله فإنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، **والله الموفق وهو المعين** .

هـــوامش :

(١) ص ٢٦ من كتاب « الله » للعقاد .

الأدب في مواجهة المادية

المؤلف ... والكتاب !!

■■ في كتاب (الصرخة المختنقة) للكاتب الانكليزي « جون سترايتشي »(١) ، نلتقي بأكثر من تحليل عميق للموقف الماركسي في النظرية والتطبيق ... للتناقضات ، والأخطاء ، والسلبيات ، والتزييفات التي يعانيها هذا الموقف .. للطرق المسدودة التي قطع منها خطوات ثم أعجزته الحيلة عن مواصلة المسير وذلك من خلال تناول المؤلف بالعرض والدراسة لخمس من المعطيات الأدبية (في أوروبا وانكلترا وأمريكا وروسيا) ، تعد بمثابة مراكز ثقل في التيار المضاد للماركسية الذي حمل الأدب رايته عبر نصف القرن الأخير .. وهو تيار متدفق أخذ يتزايد بمرور الزمن ويفرض نفسه فرضاً في العقدين الأخيرين على وجه الخصوص .. ■■

كلنا يتذكر رواية المجري الشيوعي المرتد **آرثر كويستلر (ظلام في الظهيرة)** ونذكر معها ـ كذلك ـ رواية الشاعر الروسي الشهير **بوريس باسترناك (الدكتور زيفاغو)** ، كما نذكر روايتي الأديب الانكليزي **أرويل (مزرعة الحيوان) و (١٩٨٤م)** .. وها هو **سترايتشي** يتناول بالتحليل هذه الأعمال الأربعة ، مضيفاً إليها كتاب (**الشاهد**) ، الأقل أهمية ، بسبب صدوره عن كاتب أمريكي هو (**ويتيكر تشمبرز**) كان قد انتمى للماركسية يوماً ثم خرج عليها لكي ما يلبث أن يتحول إلى (**واش**) أو (**مخبر**) لصالح السلطة الأمريكية ضد رفاقه القدامى في العقيدة !!!

ويسعى **سترايتشي** إلى استخلاص وتركيز الدلالات الأساسية لما يمكن تسميته بأدب الرفض ضد الماركسية(٢) . ويستطيع أي قارىء ، إذا ما تابع الكتاب بعمق ، أن يضع يده على العديد من هذه الدلالات التي تجيء بمثابة تبرير للرفض ، ودعوة ـ في الوقت نفسه ـ لتحرير المجتمعات البشرية من كوابيس القهر الفكري والتيبس العقائدي : (**الدوغماتية**) .. وإقامة عالم يكون لحرية الإنسان فيه ، ولمطامحه الروحية والأخلاقية والجمالية ، مكان كبير ..

وجون **سترايتشي** ـ كما تعرفنا به لجنة الترجمة ـ هو قطب من أقطاب الاشتراكية البريطانية وعضو بارز من نوابها في مجلس العموم ، والناطق بلسانها في شؤون جامعة الشعوب البريطانية في هذا المجلس ؛ ويعتبر من أبرز مفكري حزب العمال وموجهيه في سياساته الاشتراكية ، ولكنه لا يقصر جهوده على الخطب والكلمات التي يلقيها في الندوة البرلمانية ، وإنما يتعداها إلى المقالات العميقة التي ينشرها بين الحين والحين في أمهات الصحف البريطانية ، والتي يعالج فيها قضايا الفكر والمذاهب السياسية ومسائل التاريخ والفلسفة .. « **وأدب الردّة الذي عبر عنه سترايتشي بـ (الصرخة المختنقة) استنكاراً لما في التزمت العقائدي من عقم وجدب ، وبرهنة على أن جميع المحاولات لتطبيق المفاهيم الاجتماعية على أسس عقلية (مجردة) فاشلة لما فيها من خامية وزيف واصطناع . فهناك ، بالإضافة إلى القواعد العقلية المادية ، في رأيه ، مفاهيم وقيم روحية ، تتمثل في النظرات الجمالية إلى الحياة ، والتجارب التي مرت بها العقائد والأديان في التاريخ الإنساني ، وإن هذه النظرات والتجارب يجب أن تسير جنباً إلى جنب مع القيم والمفاهيم المادية الحديثة ، سواء أكانت شيوعية أو اشتراكية ديمقراطية أو نيوديلية ، أي : مذهب التوزيع الجديد الذي جاء به روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأسبق** » (المقدمة ص ٨ ـ ٩) .

ويكتسب الكتاب أهميته بالدرجة الأولى من كون مؤلفه لا يعتمد في جدله الرؤية أحادية الجانب التي تتشبث بموقفها ، وتتحول معطياتها بالتدريج إلى عمل دعائي لا يستند إلى الأسس الموضوعية للنقاش .. فهو من جهة يرفض الطريقة التي اعتادها المفكرون الغربيون والتي تقوم على التقليل المبالغ فيه لأهمية العقيدة الماركسية ، ويؤكد على الحجم الكبير للدور الذي تلعبه في العالم المعاصر ؛ وهو من جهة أخرى يصب نقداته التي لا تقل حدة ومرارة على الطرف الآخر ، الطرف الرأسمالي بصيغه المختلفة ، فهو « **يعترض على الأساليب التي تتبعها**

بقلم: د. عماد الدين خليل

■ الصمت هو أحد صيغ القتال ضد الدكتاتورية والارهاب.

■ العقل وحده لايكفي ولابد من مصدر ديني للمعرفة يمنح العقل البشري القدرة على العمل الشامل المتوازن الحر الواعي.

الرأسمالية البالية المحافظة للحفاظ على نفسها، وعلى التفاهات التي يشهرها اشتراكيو بريطانيا ليرثوا الحكم في بلادهم، أما الفاشية في نظره فانحراف ينطوي على تناقضات ذاتية فورية تحول دون حل الأزمات الاقتصادية، بينما لا تمثل (النيوديلية) الأمريكية إلا محاولة يائسة للتغلب على الأزمات الاقتصادية الخانقة» (المقدمة ص٩).

وهو فضلاً عن هذا وذاك - كثيراً ما يضع جنباً إلى جنب الروح الجماعية ذات الطابع القسري التي تعمل عملها في كلا المعسكرين الروسي الشيوعي والأمريكي الرأسمالي على السواء، حيث تسود المادية، وحيث يسحق الفرد ويرغم على اتباع هذا الطريق أوذاك.. لكن الكاتب - مدفوعاً بنزعته الانكليزية - يمنح تقييماً مبالغاً فيه للتجربة الاجتماعية والفكرية في بريطانيا التي يعتبرها «الأرض التقليدية للتباين»، ويرى فيها مؤشرات يمكن اعتمادها للخروج من الأزمة التي تعانيها الحضارة الغربية بكلا جناحيها..

لكن بريطانيا الخمسينيات، حيث كتب ستراتيشي مقالاته التي يتضمنها الكتاب، هي غير بريطانيا السبعينيات: بريطانيا التمزق والحرب الأهلية والانهيار الاقتصادي والنعرات الإقليمية، ومن ثم فإن مبدأ التباين من أجل التباين، لا يمثل بصيغته المفرغة تلك طريقاً للخلاص.. ولابد من عقيدة كبيرة.. عقيدة تتوازن في معادلتها الصعبة قيم العدل وقيم الحرية.. ويلتقي الفرد بالمجموع.. وتنصهر معطيات الروح والمادية في حياة متدفقة واحدة.. وهذا ما يعود لكي يؤكد عليه أكثر من مرة، فهو يملك من الذكاء القدر الذي يجعله لا يستسلم بالكلية لإغراءات البيئة المحدودة ومزاياها التي قد لا تستمر طويلاً.. ومن ثم فإن أصح ما يمكن أن توصف به دعوته، ما أطلقه هو نفسه على أدب الرفض من أنه «عرض للقيم الإيجابية من دين وحب وأخلاق وفن» وأنه «إدراك واسع لأقانيم القيم، تتكشف قوته الخلاقة في الفن والدين والأخلاق»..

العقل وحده لا يكفي..

العقل وحده لا يكفي، ولابد من مصدر ديني للمعرفة يمنح العقل البشري القدرة على العمل الشامل، المتوازن، الحر، الواعي.. في العالم.. ليس هذا فحسب، بل إن أشد المذاهب المادية عقلانية، أو ادعاءً باعتماد العقل - بعبارة أدق - تجد نفسها بمرور الوقت، نتيجة تطرفها وتشنجها، تتحرك باتجاه مضاد تماماً للعقلانية، وتصر على إلغاء الكثير من معطيات العقل البشري عبر تاريخ النشاط الإنساني.. بل الكثير من بداهاته.. أيضاً!!

ذلك هو أحد الخطوط الأساسية التي نستخلصها من (الصرخة المختنقة) المدعمة بالوقائع والنصوص، والتي يمنحنا إياها ما يسميه ستراتيشي أدب الردة، وما يمكن تسميته - بشكل أدق - أدب الرفض!! «إني لأذكر - يقول ستراتيشي - انني وجهت سؤالاً إلى كويستلر في ذلك الاجتماع الذي عقد في عام ١٩٤١م عما عناه بالعنوان الذي وضعه لقصته وهو (الظلمة عند الظهيرة)، وكان عقلي في ذلك الحين قد تخدّر إلى الحد الذي جعلني لا أفهم المعنى البسيط الواضح لكسوف العقل البشري، في الوقت الذي كان من المنتظر أن يكون التنوّر الفكري قد وصل أوجه، بوصول أول حكومة تستند عن وعي على المذهب العقلي إلى السلطان (ويعني بها الحكومة السوفييتية). ولعل ما هو أكثر أهمية من ذلك أن هذا المعنى قد فات في الوقت نفسه على المؤلف. وقد ابلغني كويستلر ان هذا العنوان جاء كاقتراح من دافني هاردي (مساعده الأمين ومترجمه الموثوق) وانه هو نفسه لم يعرف حقيقة معناه وإن كانت اذنه قد استساغت ما في هذا الاقتراح من جرس. ولا ريب في أن هذه هي كفايات في بعد النظر للعقل اللاواعي لمؤلف يمتاز بالموهبة الخارقة في نقطة تحوّل تاريخية» (ص٣٦).

تلك هي إذن مأساة العقل البشري التي حذرت منها الأديان!! فها هو العقل في عزّ ظهيرته.. في قمة تنوره، يرتكس في الظلام وهو يحسب أنه يحسن صنعاً.. ما الذي يمنعه وقد رفض الدليلين معاً: قيماً معرفية تأتي من فوق، تتميز بالشمولية والاستشراف، والتزامات أخلاقية تنبثق من الداخل وتملك القدرة على كبح العقل عن ممارسة تألهه في الأرض.. تسلطه على الأرض؟!

ما الذي حدث في روسيا في ظهيرة العقل لكي تغطي السحب شمسها اللاهبة، فتظلم وتسود؟ لنا أن نقلب صفحات العصر الستاليني.. إن كويستلر - كأديب - ليس شاهداً وحيداً... هنالك شهود من قادة الروس أنفسهم، وإن «كل ما يتحدث عنه كتاب (الظلمة عند الظهيرة) من حوادث قتل وتعذيب واعترافات ومجاعات، حقائق وقعت بالفعل. ولقد شرحها خروشيف نفسه بشكل اكثر صحة ووثوقاً من شرح كويستلر لها» (ص١٩).

وإذا كان الأدب هو إحساس الأمة وقلبها وفؤادها، وكان الأديب هو المتحدث بلسانها، فإن حركة (التراجع عن المذهب العقلي) التي بدأتها رواية (الظلمة عند الظهيرة) كرد فعل للكارثة الفكرية والمعنوية التي خلفتها الشيوعية، هي ليست حركة استثنائية لهذا الأديب أوذاك، ولكنها قد تكون حركة قطاعات واسعة من جماهير الأمة، تعاني منها البلاء ولكنها

قراءات

الأدب في مواجهة المادية

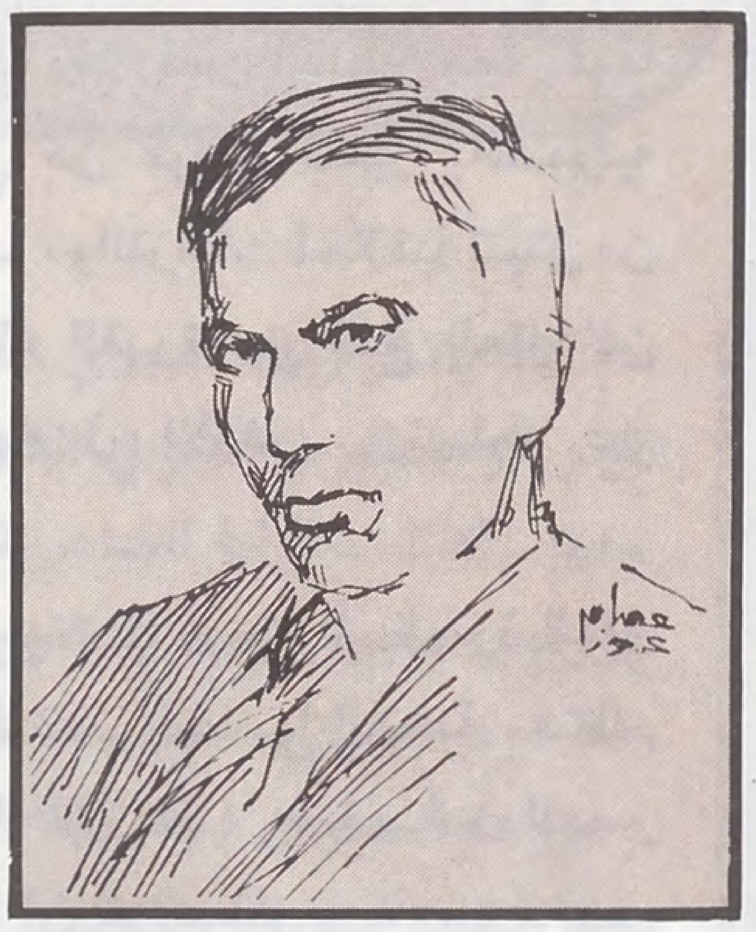

● بوريس باسترناك :
رفض وإدانة المذهب العقلي الصرف الذي يجرد الحياة البشرية من القيم الإيجابية ●

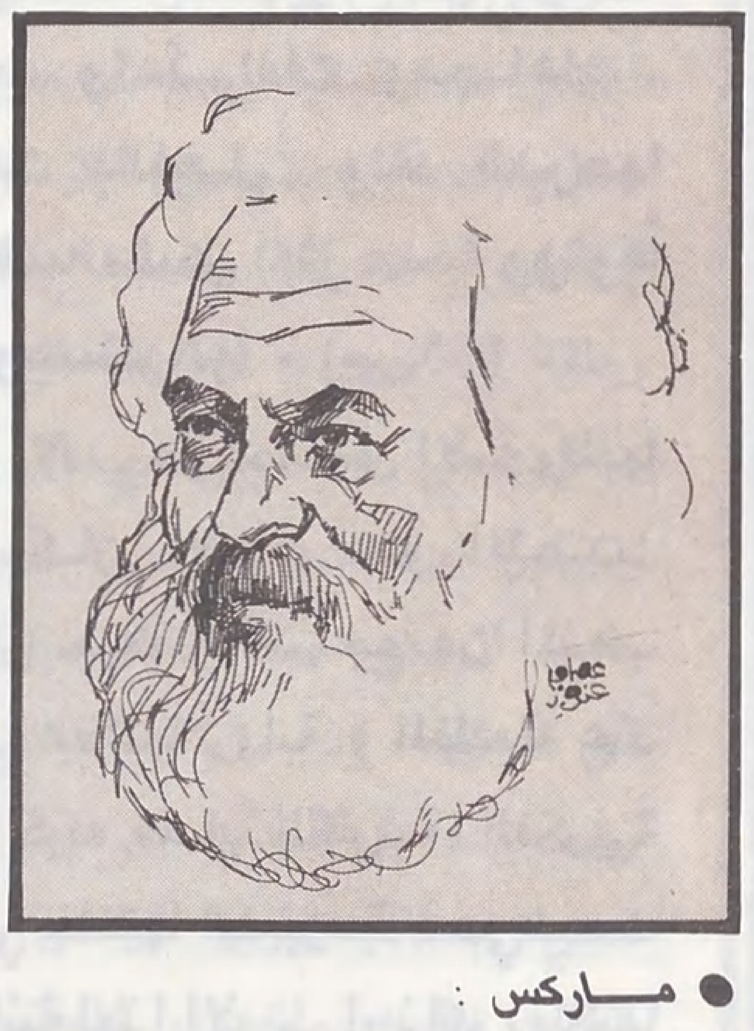

● ماركس :
الدين حقيقة أصيلة مركوزة في الإنسان ، وليس كما توهم عرضاً برجوازياً مرحلياً ●

لا تستطيع أن تعبر كما يعبر الأديب ، فتمنحه بالصمت الذي هو احد صيغ القتال ضد الدكتاتورية والإرهاب ، موافقتها وتاييدها ..

ومهما يكن من أمر فإنه « لو لم تحل الصاعقة بالأدباء من جراء هذه الكارثة ، لما فكر أحدهم بالتراجع عن المذهب العقلي . لكن الفكرتين باتتا مترابطتين . وقد حمل **روباشوف (بطل الرواية) قبل بضع دقائق من إعدامه على أن يفكر على النحو التالي :**

« تطلع روباشوف عبر قضبان النافذة إلى الخرقة الزرقاء المعلقة فوق برج المدفع الرشاش ، وعاد بأفكاره إلى ماضيه ، فبدا له الآن أنه كان يركض في شيء من الهياج والثورة بعيداً عن العقل الصافي طيلة الأربعين سنة الماضية . وقد لا يكون من المناسب للإنسان أن يتحرر كل التحرر من الروابط القديمة ، ومن الكوابح المستمرة من امثال (هذا ممنوع) و (هذا غير مستطاع) وأن يسمح له بالخروج والمضي بصورة مستقيمة نحو الهدف . ترى ما الذي سجله ذات يوم في يوميته ؟...

« لقد قذفنا إلى البحر بجميع ما لدينا من اعراف وعادات ، وكان المبدأ الوحيد الموجه لنا هو المنطق الناتج ، وهو أننا سنبحر دون ثقل اخلاقي ... ومن المحتمل ان يكون هنا مكمن الشر وموطنه ، فقد لا يكون من مصلحة الجنس البشري أن يبحر دون ثقل ، وقد لا يكون العقل وحده بوصلة فيها بعض النقص ، إذ تقود المرء في مثل هذا السير الملتوي والمعوج ، بحيث يختفي الهدف نهائياً وسط الضباب ... ومن المحتمل أن يكون وقت الظلام المكفهر قد حان الآن » (ص٣٧ ـ ٣٨) .

عبث أن يثور الإنسان من أجل الثورة ، بعيداً عن العقل الصافي .. إن ثورته لن تكون حينذاك ركضاً متعقلاً للوصول إلى الهدف الواضح المحدد ، ولكن فوضى وهياجاً .. والحركة العاقلة في التاريخ هي التي تسعى للإفادة من معطيات التاريخ .. الأعراف والعادات والتقاليد والقيم الخلقية ، التي سهرت الأديان على صياغتها وحمايتها وتنميتها ، **هي مركز الثقل في الحركة العاقلة** ، والعقل وحده ، بعيداً عن توجيه هذه المعطيات ، **« وفرملتها » في الوقت** نفسه ، العقل بما أنه بوصلة ناقصة ، قد لا يقود إلى الهدف النهائي ، فهو بعد أن يسير بالتجربة آلاف الأميال ، في طرق ملتوية ومعوجة ، سيعلن عن إخفاقه لأن الهدف سيضيع حينذاك وسط الضباب .. وثمة فرق كبير بين العقل الصافي الذي يصقله الدين والتاريخ وبين العقل الهائج الذي يرفض الدين والتاريخ ويركض إلى أهداف غامضة ، بعيدة ، غير محددة الملامح ..

فإذا ما تذكرنا أن **(روباشوف)** هو واحد من روّاد الثورة الشيوعية ، وقادتها ، و (حراسها القدامى) .. تبين لنا قيمة استنتاجاته هذه ودلالتها الخطيرة ...

والكاتب الانكليزي **(جورج اورويل)** يشن هو الآخر الحملة نفسها على العقلانية التي تدمر العقل !! وهو يضيف ها هنا بعداً آخر .. إنه (**التزييف**) الذي يعد أكثر تدميراً للعقل البشري في النهاية من العنف .. « **... في عام ١٩٤٥م عندما وضع اورويل كتابه (مزرعة الحيوان) كان قد راى ما قام به الشيوعيون من إزالة اسم تروتسكي ، وهو صاحب الشخصية الثانية في الثورة الروسية ، من السجلات التاريخية ، وكانه لم يوجد قط . وقد وصل أرويل هنا إلى ما قدر له أن يصبح عقيدة ختامية لديه ، وهو أن المذهب العقلي الشيوعي الذي هدف إلى أن يغدو (التعقل) في أقصى حدوده ومعانيه ، قد تحول فجأة إلى نقيضه ، أي إلى الخروج على العقل . وتكونت لديه الفكرة المرعبة ، وهي أن الحكومة المتناهية في القوة قد تصبح ذات سلطان على الماضي بقدر ما لها من سلطان على الحاضر . وهكذا تمكن من أن يظهر أن « الوعيية » الإنسانية قد ترغم على التحول بصورة دائمة من الواقع الموضوعي إلى أرض من الكوابيس الذاتية الباطنية » (ص٤١ ـ ٤٢)**

وهذا يعني أن العقل ، وفق هذه الطريقة التي تدعي أقصى درجات العقلانية ، لا يقود صوب الموضوعية ، بل يرتكس في الخرافة ! وأن التزييف الذي تمارسه (الحكومة المتناهية في القوة) لن يقف عند حد في رفضه لمعطيات العقل البشري وبداهاته .. هذا التزييف الذي هو في نهاية التحليل عمل غير أخلاقي .. فلو كان هناك التزام بالدين ، بأوامره ونواهيه لما تردّت أية حكومة في العالم إلى هذا الوادي السحيق .. ولو تردّت ، لوجدت في جماهير الناس من يمنعها .. ولكن ماذا لو أن جماهير الناس كافة قد جرّدت من هذا السلاح العظيم ؟

في روايته الثانية **(١٩٨٤) يعود أرويل** كرة أخرى ، إلى مأساة التزييف التي هي أكثر الأسلحة مضاءً ضد العقل ومواضعاته وأعرافه .. التزييف الذي يمتد إلى كل اتجاه .. إلى الحاضر والمستقبل والماضي ،

■ ان فطرة الانسان هي أقوى ألف مرة من كل عمليات التزييف والانحراف والتشنج التي سعت المذاهب الوضعية ولا تزال الى جره وارغامه عليها .

فيمسخها ويصوغها على هواه .. هل ثمة من يقول : لا ؟ لنرَ .. « ... يتركز الفزع الذي يحس به ونستون سميث ، بطل أرويل ، في الاجراءات الحزبية والجهاز الذي اقامته هذه الاجراءات لتبديل الماضي . فمثلاً عندما تقع (ثورة دبلوماسية) وتقوم (أوسيانيا) التي تؤلف انكلترا التي يطلق عليها الآن اسم (الشقة الهوائية رقم واحد) جزءاً من دكتاتوريتها ، بتبديل موقفها في الحرب الكونية الدائمة التي تدور ، فتنتقل من جانب إلى آخر ، وتصبح في حرب الآن مع آسيا الأوروبية (يوراسيا) متحالفة مع آسيا الشرقية (إيست آسيا) ، يسارع الحزب إلى شطب كل تسجيل للحقيقة ، وهي أنها ، أي (أوسيانيا) كانت حتى تلك اللحظة تحارب (إيست آسيا) وتتحالف مع (يوراسيا) . ويتعرض كل من يلمّح بالإشارة ولو شفوياً إلى هذا التغيير إلى عقوبة الموت . فقد أعيدت كتابة كل نسخة من نسخ ملفات الصحف وأعيدت طباعتها بمنتهى الدقة ، كما أعيد إصلاح كل خطاب مسجل بحيث يتفق مع هذا التبدل .. ويتم إزالة كافة السجلات الأخرى من الوجود بصورة منظمة ، بإلقائها في أفران ضخمة تقوم في (ثقوب الذاكرات) التي جهزت بها الوزارة . وكان عين الإجراء يتبع أيضاً في حالات قتل أعضاء الحلقة الداخلية في الحزب ، إذ يتم إعداد سجلات حافلة بالاتهامات والإدانة لماضيهم ، تستند إلى الوثائق البارعة من السجلات الحافلة ، وبذلك يزول عن طريق هذه السجلات المصنوعة كل أثر لماضيهم الحقيقي ... وهكذا يتم بالنسبة إلى السجلات وإلى الوعيية تحطيم كل ما يتعلق بالماضي القديم ليستعاض عنها بسجلات ووعيية تتعلق بماضٍ جديد تم ابتكاره .

وعلى هذا ، لما كان الواقع أمراً باطنياً ، لا تبقى هناك مشكلة من أي نوع ، إذ أن الحزب يتمتع بالسلطان على الماضي أيضاً » (ص٤٥ ـ ٤٧) .

وإذا كان بعض الكتاب يرفضهم الشيوعية التي مثلت في نظرهم (المذهب العقلي في شكله العصري الحديث) قد نادوا ضمناً ، وعلى المكشوف ، برفض المذهب العقلي وزواله أيضاً ، فإن أرويل يستخلص نتيجة مضادة تماماً ، أكثر ذكاءً وانطباقاً مع الواقع « ... فالشيوعية نفسها تظهر في كتاب (١٩٨٤) ، على الرغم من عدم التمييز بينها وبين الفاشية ، كشيء لا عقلي كلية . وقد فقدت كل تماس لها بالواقع الموضوعي ، وباتت تبحث عن أهداف اجتماعية مقاسية .. وليس الدرس المقصود من كتابه أن الكارثة التي منيت بها الشيوعية تقيم الدليل على أن العقل إذا ما مضى إلى نتائجه المنطقية يؤدي إلى الفزع ، وأن علينا والحالة هذه أن نتجنب العقل ونتنكب طريقه لنلقي بأنفسنا في شكل من أشكال الباطنية أو المذهب الغيبي . إذ على النقيض من ذلك ، يقول أرويل : إن الكارثة التي نراها في عصرنا هذا نجمت تماماً عن كون الشيوعيين ، وكذلك الفاشيين بالطبع وإلى حد أكبر ، قد تخلوا عن العقل . وهو يقول إن الشيوعيين قد أضاعوا ، دون أن يعرفوا ذلك ، كل تماس لهم مع الواقع ، وأن عقيدتهم باتت بشكل دقيق طرازاً من الصوفية الباطنية والتكشف السلطوي » (ص ٥٤) .

أما ويتيكر تشيمبرز ، الشيوعي الأمريكي المرتد ، فيرى أن كارثة العقلانية الشيوعية تتمثل في رفضها الدين والغيب وأسر نفسها في نطاق المادية التي يعتبرها كفناً براقاً يشل روح الإنسان ويفقدها القدرة على التطلع إلى الله ، ومنح الحياة البشرية بالتالي عمقاً حقيقياً يخلصها من التسطيح الرهيب الذي تصنعه المادية .. إنه يسهم مع الكتاب السابقين في توجيه نقداته القاسية للطريقة العقلية الشيوعية ، تلك النقدات التي يعتبرها الهدف الأساسي لكتابه (الشاهد) ولكنه يضيف عليها تأكيده المستمر على الحاجة إلى البديل الديني .. « ... إن كارثة الشيوعية ليست إلا مجرد جزء من كارثة الطريقة العقلية والتجريبية في بحث شؤون الكون بصورة عامة ، وإن البديل الوحيد للشيوعية هو الإيمان بشكل أو بآخر من أشكال المذاهب الغيبية .. وهو يشرح تحوله من الشيوعية على النحو التالي :

(لقد هوى مني ما كان يسودني وكانه اسمال بالية ، ولكن هذه الأسمال التي نضوتها عني لم تكن شيوعية مجردة وإنما كانت نسيجاً كاملاً من العقل المادي الحديث . إنه الكفن البراق الذي نسجته هذه المادية حول روح الإنسان لتشلها تحت ستار المذهب العقلي ولتفقدها ما فيها من غرائز التطلع إلى الله ، ولتنكر عليها ، تحت ستار المعرفة ، واقع الروح ، وتولده ، في ذلك الغموض الذي ترتعش أمامه المعرفة المجردة وتتفتت عند كل خطوة من الخطوات . ولو كنت قد اكتفيت برفض الشيوعية وحدها لكنت قد رفضت تعبيراً سياسياً واحداً من تعابير العقل البشري ، وهو أكثرها منطقاً لأنه أكثرها قسوة في فرض أسطورة الاكتمالية المادية الإنسانية ، كما أنه أشدها إقناعاً لأنه أقلها اصطناعاً في إعلان هدفه ، وفي انتزاع العوائق التي تقف في طريقه بصورة قوية) ... » (ص٧٧ ـ ٧٨) .

وثمة فقرات أخرى ترفد هذا الاتجاه كقوله مثلاً : « ... إن عثرات الإنسان العرضية مع الله تنتهي دائماً في تضحّل فكري حتمي يمتزج مع إساءة لا تحد في العمل » .

وقوله : « ... ليس ثمة من شك في أن الشيوعية هي أكثر صور الإلحاد بروزاً ، ولكن هناك أشكالاً أخرى من هذا الإلحاد لم تكن الشيوعية هي التي خلفتها بل كانت التي تبنتها وكيفتها .. وإذا كانت قصتي تستحق السرد ، فإن جدارتها هذه ناجمة عن كوني قد كفرت بدوري بكل النهايات ذات الطابع البارز للحياة في عصرنا كالنهاية الثورية والنهاية الناجحة (البراغماتية) ، وقد اخترت نهاية ثالثة : النهاية الدينية » (ص٧٨) .

قراءات

الأدب في مواجهة المادية

● ستالين : التعذيب والقتل الجماعي ●

● خروشوف : اعترف بان حوادث القتل والتعذيب حقائق وقعت بالفعل ●

ماذا بعد التفوق المـــادي ؟!

فإذا ما جئنا إلى روسيا نفسها .. إلى رواية « **بوريس باسترناك** » الشهيرة (**الدكتور زيفاغو**) فإننا لن نتبين بوضوح نقداً مباشراً ومفصلاً للمذهب العقلي عموماً وللشيوعية على وجه الخصوص .. لأن الكاتب يسلك طريقاً آخر ، غير مباشر ، يستنتج القارىء من خلاله الأهداف الشاملة للرواية .. وذلك بعرضه المستمر وتأكيده الدائم على القيم الإيجابية التي تندّ عن حدود مملكة العقل وتتجاوز ميادين عمله : **الدين والحب والفن** !! وهو بهذا يعلن رفضه وإدانته للمذهب العقلي الصرف الذي يجرد الحياة البشرية من أقانيمها الكبرى ..

يقول **المستر إيدموند ويلسون** ، الذي يعتبر أكثر النقاد حجة في اللغة الانكليزية عن كتاب باسترناك بأنه « **عرض للقيم الإيجابية كالنصرانية والحب والفن بقوة طاغية تبدو معها الوحشيات التي تؤكد نفسها ضدها مفتقرة إلى الأهمية البعيدة المدى** » ويضيف **ستراتيشي** أنه يوجد في الرواية « **إدراك واسع لأقانيم القيم . ففيه تقريظ لا للحب على اعتبار أنه عاطفة تنشا بين رجل وامرأة ، بل على اعتباره نسيجاً كاملاً للعلاقات الشخصية . وهو شيء غامض لا اسم له ، تتكشف قوته الخلاقة في الفن ، لا فن في حد ذاته يتعرض للابتزاز ، وهو ديانة أيضاً في شكل النصرانية التي تعرفها الكنيسة الأرثوذكسية ، لكنه ديانة من نوع الظواهر الطبيعية التاريخية التي تجري عبادتها . وفي الكتاب نقد لاذع لكل قيم القرن العشرين من شيوعية ورأسمالية على حد سواء ، ولكن هذا النقد لا يظهر إلا بشكل عرضي ، وبالتالي بشكل لا يمكن تجنبه ، فهو يظهر لأن الفكر والإحساس في القرن العشرين قد تنكرا تنكراً مفجعاً للأشياء كافة التي آمن باسترناك بأنها تحتل منزلة كبرى من الأهمية . وعلى هذا فليس من خطأ في باسترناك إذا كان تأكيده قد تحول إلى استنكار** » (ص٨٢ ـ ٨٣) .

ورغم (تخبط) **باسترناك** في تحديد ملامح البديل الديني الذي يحتوي على العقل فيما يحتويه من قيم وأقانيم ، وهو في تخبطه هذا بدعاً في الكتّاب كما سنرى بعد قليل ، رغم ذلك فإن موقفه في (**الدكتور زيفاغو**) يمثل احتجاجاً نهائياً على العقلانية الصرفة ، ودعوة لتطبيق الحياة البشرية وتعميقها بالبعد الديني « ... **كل ما يفعله باسترناك هو أن يضع لوحة تحذيرية ضخمة ينذر فيها العقل المعاصر بأنه لا تزال هناك مناطق واسعة كاملة من الحياة الإنسانية ، وهي مناطق حيوية للغاية ولا يمكن الاقتراب منها بصورة مثمرة عن اي طريق عقلي ، لا يكون أكثر تواضعاً وحذراً ، وبالتالي أكثر علمية مما كان عليه حتى الآن . ولكن باسترناك لا يؤكد بصورة جازمة أن هذه المجالات من الوعيية لا يمكن الاقتراب منها أو معالجتها بصورة تجريبية أو عقلية . وما لم يقم الكاتب بذلك ، فإنه لا يكون قد انضم إلى أية حركة ترمي إلى الابتعاد عن العقل** » (ص١٠٣) .

وليس على رافضي العقلانية المتشنجة ، المغرورة ، الباحثين عن البديل (**الديني**) حرج في عدم رفضهم العقل نفسه .. لأن رفض العقل شيء آخر يختلف بالكلية عن رفض المذهب العقلاني المادي ، ولأن هذا الرفض أمر لا يقول به كاتب يحترم نفسه ويسعى إلى طرح بديل جاد يضع العقل مكانه الصحيح من خارطة الجهد البشري ويتجاوز تعقيدات اللاهوتية وطوباوياتها وخرافاتها !!

وستراتيشي نفسه يحذر في نهاية كتابه من هذا الموقف « **... لقد حقق أدب الردة غايته ، وقد حان الوقت لنتجه بأنظارنا إلى الناحية الثانية . ومن واجب كارثة المذهب الشيوعي العقلي أن لا تدفع بنا إلى اليأس من العقل ، ومن واجب العقل أن يجاهد باستمرار ليضم كل ما تتجاهله المذاهب العقلية القديمة** » (ص١٤٠ ـ ١٤١) .

ومهما يكن من أمر ، فإن ما يسميه **ستراتيشي** بأدب الردّة ، يمثل بمجموعه نداءً حاراً باعتماد التجربة الدينية لمنح الحياة البشرية طعمها وتفردها . وتياراً قوياً يزداد تدفقاً وامتلاءً يوماً بعد يوم ، يؤكد المرة تلو المرة على أن فطرة الإنسان التي فطره الله عليها هي أقوى ألف مرة ، وأشد أصالة وعمقاً ، من كل عمليات التزييف والانحراف والتشنج التي سعت المذاهب الوضعية ولا تزال إلى جرّه إليها .. إرغامه عليها بعبارة أخرى ..

إن **ستراتيشي** يحذر في نهاية كتابه لما قد يؤول إليه هذا القسر المضاد للفطرة البشرية المعادي لصيرورة الحياة البشرية ، ويؤكد على أن تعقيدات هذه الحياة التي تندّ عن القياس والتسطيح اللذين تتوهمهما المذاهب الوضعية ، هذه التعقيدات لا يمكن السيطرة عليها بالعقل وحده ، ولابد من تجارب

وخبرات أخرى يقف الدين في قمتها ولا ريب ، إذا ما أردنا لبني آدم حياة مختلفة تختلف عما يجري في الآلات الميكانيكية و (الزنبركات) .. يقول الرجل إن رواية الدكتور زيفاغو « **تكمل الردة على المادية الآلية أو الميكانيكية » تستشرف فوقها . ويعرض باسترناك عرضاً ظافراً تلك القياسات التمثيلية ، سواء عن وعي أو بلا وعي ، بين عمل الآلة و (زنبركات)** العمل في الإنسان ، وما يمكن أن تؤدي إليه من أخطاء فظيعة[٣] . أما التناقضات والتعقيدات فذات طابع مختلف . ولما كنا لا نزال مفتقرين إلى الوسائل الصحيحة للوصف المباشر ، بالإضافة إلى وسائل قياس هذه التعقيدات ، فإن النواحي المعقدة للحياة الإنسانية تظل غامضة بالنسبة إلينا ، وفي وسعنا أن نحاول معالجتها فقط بالأساليب الأكثر قدماً وأقل مباشرة والمبنية على التجارب الجمالية والأخلاقية والدينية » (ص١٣٨) .

وفي مكان آخر يتساءل ستراتيشي كما يتساءل كثيرون من مفكري الغرب من قبله : **ماذا بعد التفوق المادي[٤] ؟ « ... فلن يكون في وسع هؤلاء أن ينتفعوا في النهاية من قواهم البدنية ومن (سنوات انتصارهم الاقتصادي) ، وقواهم العسكرية ومستوى حياتهم المرتفع . وقد يكون في وسعهم ضم القمر المجدب إلى ممتلكاتهم وسبر أغوار مجموعات الكواكب التي نعرفها كلها . وقد يتمكنون من إنتاج أسلحة (خيالية) ومن إرهاب العالم .. وقد يصبح (لدى كل واحد منهم) عشرة أضعاف ما يستطيع استعماله من أجهزة التلفزة والسيارات والثلاجات ... لكن كل هذا لا يكفي »** (ص١٢٨) .. إننا بهذا لن نتفوق على مجتمعات النمل والنحل بنياناً وإنتاجاً .. سوف نصير مثلها .. ولكن هذا وحده لا يكفي إذا أردنا أن نعيش حياتنا ذرية لآدم حقاً .. وينبه ستراتيشي إلى أن الحاجة إلى تفادي كارثة اللادينية ، كارثة تجريد الحياة البشرية من لونها وطعمها وروائحها ودفعها إلى التجريد الميكانيكي الرهيب ، لا تقتصر على روسيا وحدها « ... **فنحن في الغرب أحوج إلينا منها إلى الروس من نواح عدة . فالمادية الأكثر غلاظة من مادية روسيا ، بسبب افتقارها إلى ما في العقيدة الشيوعية من إيمان يساري ، تهدد قبل كل شيء المجتمعات الغربية الأكثر نجاحاً كأمريكا وبريطانيا ...** » (ص١٢٩) .

ها هي معطيات الفطرة البشرية تتحرك مرة أخرى مطالبة بتحقيق إشباع متكافىء لمطالبها .. فليس بالعقل وحده يحيا الإنسان . وهي لا تتحرك من خلال أناس عاديين ، ولكن من خلال رجال امتلكوا قدراً كبيراً من الفهم للعالم المحيط بهم ، ومن عمق التجربة (الإنسانية) التي عاشوها .

التراجع .. والمحاولات ..

إن الدين حقيقة اصيلة مركوزة في اعماق بني آدم ، وليست ـ كما توهم ماركس وانغلز ـ عرضاً بورجوازياً مرحلياً .. وبالمقابل فإن العقلانية الشيوعية أخذت تتعرض بشكل متزايد للاهتزاز تحت ضربات ما هو دائم أصيل في الفطرة البشرية ، وتتراجع في أكثر من موقع أمام زحفها المحتوم ، هذا التراجع الذي عبّر عن نفسه في كثير من التعديلات والاجراءات التي شهدها المعسكر الشيوعي طيلة العقود الثلاثة الأخيرة .. ومهما يكن من أمر فإن ثمة سؤالاً ملحاً يفرض نفسه ها هنا كما فرض نفسه ونحن نعالج أزمة الحضارة الغربية المعاصرة في كتاب (**تهافت العلمانية**) .

.. أي دين يريده دعاة الردّة أو الرفض هؤلاء ؟ ..

وبما أن النصرانية بجناحيها الكاثوليكي والأرثوذكسي قد استنفدت تاريخياً وفقدت قدرتها على الإقناع والتحريك .. وبما أن هؤلاء الكتاب معزولون ، كغيرهم ، لسبب أو لآخر ، عن الدين القيِّم الذي جاء به الإسلام عقيدة وتصوراً وحياة ، فإنهم سيلجؤون هنا أيضاً إلى اجتهاد رأيهم في محاولة البحث عن البديل الديني ، أو تصميم بعض من ملامحه .. وبما أن الدين في جوهره أمر إلهي فوقي ، يتنزل وحياً من السماء وليس مجرد صناعة بشرية كواحد من المذاهب الوضعية .. فإن هؤلاء سوف تضطرب بهم المسالك ولن يصلوا إلى جواب .. وكل ما سنلتقي به من محاولات لا يعدو أن يكون (تلفيقاً) من هنا وهناك ، أو (تخيّلاً) طموحاً في أحسن الحالات !!..

ولنتابع بعضاً من هذه المحاولات لنرى كيف أن أصحابها يضربون في يم لا شاطىء له !!..كويستلر يرى : « **أن العقل اضحى في حالة من الهياج وأن من الواجب تحديد بؤرته بشيء من (الإحساس الأوقيانوسي) ، وهو الاسم الذي يطلقه على التجارب الباطنية الغامضة . ويعلن تشيمبرز بصراحة أن ليس ثمة من بديل عن الشيوعية سوى الرضى بالغيبيات ، وأن كل من لا يرفض هذا الشكل أو ذاك من أشكال الفلسفة الغيبية لا يكوّن بعيداً عن الشيوعية أو معارضاً لها** » (ص٥٣) .

ويتساءل ستراتيشي : « ... **ترى ما الذي يعنيه تشمبرز بصورة خاصة بالفكرة الدينية أو (الغاية) الدينية كما يسميها ؟ فتشيمبرز لم ينضم كغيره من الشيوعيين السابقين إلى الكنيسة الكاثوليكية ويتقبل كل ما في عقيدتها الدينية المتزمتة من دروع واقية كاملة . ولكنه ، على النقيض من ذلك استدار إلى جمعية الأصدقاء ، وهي أقل المذاهب تزمتاً ومن أقل الهيئات الدينية المنظمة تقبلاً للخرافات** » (ص٨٠) ..

ويبقى السؤال بلا جواب : ما الذي يعنيه بالغاية الدينية ؟ أما الديانة التي يدعو لها باسترناك فهي « ليست النصرانية التي تعرفها الكنيسة الأرثوذكسية لكنها ديانة من نوع الظواهر الطبيعية التاريخية التي تجري عبادتها .. » (ص٨٣) .

ومرة أخرى .. يبقى السؤال بلا جواب !!

هوامش :

(١) ترجمة لجنة في دار الشرق الجديد ، بيروت ١٩٦٢م .

(٢) يمكن ان نضيف شواهد أخرى لهذا التيار .. فهنالك كتاب (الصنم الذي هوى) لستة من كبار الكتاب الذين انتموا للماركسية ثم ارتدوا عنها ، وهنالك رواية (مضيق الكولاك) لسولجنتسن و (الساعة الخامسة والعشرون) لجورجيو .. وهنالك مجموعة من الأعمال القصصية الأقل أهمية من مثل (المقبرة) لماريك هلاسكو و (الأثر الضائع) لسيلفيو كراسيوناس و (دموع الرجال) لتاماس زابو ... إلى آخره .. أما الدراسات النقدية التي تناولت هذا التيار بالدراسة والتحليل ، فأهمها ، فضلاً عن الكتاب الذي بين أيدينا : (شجاعة العبقري) لروبرت كونكويست و (الأديب والدولة) لهورفاث ، وقد تناول الأول الأفعال وردود الأفعال التي رافقت وأعقبت ما يمكن تسميته بقضية (الدكتور زيفاغو) ، بينما قدم الثاني وثائق وإحصاءات قيمة عن موقف السلطات الماركسية في مختلف أنحاء العالم الشيوعي ، بأجنحته العديدة ، من حرية التعبير ، وردود الأفعال التي تمخضت عن ذلك .

(٣) عرضنا لهذه المسألة بالتفصيل في كتاب (تهافت العلمانية) لدى مناقشتنا رواية الكاتب الروماني كونستانتان جورجيو (الساعة الخامسة والعشرون) التي تعد ـ بحق ـ ابدع الأعمال الأدبية المعاصرة في معالجتها لميكانيكية الحضارة الغربية الراهنة .

(٤) انظر الفصل الخامس من كتاب (تهافت العلمانية) للمؤلف .

المفاهيم العلمية

■■ إنه لمن الواضح الجلي أن القرآن الكريم هو الكتاب المعجز الذي لا يتطرق الشك إليه ، ولقد تكفل منزِّله سبحانه وتعالى بحفظه ، وتعهده بصونه ، ذلك أن الله تعالى ختم به الرسائل ، وأنهى به الشرائع ، وأيضاً لأن الله لم ينزله علاجاً لأمة خاصة ولا دواءً لجماعة معينة ، وإنما أنزله ليكون القانون العالمي لكافة خلقه في كل بقاع الدنيا إلى يوم القيامة .

وللقرآن رجال أبانوا غوامضه وأوضحوا مجمله وأجلوا بعض أسراره ، وكان رسول الله ﷺ إمام المفسرين الأول ، ورائدهم الأمثل ، هو الذي أنار لهم الطريق وأضاء لهم السبيل ، وكان الأعلام من أصحابه يرجعون إليه في حياته إذا استغلق عليهم الأمر ، فلما سبقهم ﷺ إلى الرفيق الأعلى حملوا هم من بعده المشعل ، وساروا في طريقهم الواضح يحدوهم الإيمان ويقودهم الإخلاص ■■

والتفسير هو الإبانة والكشف عن المحسات والمعقولات ، وهو كعلم من العلوم الإسلامية يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها ومعانيها ، وبعبارة أخرى هو ذلك العلم الذي يقصد منه إيضاح القرآن والكشف عن مراميه وأسراره . وقد وضع المفسرون له قديماً وحديثاً المؤلفات الكثيرة لشرح ألفاظه بما يتفق مع سياق المنهج القرآني وإظهار المعاني التي وراء الألفاظ سواء في ذلك المعاني الحقيقية أو المجازية ، وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾ (الفرقان : ٣٣) .

أنــواع التفاســير . . .

كان الأئمة الأوائل من المفسرين على جانب عظيم من معارف عصرهم وثقافة زمنهم ، ويضاف إلى هذا ما كان يعرفونه من أنباء القرآن ، والظروف التي لابست نزول آياته والأحداث التي نزلت هذه الآيات في شأنها ، وقد التزم هؤلاء الأئمة في تفسيرهم للقرآن منهجاً لم يتجاوزه ، وهو أنهم كانوا يفسرون الآية بما سمعوه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ ، أو موقوفاً عند أحد الصحابة رضوان الله تعالى عنهم ، فإذا لم يجدوا شيئاً سمعوه عن الرسول في تفسير آية ما لجؤوا إلى الرأي والاجتهاد ، وكان أخشى ما يخشونه على أنفسهم وعلى الناس أن يفسر القرآن بالهوى ؛ وقد كان يقود هذا الرعيل من أئمة التفسير علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم . ولم يغادروا الدنيا إلا بعد أن أسلموا الأمانة إلى تلاميذهم الذين ورثوا منهم معارفهم وعلومهم ونهجوا نهجهم ؛ إلا أن العالم الإسلامي حينما امتدت آفاقه واتسعت رقعته واختلطت الأجناس فيه واحتوى ألسنة شتى ، ثم أتته المحن وتوالت على أمصاره الخطوب خمدت روح الثقافة ، وهمدت همم الرجال فتسرب إلى التفسير خرافات ، وأدخلت عليه إسرائيليات ، وشابه الكدر ولم يسلم من الأساطير والبدع .

أما عن مشارب العلماء في تفسير القرآن فعديدة كلٌ بحسب ما تخصص فيه أو برع ، فمنهم من اعتمد على **التفسير بالمأثور** كما فعل **الإمام الطبري** في تفسيره « **تأويل آيات القرآن الكريم** » ، **والثعالبي** في تفسيره « **جواهر القرآن** » ، **والسيوطي** في تفسيره « **الدر المنثور** » ، **وابن كثير** في تفسيره « **تفسير القرآن العظيم** » ؛ وأسهب بعض العلماء في **التفسير بالرأي** كما فعل **البيضاوي** في تفسيره « **أنوار التنزيل** » ، **والألوسي** في تفسيره « **روح المعاني** » ؛ وجنح بعضهم إلى **البلاغة والبيان** كالإمام **الزمخشري** في تفسيره « **الكشاف** » ؛ واتجه آخرون إلى **القواعد النحوية** مثل **أبي حيان** في تفسيره « **البحر المحيط** » ؛ وفصّل فريق من المفسرين **الأمور الفقهية** كالإمام **القرطبي** في تفسيره « **الجامع لأحكام القرآن** » ؛ أما أهل السلوك فلهم **إشارات ولطائف** كالإمام **السلمي** في تفسيره « **حقائق التفسير** » والإمام **القشيري** في تفسيره « **لطائف**

بقلم : كارم السيد غنيم

الآيات الكونية

الإشارات » ، وابن عجيبة في تفسيره « البحر المديد » ، والإمام أبو العزائم في تفسيره « أسرار القرآن » ؛ ثم برز نوع من التفاسير وهو التفسير العلمي كان من أئمته القدامى الإمام الفخر الرازي في تفسيره « الكبير » حيث تحدث طويلاً عن خلق السماوات والأرض ونظام الأفلاك وعلم الهيئة على نحو ما كان معروفاً في عصره من معارف وثقافة .

ولقد انبرى في عصرنا الحالي لهذا الاتجاه أناس كالأستاذ طنطاوي جوهري في تفسيره « الجواهر الحسان » ، ومصطفى صادق الرافعي في « إعجاز القرآن » ، والأستاذ حنفي أحمد في « التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن » ، والدكتور عبد الله شحاتة في « تفسير الآيات الكونية » ، والدكتور محمد أحمد الغمراوي في « الإسلام والعلم الحديث » و « سنن الله الكونية » ..... وغير هؤلاء كثير ممن جادت بهم الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها . وعلى الساحة الآن رجال لا يزالون يجودون بقرائحهم ويسطرون بأقلامهم ما يلهمهم الله حول آيات كتابه العزيز .

حسم النزاع بين المنكرين للاتجاه العلمي في تفسير القرآن . . وبين المسرفين فيه

عرفنا مما سبق أن تفسير القرآن الكريم من أشرف العلوم وأجلها ، وأنَّ العاكف على ذلك هو عابد لله بأرفع أنواع العبادات ، وعرفنا أيضاً أنه فن من الفنون يجب أن يرتفع عن خبط وخلط أنصاف المتعلمين وأشباه المتخصصين حتى لا يسيئوا أكثر مما يفيدوا ، ويجمل بنا الآن التعرض لمسألة أثيرت من سنين مضت ولا يزال الجدل يثار حولها بين الآونة والأخرى تلك هي الاحتدام بين القائلين بالتفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن وبين المنكرين لهذا الاتجاه ، ثم بعد ذلك نعرف المنهج الصحيح الدقيق لفض هذا النزاع .

التيـــار الأول :

وهو يمثل اتجاه المعارضين والمنكرين لفكرة الاتجاه العلمي في تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم وأبرز روّاد هذا التيار الأستاذ أمين الخولي ، والدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) والدكتور الذهبي ، والإمام الشاطبي وغيرهم ، وتدور حججهم حول النقاط التالية :

(١) إن القرآن نزل ليفهمه العرب في الصدر الأول من الإسلام ، وإن علينا ـ معاشر المسلمين ـ أن نحذوا حذوهم فيما فهموه من آياته البينات بحسب مدلولات ألفاظه المفهومة ، لأنهم عرب أدرى بلغتهم ، وأقدر على فهم معاني كلماتهم منا .

(٢) إن الكشوف العلمية والبحوث الكونية ما هي إلاّ فروض ونظريات يعتقد رجال العلوم فترة من الزمان صحتها ثم لا يلبثون أن يثبتوا بأنفسهم بطلانها ، ومن ثم فلا يجوز للمسلم الغيور على عظمة قرآنه الكريم أن يقحم آياته في أشياء ومعارف تتغير وتتبدل ، حيث ما هو حقيقي بالأمس أصبح خطأ اليوم ، وما هو حقيقي اليوم سوف يصبح ـ مع تقدم إمكانات ووسائل وأدوات البحوث ـ غداً باطلاً ، فكيف نستخدم علوماً هذا شأنها في تفسير آيات خالدة باقية لا يتطرق إليها أدنى تغيير ؟!!

التيـــار الثاني :

وهو يمثل القائلين بتفسير القرآن باستخدام العلوم والمعارف الحديثة ، وهؤلاء يمكننا التعرف على آرائهم من خلال إجاباتهم على النقاط الثلاث سالفة الذكر :

النقطـة الأولى : في الرد على هذا الزعم نقرر أمرين :

الأمـــر الأول : إن القرآن الكريم نزل للبشرية حتى يوم القيامة على اختلاف ثقافات عصورها وتنوع أهلها ، وهو إذاً يخاطب العقول على اختلاف المواهب والثقافات ووسائل التدبر وإمكانات التفكر ، وكل عقل يأخذ ما يطيقه وما يستطيع استنباطه ، فإن عجزت بعض العقول عن إدراك بعض المعاني لآياته وجب عليها أن تستعين بكبار العلماء الباحثين تنفيذاً لقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل : ٤٣) ، وكم استنبط العلماء والباحثون من آياته معاني وأحكاماً لم يعرفها السابقون ، وهذا ما عبَّر عنه الرسول صلوات الله وسلامه عليه في قوله عن القرآن :

« ... حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق من كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه » .

المفاهيم العلمية للآيات الكونية

• مصطفى صادق الرافعي ...

إثبات إعجاز القرآن والمواجهة تحت رايته •

• امين الخولي ...

ضرورة التزام فهم الصدر الأول لمدلولات الآيات القرآنية •

الأمـــر الثاني : إن من أوجه إعجاز القرآن إعطاءه معاني متعددة للعبارة الواحدة الواردة فيه ، فمثلاً قول الله تعالى :

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الأرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ، وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ، لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ ﴾ (يس : ٣٥) ،

فالمعنى الأول المفهوم من الآية الكريمة أن الله خلق لنا الثمر لنأكل منه وهو سبحانه الذي صنعه ولم يصنعه البشر ، أي أن (ما) في **﴿ ... وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ... ﴾** نافية لفعل البشر في الصنع والخلق . ولكن للآية معنى آخر غير هذا ، وهو أن الله خلق الثمرات لنأكل منها طازجة ولنأكل مما صنعته أيدينا من هذه الثمرات ، بالطهي أو العصير أو التمليح أو ... أي لنأكل منها طازجة وأيضاً مما عملته أيدينا منها بالوسائل الصناعية ، إذاً (ما) التي أشرنا إليها سابقاً موصولة وليست نافية ، هكذا يكون للآية الواحدة معنيان ، وكلاهما مقبول . كما أن هناك من الآيات ما نفهم منها معاني متعددة ، يظهر بعضها في زمن ، ويظهر باقيها في أزمان متوالية ، تبعاً لازدياد فنون الثقافة والكشوف المتوالية ، ولنضرب لذلك أمثلة :

المثـال الأول : يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (الغاشية : ١٧) ،

فهل الأمر الإلهي هنا بالنظر إلى الإبل لمجرد مناسبتها لخطاب البدو والأعراب ، فإذا صح ذلك ، فمن الصحيح أيضاً أن ما أثبتته الدراسات الحديثة ـ ولا تزال ـ من معجزات بيولوجية رائعة في حيوان الجمل تثبت بأنه مخلوق جدير بتدبر المتدبرين .

المثـال الثاني : يقول الله تعالى :

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ (الحجر : ٢٢) ، وفي فهم هذه الآية يقول قدامى المفسرين : إن الله يرسل الرياح حاملة المطر الذي ينزل في الأرض فيحيي مواتها فتنبت النبات والثمر ، حيث إن الريح اللاقح هو كل ريح يأتي بخير وعكسها الريح العقيم .

ولكن لهذه الآية معاني حديثة عديدة منها :

(١) تحمل الرياح حبوب اللقاح من ذكور النبات إلى إناثها فيتم الإخصاب ، فتثمر النباتات الثمار التي نأكلها ونحيا بها .

(٢) تحمل الرياح الحشرات حيث تحمل الأخيرة حبوب اللقاح عالقة بشعرات جسمها إلى أعضاء التأنيث في النباتات عند زيارتها لها فيتم بذلك تلقيح النباتات فتثمر .

(٣) تلقح الرياح التربة ، أي تمدها بالعناصر اللازمة لخصوبتها ، ومنها : الآزوت الذي يوجد طبيعياً في الهواء .

(٤) **﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾** أي : ان الرياح تثير السحاب ، أي : تكونه وتدفعه حيث تدأب على إمداده وتغذيته ببخار الماء الذي تحمله وتجلبه معها من البحار والمحيطات وكذلك تغذيه بجسيمات صغيرة تسمى علمياً (نوى التكاثف) .

المثـال الثالث : يقول الله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴾ (غافر : ١٣) ، المعنى العام للآية هو أن الله سبحانه يرينا آياته حيناً بعد حين ، وجيلاً بعد جيل ، وينزل لنا من السماء رزقاً ، ولا يعرف آيات الله العديدة ونعمه الجزيلة ولا يتذكرها إلا مَن آمن بالله ورجع إليه بالإنابة والمتاب ، ولكن ما المقصود بالرزق المنزل من السماء ؟!..

يقول قدامى المفسرين : **إن الرزق المنزل هو ماء المطر ، وهذا فعلاً رزق عظيم يحفظ علينا حياتنا من نبات وحيوان وإنسان ، أما المعاني الحديثة التي كشفتها البحوث العلمية فكثيرة منها :**

(١) **من ألوان الرزق المنزل من السماء الأشعة الحرارية التي** تصلنا باعتدال من الشمس ، فلو انقطعت عنا لماتت جميع الأحياء من شدة البرودة ، ولتجمدت مياه المحيطات والبحار والأنهار ، ثم لو زاد مقدارها عن الذي تنزل به لتبخرت جميع مياه البحار والأنهار والمحيطات ، وبالتالي لا توجد حياة حيث لا يوجد ماء .

(٢) ومن المعاني الحديثة للرزق المنزل أيضاً **الأشعة الضوئية** التي يتوقف عليها النبات في إمكانية قيامه بعملية البناء الضوئي لغذائه (**Photosynthesis**) وعلى النبات يحيا الحيوان والإنسان .

(٣) ومنها أيضاً **رماد الشهب** التي تتساقط على الأرض ، فتحترق حين ملامستها للغلاف الجوي فيسقط رمادها على الأرض فيزيد خصوبة التربة وصلاحيتها للإنتاج .

(٤) ومن المعاني التي اهتدى إليها العلم الحديث غازات ثاني أكسيـد الكربـون (**Carbon Dioxide**) **والأكسجـين** (**Oxygen**) ، **والآزوت** (**Nitrogen**) ، وكلها ضرورية لحياة الكائنات الحية : نباتية وحيوانية وإنسانية .

(٥) ومن معاني الرزق المنزل أيضاً تلك **الرسالات السماوية** التي تنزل على البشر فتنتشلهم من ظلمات الجهل والضلال فتحيا بها قلوبهم ونفوسهم .

● الدكتور الذهبي

لا يجوز إقحام القرآن في فروض ونظريات مبتذلة ●

● الشيخ محمد متولي الشعراوي ...
لمحات وخواطر حول تفسير القرآن ●

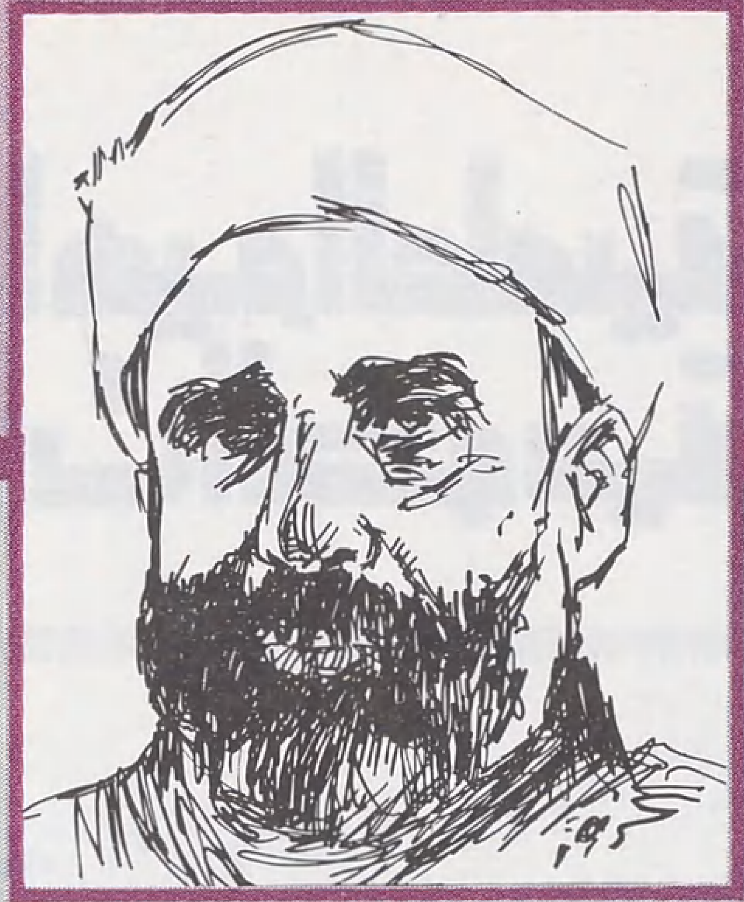

● محمد مصطفى المراغي ...

عدم تحميل الآيات القرآنية ما لا تحمله ●

والأمثلة عديدة ، فإن النصوص القرآنية :

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذاريات : ٤٧) ،

﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ (الطارق : ٤) ،

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ... ﴾ (المائدة : ٣) ... وغيرها لموارد عطاءٍ متجددٍ لعقول البشر ومكتشفاتهم ، وتضيق المقالة عن تفصيل هذه النصوص وغيرها .

النقطة الثانية : إن المعارضين لهذا الاتجاه يتذرعون بأن القرآن كتاب هداية للبشر ولا شأن له بالعلوم الطبيعية أو البحوث الكونية ، وقولهم هذا على جانب من الحق ، ولكنه ليس الحق كله ، فالقرآن كتاب هداية بالأحكام وبالنظر والتأمل في بديع صنع الله سبحانه وتعالى ، كيف ذلك ؟ إن الله شاءت حكمته أن ينوع وسائل هدايته لخلقه لأنه خبير بهم ، وعليم بقدراتهم واستعداداتهم ، فهو تارة يخاطبهم بما يمس قلوبهم ، وتارة أخرى يقرع عقولهم ، **فكان من أجلى الطرق المؤدية إلى الإيمان واليقين تلك الآيات المنصوبة في الكون الفسيح من قمر ومنازله ، وبروج ونجوم ، وليل ونهار ، وريح لاقح وآخر عقيم** ، وبرق ورعد ومطر ، وجبال راسيات ، وجنات ونخيل وأعناب ، **والنمل والنحل وجناح البعوضة وبيت العنكبوت** ...

وبالتأمل والتدبر والتفكر يزداد يقين الإنسان ، وكلما تقدمت وسائله وعظمت إمكانات بحثه واستقصاؤه زاد ما يصل إليه من كشوف توضح له عظمة الخالق في احكام خلقه وقيوميته عليهم ، وهنا يزداد العالم والباحث والمتدبر خشية لهذا الخالق مصداقاً لقول الحق :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (فاطر : ٢٧-٢٨) .

النقطة الثالثة : أما الحجة الثالثة التي يحتج بها المعارضون لاتجاه التعميق العلمي لمفاهيم الآيات الكونية في القرآن فهي قولهم : **إن حقائق العلم ما هي إلا فروض ونظريات يعتقد رجال العلوم فترة في صحتها ثم لا يلبثون أن يثبتوا بانفسهم بطلانها بعد حين ، وعلى هذا يجب عدم الرجوع إليها عند دراسة آيات القرآن** .

ولدحض هذا القول يجب أن نعرف أن العلم له قواعد وأسس لا تتغير ، أما الذي يتغير فهي الفروض الخاضعة للدراسة والبحث ، والمشاهدات والنتائج في أمرٍ ما إذا تواترت دعمت بعضها بعضاً ، وأصبح لدينا حقيقة علمية ، ورجال العلوم حينما يلجون مجال الفهم لآيات القرآن الكونية عليهم أن يتثبتوا من « **أصول** » علومهم ومعرفة الصادق والحقيقي من غيره .

ولكي يتضح ما ذهبنا إليه فإن الضوء منذ عهد الحسن بن الهيثم تراكمت فيه معلومات وحقائق علمية من انعكاس وارتداد وانكسار وحيود وتداخل وتشتت واستقطاب ، ..... فهل هذه وغيرها من الكشوف والبحوث هدمت الحقيقة العلمية التي تنص على أن الضوء يتكون من جسيمات صغيرة جداً لنيوتن ، وهل هدمت النظرية الموجبة **لهيجن** ، أو نظرية الكم **لبلانك** ؟!!! .

المنهج الصحيح لتعميق المفاهيم العلمية للآيات الكونية

حينما ألَّف الدكتور عبد العزيز إسماعيل كتابه القيم (الإسلام والطب الحديث) وعرضه على الشيخ محمد مصطفى المراغي رحمه الله - شيخ الجامع الأزهر آنذاك - أثنى الشيخ في مقدمته على المؤلف وحمد له جهده ، ولكنه لم يوافقه على مسلكه في تحميل الآيات القرآنية عند تفسيرها ما لا تحتمله ، وذهب إلى هذا علماء محدثون ، وقبل هؤلاء وضع الإمام الغزالي في إحيائه شروطاً لتفسير القرآن ، ملخصها :

أولاً : إن لألفاظ القرآن معاني ظاهرة ، وأخرى باطنة - أي : دقيقة - لا تعرف إلا بالبحث ، ويشترك جميع الناس في فهم المعاني الظاهرة ولكنهم يتفاوتون في فهم المعاني الدقيقة غير الظاهرة على حساب غزارة علومهم وصفاء قلوبهم .

ثانياً : ليس المقصود في فهم القرآن الاقتصار على المنقول والمسموع من التفاسير مع ترك الاستنباط أو الاستدلال بالفهم فيها ، بل إن في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتسعاً لأصحاب الفهم الصحيح .

ثالثاً : يقوم تفسير ظاهر القرآن على شرطين :

(١) أن يلتزم المفسر حدود المعاني اللغوية للألفاظ مع عدم التأثر برأي خاص ، أو ميل الهوى .

(٢) أن يراعى ما في القرآن من الغرائب التي هي من دلائل الإعجاز والتي لا تعرف إلا بالسماع والنقل ، ومنها الإيجاز بالحذف ، والتقديم والتأخير ، والتدرج بالبيان وإيجاز القصر وغيرها .

رابعاً : لا يفي تفسير ظاهر القرآن بفهم معانيه الدقيقة وما يحتويه من أسرار ، تلك التي لا تنكشف إلا للراسخين في العلم ، كل إلى حد بقدر ما وهب من علم وفهم وحكمة .

ويمكن تصنيف جوانب المنهج الصحيح في فهم الآيات الكونية كما يلي :

١ - **التثبت من حقائق الكشوف العلمية** : علينا أن نتثبت من حقيقة الكشوف العلمية قبل أن نقحمها إقحاماً على القرآن الكريم بمناسبة وبغير مناسبة ، فلا نأخذ إلا بالحقائق العلمية الثابتة ، لا بالنظريات أو الآراء أو الاحتمالات أو الفروض العلمية .

فالحقائق العلمية الثابتة هي ما يجمع العلماء قاطبة على ثبوت صحته ، مثل تمدد المعادن بالحرارة وانكماشها بالبرودة ، وتبخر

المفاهيم العلمية للآيات الكونية

الماء عند درجة ١٠٠° مئوية تحت الضغط الجوي العادي وتجمده عند درجة الصفر المئوي ، وأن الأجرام الفلكية - ومنها الأرض - تدور حول محورها .

أما **النظريات العلميــة** فهي : مجموعة نتائج عند جمعها وتنسيقها نخرج بنظرية علمية عامة ، ومن أمثلة ذلك نظرية النشوء والارتقاء في خلق الأحياء تلك التي ظهرت فيها هوات وفجوات لم يستطع دعاتها حتى اليوم تسديدها .

وأما **الفــروض العلميــة** : فهي ظنون يحاول بها الباحثون والعلماء تفسير بعض الظواهر التي لا يجدون أدلة واضحة أو نتائج قاطعة لتفسيرها .

٢ - **مراعاة تعدد معاني اللفظ العربي الواحد** : من عظمة اللغة العربية تعدد مدلولات اللفظ فيها وكثرة معانيه ، فإذا أخذ قدامى المفسرين بمعنى ما للفظ واحد أتينا نحن لنأخذ بمعنى آخر للَّفظ نفسه في محاولة لتعميق مفهومه ، فلا هم على خطأ ولا نحن أيضاً على خطأ ؛ وعلينا أن نعلم أن لِلَفظ العربي الواحد معنىً حقيقياً وآخر اصطلاحياً وثالثاً مجازياً ، والأخذ يجب أن يتسلسل هكذا بالنسبة لمعنى اللفظ .

٣ - **مراعاة المواضع** : من إعجاز القرآن عدم تجميع الآيات التي تدور حول موضوع واحد في سورة واحدة ، أي عدم اكتمال الصورة المكونة لموضوع واحد في آيات متجاورة في الصحف ، فعلى كل من يريد الحديث عن موضوع في القرآن أن يستعرض كل الآيات التي تتحدث فيه بدءاً من أول المصحف وانتهاءً بآخره .

٤ - **الاستئناس بالتفاسير المختلفة** : على القائم بعملية التعميق العلمي لمفهوم آية قرآنية ما أن يرجع إلى التفاسير المعتمدة ، وهي غزيرة ، منها : تفسير ابن جرير الطبري (**من القرن الرابع الهجري**) وتفسير البيضاوي وتفسير ابن كثير (**من القرن الثامن الهجري**) وتفسير الآلوسي (**من القرن الثالث عشر الهجري**) و (**التفسير الواضح**) للدكتور حجازي ، و (**المنتخب**) للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر ، و (**الوسيط**) لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، و (**في ظلال القرآن**) لسيد قطب ، و (**خواطـر**) للشيخ محمد متولي الشعراوي ، و (**صفوة التفاسير**) لمحمد علي الصابوني .. وكلها في (**القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين**) .

٥ - **التروي والتاني وعدم السقوط في مزالق** : على القائم كذلك أن لا تدفعه حماسته الدينية إلى إقحام الآيات القرآنية في مسائل علمية لا دخل لها بالآيات من قريب أو بعيد بحجة أن القرآن لم يفرط في شيء ، وبعبارة أخرى يجب عدم الافتعال أو التكلف في تفسير آية قرآنية بكشوف علمية حديثة إلا إذا كان ذلك منسجماً في يسر ووضوح .

٦ - **السبق العلمي - للقرآن - غير كاف وحده للاستدلال على معجزة القرآن الخالدة** : على الباحث المسلم الغيور ألاّ يعقد سباقاً بين آيات القرآن وبين علوم البشر وكشوفهم العلمية ، ذلك لأن ما ألمح إليه القرآن في المسائل الكونية إنما هو أمور كلية خالدة خلوداً أبدياً ، ولم يفصِّل أمراً كونياً لأنه لم ينزل ليكون كتاب فلك أو كتاب كيمياء أو غيرها ، فإن من السذاجة أن نفهم أن النبي ﷺ بُعِثَ ليبشر بانتشار الذَّرَّة أو ارتياد الفضاء أوحتى كروية الأرض ، إنما بُعِثَ بدعوة خالدة لإصلاح الناس في حياتهم الدنيا والآخرة .

٧ - **صفــات وأمــور أخرى** : بالإضافة إلى ما سبق إيراده فإن القائم بهذه المهمة الجليلة لابد وأن يجمع خلالاً هامة ، أولها : تقواه ومخافته الله وغيرته الدينية ، ثم تمكنه من تخصصه العلمي ، وإلمامه بقواعد اللغة العربية وبيانها ، وإحاطته بالمقدار الضروري من علوم القرآن ، ثم إخلاص النية في عمله وابتغاء وجه الله وحده فيما يكتب إيضاحاً لعظمة كتابه العزيز .

خاتمــــــــة :

إنه لمن المحمود أن يأخذ رجال العلوم الدينية ببعض ما حققته العلوم التجريبية التي تبحث في نظم الكون والحياة ، وينشروها بين الناس ، ليدلُّلوا بها على بديع صنع الله تعالى الذي خلق فسوّىٰ وقدّر فهدى ، وليتحروا الدقة في هذا المجال حتى لا يقعوا في سقطات أوزلاّت كما أنه من المحمود أيضاً أن يستأنس رجال العلوم الكونية بما يتناسب - وبحوثهم - من آيات القرآن الكريم ، دونما شططٍ أو تكلف أو تحميل الآيات ما لم تنزل من أجله .

وإنه لمن الضروري التنبيه إلى نبذ مسميات « **التفسير العلمي** » و « **التفسير العصري** » لما يقال ويكتب في فهم الآيات الكونية الواردة في القرآن ، لأن هذه ليست تفسيرات وإنما هي تعليقات أو تعميقات للمفاهيم العامة للآيات الكونية ، ثم ينبغي الإشارة إلى أن هذه التعليقات والتعميقات ليست من قبيل « **التفسير بالرأي** » لأن هذا فن له أهله .

وإنه لمن الضروري عرض اقتراح في ختام هذا المقـال وهو **توحيد التفاسير المختلفة في تفسير واحد ضخم موسوعي** ، يضعه مجمع إسلامي على مستوى أكاديمي يضم أساتذة اللغة ، وقادة الفقه والشريعة ، ورجال التشريع ، وعلماء الطب بمختلف فروعه ، ورجال الفلك بميادينه كافة ، وعلماء الأحياء ، ورجال الزراعة والنبات ، وأساتذة الاقتصاد والمختصين في التربية والدراسات النفسية ، ورجال العلوم الأخرى والمعارف المختلفة ، وأن يكون هذا التفسير الموسوعي هو المعتمد للترجمة والنشر في بلاد العالم المختلفة بكل اللغات الحية أو حتى غيرها ؛ **وعلى هذا المجمع الإسلامي أن يعيد مراجعة التفسير الموسوعي على رأس كل قرن من الزمان كحد أقصى وذلك لإضافة ما قد تكون أظهرته الأبحاث والدراسات المتوالية في هذه المدة من حقائق جديدة تضاف إلى معاني الآيات .**

وعلى هذا المجمع الإسلامي أن يجمع كتب التفسير خاصة تلك التي تحتوي على إسرائيليات وخرافات فتحرق ويعلن على الناس عامة فسادها ، وعلى الله السبيل .

يا أمة الحق !!

يَا دَوْلَةَ الْحَقِّ نَحْنُ الْيَوْمَ فِي شَغَفٍ ... لأَنْ تَعُودِي وَيَرْعَى الأَرْضَ رَاعِيهَا ؟
قَدْ عَاثَ فِي الأَرْضِ جَبَّارٌ وَطَاغِيَةٌ ... وَعَمَّهَا الظُّلْمُ دَانِيهَا وَقَاصِيهَا !
إِذْ مَزَّقَ الْقَوْمَ أَحْزَابٌ مُضَلِّلَةٌ ... الكُفْرُ وَالشَّرُّ مَسْعىً مِنْ مَسَاعِيهَا !
كُلٌّ يَرُومُ بِأَرْضِ الْعَدْلِ تَهْلُكَةً ... وَيَدَّعِي أَنَّهُ يَسْعَى لِيُعْلِيهَا !!
أَتْبَاعَ أَحْمَدَ إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ ... عَلَى الْبَرِيَّةِ أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِيهَا
أَعْطَاكُمُ اللَّهُ فِي صِدْقٍ رِسَالَتَهُ ... يَا قَوْمُ هَيَّا عَلَى الإِيمَانِ نَبْنِيهَا
قُومُوا إِلَى قُدْسِنَا الثَّكْلَى لِنُنْقِذَهَا ... لَمْ تُجْدِ قَطُّ نِدَاءَاتُ تُوَاسِيهَا
حَقّاً وَصِدْقاً فَلاَ الأَقْوَالُ تَنْفَعُهَا ... كَلاَّ وَرَبِّي وَلاَ الأَشْعَارُ تَكْفِيهَا
هَيَّا إِلَى دَوْلَةِ الإِسْلاَمِ نُحْيِيهَا ... لاَ نَصْرَ إِلاَّ إِذَا قُمْنَا نُفَدِّيهَا
رَبَّاهُ إِنَّ دِيَارَ الْحَقِّ قَدْ خَضَعَتْ ... لِعُصْبَةِ الشَّرِّ هُمْ أَعْدَى أَعَادِيهَا !
كَانَتْ تَثُورُ إِذَا مَا الضَّيْمُ حَلَّ بِهَا ... فَأَصْبَحَ الظُّلْمُ وَالطُّغْيَانُ يُرْضِيهَا !!
مَاذَا دَهَى الْقَوْمَ هَلْ إِحْسَاسَهُمْ فَقَدُوا ... أَلَمْ يَسُودُوا عَلَى الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا ؟!!
وَاللَّهِ مَا حَلَّتِ الْبَلْوَى وَمَا نَزَلَتْ ... بِأُمَّةِ الْخَيْرِ إِلاَّ مِنْ تَوَانِيهَا !
قَدْ عَمَّنَا الْيَأْسُ وَاحُزْنِي سِوَى ثِقَةٍ ... فِي رَحْمَةِ اللَّهِ مَا زِلْنَا نُرَجِّيهَا
مِثْلَ السَّفِينَةِ وَالأَمْوَاجُ تَقْذِفُهَا ... وَسْطَ الْعُبَابِ وَقَدْ ضَلَّتْ شَوَاطِيهَا
يَا أُمَّةَ الْحَقِّ إِنَّ الأَرْضَ فِي ظَمَإٍ ... لاَ شَيْءَ غَيْرُ دَمِ الأَبْطَالِ يَرْوِيهَا
قَدْ طَالَ نَوْمُكُمُ يَا قَوْمُ فَانْتَفِضُوا ... يَا حَبَّذَا دَعْوَةٌ وَاللَّهُ دَاعِيهَا
هَيَّا فَذُودُوا جُنُودَ الْحَقِّ عَنْ بَلَدٍ ... تَرْنُو إِلَى جَحْفَلِ الإِسْلاَمِ يَحْمِيهَا
تَوَحَّدُوا وَبِحَبْلِ اللَّهِ فَاعْتَصِمُوا ... تَهُنْ عَلَيْكُمْ مِنَ الدُّنْيَا عَوَادِيهَا

شعر: أحمد بشار بركات

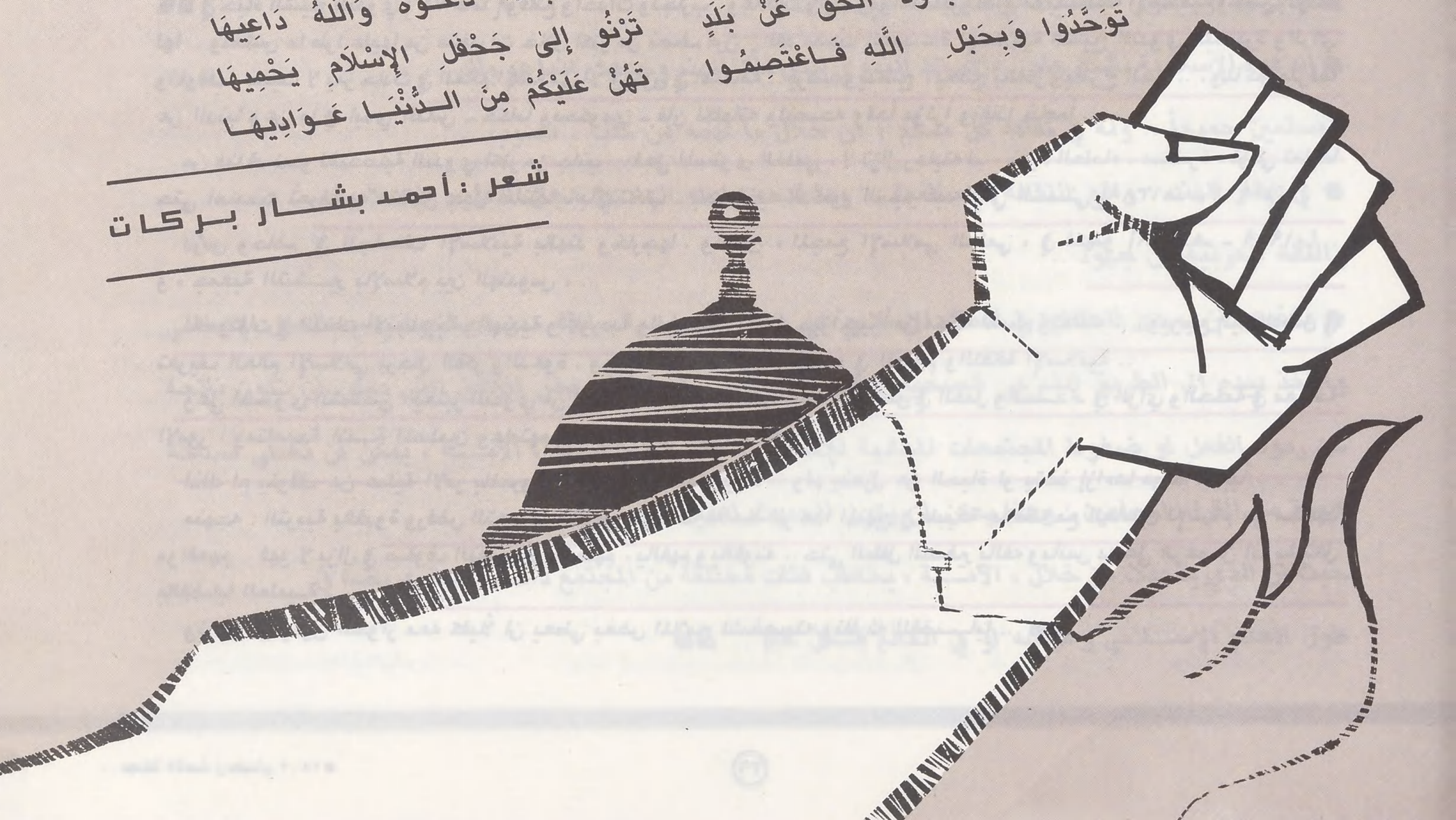

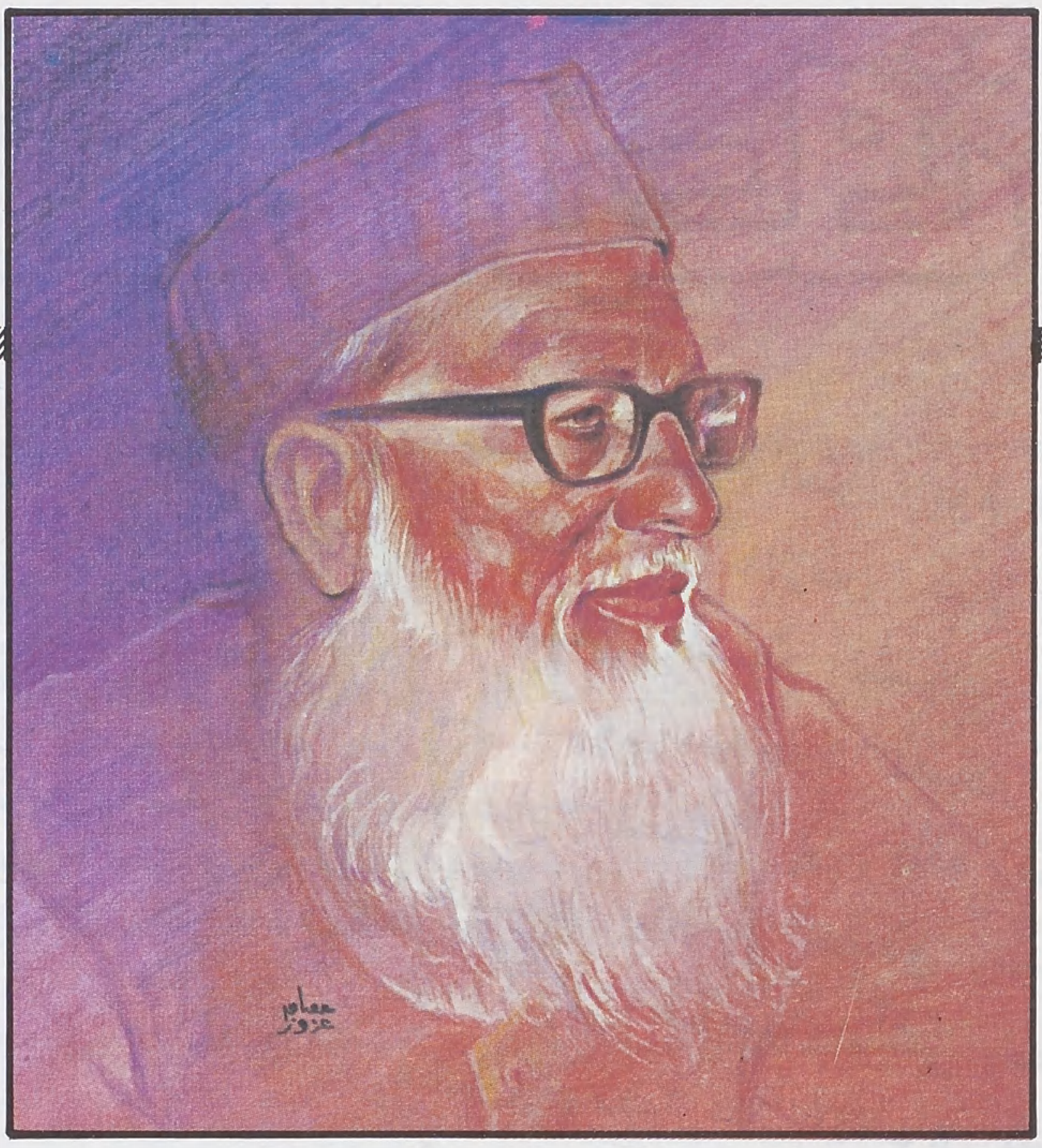

الشيخ أبو الحسن الندوي

في حوار حول :

مشكلات العمل الإسلامي

■■ في حياة الشيخ الندوي [٧١ عاماً] وقائع وأحداث وتجارب ، وعلاقات وآراء ومواقف تبرز اهتمامه بالقضية الإسلامية وحُسن إدراكه لها .. وتعكس ما طرأ عليها من متغيرات خلال أكثر من نصف قرن .. لقد منحت العقيدة الإسلامية الشيخ الندوي البصيرة والرأي والموقف ، بحيث لا يمر حادث في العالم الإسلامي إلاَّ ويكون في اهتمامه .. يرصد وينصح ، يعالج بالفكر ويقترح الحل .. ، ولما كان مترفعاً عن الدنيا وعن ما في أيدي الناس - حكاماً ومحكومين - فإن لكلماته ولنصحه وقعاً مؤثراً ونَفَاذاً خاصاً .

من هنا قد تبدو لشخصية الندوي أكثر من جانب .. فعلى المستوى العلمي ، لا تزال رعايته لـ « ندوة العلماء » مستمرة ، تُؤتي ثمارها حتى أصبحت تُعرف به منذ أن حمل أمانتها - بالانتخاب - بعد أخيه الدكتور السيد عبد العلي الحسني [١٣٨٠هـ - ١٩٦٢م] ..

درَّس وحاضر في الجامعات الإسلامية بالهند وخارجها ، وأسس « المجمع الإسلامي العلمي » في لكهنو [١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م] .. و « جمعية التبشير بالإسلام بين الهندوس » ..

له مؤلفات في اللغات الانجليزية والهندية والأوردية والعربية ، تشغل حيزاً كبيراً من مكتبة المسلم وثقافته .. ، ويرجع إليه الفضل في تعريف العالم الإسلامي برجال الفكر والدعوة ، وخاصة علماء الهند وآثارهم في العلوم والثقافة الإسلامية ..

وعلى المستوى الشخصي ، يعتبر الندوي من القلائل الذين يلمح المرء فيهم الإخلاص في العمل والسداد في الرأي والحكمة في معالجة الأمور ، ومناصحة أئمة المسلمين وعامتهم .. - ولا نزكي على الله أحداً - .

لذلك لم يتوقف عن عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يوماً .. ولم ينعزل عن الحياة أو يتخذ إزاءها موقفاً سلبياً ..

منهجه : التربية بالقدوة ورفض التعصب الحزبي ، ولعلنا نلاحظ أثر هذا المنهج في طبيعة علاقاته مع العاملين للإسلام على مختلف مواقعهم .. فهو لا يزال في صفوف الناس وقريباً منهم ، يألفهم ويألفونه .. حتى الطفل الصغير يألفه ويأنس به على الرغم من أنه يشتغل بالقضايا العلمية .

ونرجو أن يكون الحوار معه كفيلاً أن يعطي بعض الملامح لشخصيته ونظرته للقضايا .. ■■

أجرى الحوار : عمر عبيد حسنة

■ الشيخ ابو الحسن الندوي ، ومدير تحرير « الامـــة » ... في حوار حول مشكلات العمل الإسلامي ..
[... من اسس منهج الإسلام عندي عرض الإسلام عرضاً صحيحاً شائقاً وبصيراً ، ومطابقاً لعقلية الشباب ■

● بعض الدعاة يثيرون مشكلات وصداما ، ويدخلون في معارك قبل أوانها ، وكان يمكن لهم أن يشقوا طريقهم دون أن يتعرضوا لها ..

■■ نرى أن يكون الحديث في ثلاثـــة مجالات :

● الدعوة الإسلامية بشكل عام .. فالأستاذ الندوي ليس ملكاً للهند وحدها وإنما هو مِلْك للمسلمين جميعاً .. وله في ثقافة كل مسلم ، من خلال ما قدمه من كتب ، نصيب ..

● في إطار الهند : واقع الثقافة الإسلامية .. وما قدمه علماء الهند في مجال العلوم الإسلامية ، واللغة العربية من جهود ..

● مايُمكن أن يسدى للعاملين في الحقل الإسلامي على ضوء التجارب السابقة ، من نصائح لترشيد العمل الإسلامي والأخذ بيده إلى الطريق الشرعي الصحيح والحيلولة دون سقوطه في بعض المزالق التي يمكن أن تكون ناتجة عن ردود الفعل أو ضغوط المجتمعات المعادية للإسلام .. خاصة وأن مجلة « الأمـــة » يمكن أن تغطي مساحة كبيرة من القراء المسلمين ؛ وهنا يمكن أن يكون للحديث أهمية خاصـــة ..

حيث إن الذي يتحدث من خلال « الأمـــة » يخاطب فئات مختلفة من المجتمع ذات مساحة عريضة في طول العالم الإسلامي وعرضه أو في العالم بشكل عام .. ■■

الشيخ أبو الحسن الندوي

في حوار حول: مشكلات العمل الإسلامي

ردّة فكرية . . .

□□ **النقطة الأولى التي يمكن أن نعرض لها :**
من خلال نصف قرن أو يزيد من الاهتمام بقضايا المسلمين سواء أكان ذلك في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى في الهند أو في مجال الدعوة بشكل عام ، أو في مجال الثقافة والتأليف .. وقد مرّ بالمسلمين خلال هذه الظروف مآسٍ كثيرة ، فهل يمكن تحديد الأسباب الرئيسة التي كانت وراء مأساة المسلمين خلال هذه الفترة التي عايشتم فيها الدعوة والعمل الإسلامي ؟

ــ يسرني أن أساهم في هذا الحديث الهادف الدسم وإن كنت أفضل دائماً أن تكون الأسئلة مكتوبة وأجيب عليها بتروٍ .. ولكن الأوضاع الحالية لا تسمح بذلك ، وقد قيَّض الله لي هذا اللقاء الكريم فمنحني هذه الفرصة التي يجب أن أرحب بها وأنتهزها ...

في الحقيقة ، الشيء الذي أفقد الدعوة تأثيرها المطلوب ، وقيمتها التي جربتها الدعوة والدعاة منذ قرون ، هو ما يعيشه المسلمون من تناقض .. **المسلمون الآن يعيشون في تناقض .. عملية هدم وعملية بناء .. وعملية الهدم هي أقوى وأنشط !! والقائمون بها أقوى وأنشط .. وهم يملكون من الوسائل ما لا يملكه الدعاة المخلصون** . فعملية الهدم والبناء قائمة على قدم وساق ، أما عملية البناء فهي بكل أسف بطيئة وغير مسلحة .. وفيها جوانب كثيرة من النقص . فما يبنيه الدعاة في أيام وفي أسابيع يهدمه الهادمون في ساعات وفي دقائق .

ثم عدم وجود الدعاة المخلصين الذين وهبوا حياتهم ومواهبهم وطاقاتهم وركزوها على إعادة الإيمان في نفوس الشباب ، وإعادة الثقة في صلاحية الإسلام .. صلاحية وجدارة الإسلام ليس للبقاء فقط (وأنا أعتذر لنفسي وضميري لدراساتي القاصرة) ، **ولكن جدارة السبق للزمن وجدارة القيادة ـ قيادة البشرية ـ** .

فتجربتي ودراستي ، أن الشباب ـ كثيراً منهم ـ قد فقدوا هذه الثقة ؛ وإن كانوا لا يصرحون بذلك ولا يعترفون به ، ولكن هناك ردة فكرية قد غزت المجتمعات الإسلامية وغزت الشباب بصفة خاصة . فليس من المودة وليس من الظرافة والكياسة أن يذهب إنسان إلى الكنيسة ويعلن أنه تنصّر ، هذا ما لا يقبله أي مسلم . ولكن إذا بحثنا عن عقائدهم ، وعن إيمانهم بالله وبالرسول وبالحياة الثانية وبتعاليم الإسلام التي جاءت في القرآن ، نجد أنهم قد فقدوا الثقة في كونها مطابقة للعقل والعصر وأن فيها رسالة للإنسانية ، للإنسان الجديد ؛ إنما يعتقدون أن الإسلام قد قام بدور لا بأس به ، فقد قام في العصر الإسلامي الأول فنهى عن وأد البنات ، ونهى عن عبادة الأوثان .. هذا شيء جميل معترف به وقضية مُسلَّم بها .. ولكن ماذا عن هذا العصر المتطور المتحضر الراقي المعقد ؛ إنهم يعتقدون أن الإسلام ليست له رسالة لهذا العصر ... **فالقضية الرئيسة أن نعيد الإيمان إلى نفوس الشباب ثم نعيد الثقة بصلاحية الإسلام وبأن الإسلام هو دين الله الأخير الخالد الذي لا دين بعده .**

فالمشكلة الحقيقية التي نعيشها الآن هي تارجح الشباب المسلم .. تارجح بين عملية الهدم وعملية البناء .. بين التعمير والتخريب .. بين النفي والإثبات ..

قراءة الظروف والتعامل معها .

□□ **أما ترون بأن أحد وجوه هذه المشكلة ، ان بعض قيادات العمل الإسلامي ، المتصدرة للدعوة الإسلامية لم تستطع تقديم الأنموذج الحي الكامل المتوازن للشباب المسلم ، مما جعله يعيش هذا التأرجح الفكري والإيماني إن صح التعبير ؟**

ــ أنا لا أنفي هذا .. لا أعارض هذه الفكرة ، ولا أقول إن القائمين بالدعوة الإسلامية قد مثّلوها أحسن تمثيل وتمثيلاً كاملاً .. الدعاة طبقات وأنماط ومدارس وأنواع .. ولكن ، **ليست المسؤولية على الدعاة فقط بل على البيئات كذلك .**
أنا أعتقد أن الإسلام لم يُسمح له في أي بقعة من بقاع الأرض أن يُظهر كوامنه .. يعني الطاقة المذخورة الكامنة فيه .. لن يستطيع الإسلام والممثلون للإسلام ، سواء من الدعاة أو المثقفين أو من علماء الدين ، إظهار محاسنه ، فلم يستطع الإسلام في حضانتهم وتحت إشرافهم أن يُظهر براعته وقدرته بكل حرية في الحلول الإنسانية .. قدرته على حل القضايا الإنسانية وقدرته على تكوين بيئة جديدة وصبغة جديدة للحياة .. لم تتح لهم الفرصة الكافية ولا الحرية الكافية ليُبرز الإسلام محاسنه ويبرز ما عنده من طاقات مذخورة ومن صلاحيات كامنة ؛ في حين سُمِح لكل فلسفة ولكل نظام من النظم الحديثة ، سواء أكانت سياسية أو اقتصادية ، سمح لهذا النظام أن يثبت براعته وقدرته على الحدوث .

□□ **يمكن أن يكون هناك وجه آخر للقضية فيما أعتقد :**
لا شك بأن الأصل في الدعاة أو القيادات الإسلامية ، أن يقدِّروا الظروف من حولهم ويحسنوا التعامل معها ، بمعنى محاولة تقديم الإسلام من خلال الظروف المحيطة والإمكانات المتاحة ؟

ــ أنا لا أخالف هذا ، وأعتقد أن كثيراً من الدعاة قد راعوا الظروف المحيطة بهم واجتهدوا أن يمثل الإسلام أو أن يقوموا بالدعوة الإسلامية في تلك البيئة والظروف التي كانت محيطة بهم . إن كثيراً منهم قد قاموا بواجبهم وببعض واجبهم .. ولا شك أن مراعاة الظروف لازمة لابد منها .. لكن إذا كانت الظروف قاهرة وإذا كانت هي التي تخنق الدعوة وتكم الدعاة وتقف في وجه كل داعية ، هنالك يصعب على أي داعية مخلص ، مهما بلغ سن الإخلاص والمقدرة واللباقة أن يقوم بواجبه كاملاً ..

رسم طريق العودة . .

□□ .. **نحن نلمح أن الكثيرين تحدثوا عن أسباب تخلف المسلمين ، وكان إجمال الإجابة**

• الامام السرهندي ، واجه أقوى الحكومات ـ وهو أعزل واستطاع أن يحول تيار البلاد من المعاداة للاسلام إلى حمايته بفضل الفهم الكامل للظروف والتقدير الدقيق للامكانات . .

في سبب هذا التخلف هو بُعد المسلمين عن الإسلام ـ وهذا أمر لا شك فيه ـ لكن دون القدرة الكاملة على رسم طريق العودة . فالابتعاد عن الإسلام والانسلاخ منه قد أخذ مراحل طويلة وعمراً طويلاً أيضاً ؛ ودون القدرة على تقديم صورة عملية ـ من خلال الظروف ـ ورسم طريق العودة ، على مراحل ، من خلال الإسلام نفسه قد لا يجدي العلاج ... فما هي في رأيكم ملامح طريق العودة إلى الإسلام التي يُمكن أن تُقدم للمثقف المسلم في هذا العصر ؟؟

ـ معلوم أن الدين الوحيد الذي ليس مسؤولاً عن تأخر أتباعه ، هو الدين الإسلامي . فإذا كانت النصرانية هي المسؤولة عن عرقلة السير في طريق التقدم وإحداث مشاكل كان النصارى في غنى عنها وعن حروب لم يكن هنالك داعٍ لها ، فالإسلام ليس مسؤولاً عن تخلف المسلمين . إنما المسلمون هم المسؤولون عن تخلفهم وحدهم لابتعادهم ـ كما تفضلتم ـ فالمنهج الصحيح عندي هو عرض تعاليم الإسلام عرضاً صحيحاً وعرضاً شائقاً وبصيراً .. عرضاً مطابقاً لعقلية الشباب ..

وكما أوصانا سيدنا علي بن أبي طالب : « كلموا الناس على قدر عقولهم ، اتريدون أن يُكذب الله ورسوله ... » .

فإذا كان الذي يقوم بالدعوة إلى الله هو أنموذج للحياة الإسلامية الصحيحة المثالية ، فإذا جمع بين العمل والعلم الصحيح ثم بين العرض كذلك ، فأنا متأكد من أن الشباب سيقبلون تعاليم الإسلام وسيترسمون خطوات الإسلام في حياتهم ..

فقه الداعية وثقافته . .

□□ إننا نرى في العالم الإسلامي كثيراً من الإخلاص الآن . لكن المشكلة أن هذا الإخلاص قد يوظف في غير المكان المجدي أو في غير الطريق الشرعي أو قد يجنح عن الطريق الشرعي ، أو قد نكون عاجزين عن تقديم الأوعية الشرعية لهذا الإخلاص ، كقيادات لترشيده ، وبذلك يمكن أن يعود على صاحبه وعلى المجتمع الإسلامي ببعض المساوىء أو أن يساهم سلبياً في الإساءة للإسلام دون أن يقصد ذلك !!

ـ في الحقيقة هذا سؤال دقيق والجواب سيكون أدق منه ، لأن الدعوة هي من المقاصد التي ما يمكن أن تحدد ، ما يمكن أن ترسم لها خطوط وحدود ، لأنها ترجع إلى وعي الداعي وإلى الحكمة . فكما يقول بعض بلغاء الغرب إن الحرب والحكم ما لهما ضوابط وحدود مرسومة . كذلك أنا أعتقد أن الدعوة الإسلامية ما يمكن أن نحدد لها حدوداً مرسومة وضوابط صارمة .. هذا يرجع إلى دراسة الداعي للبيئة وللظروف وللمستويات العقلية المختلفة التي يتحلى بها الشباب مثلاً أو بعض الطبقات .. فلا نستطيع أن نقول : ينطلق من هنا ويقف هناك ثم ينطلق من هنا ويقف هناك ، ليس هناك دليل مثل دليل القطار مثلاً أو مثل دليل البلد مثلاً الأمر يرجع إلى فقه الداعي ، هذا الفقه الذي يقوم على دراسة السيرة النبوية دراسة عميقة ودقيقة ويتوقف على دراسة القرآن كذلك دراسة دقيقة وعميقة ، وعلى سِير الأنبياء وأحوالهم مع أممهم ، ومعرفة نفسيات الشباب ، كذلك يحتاج إلى شيء من علم النفس وإلى العقل المؤمن المودع في نفس الداعية ..

السيرة ومواقع حياتنا . .

□□ هذا يذكرني بسؤال آخر : بعض العاملين للإسلام في هذه

■ رجال الامن ـ واكثرهم من الهندوس ـ اشتغلوا بالهجوم على المسلمين وتدبير المذابح وإبادة القرى ■

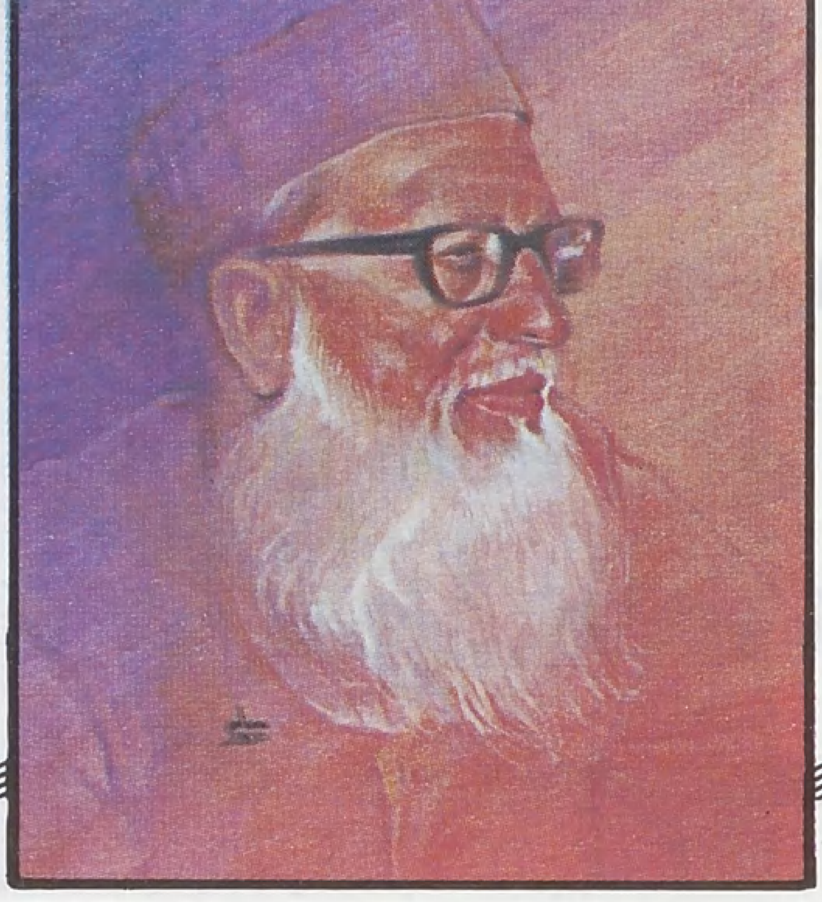

الشيخ
أبو الحسن الندوي
في حوار حول: مشكلات العمل الإسلامي

الأيام يحاولون بالتعبيرات الحديثة أن يسقطوا على سلوكهم بعض صور من السيرة أو يُوجدوا مسوغات من بعض آيات القرآن الكريم ، يعني يحددون موقعهم من السيرة أو يسقطون السيرة على موقعهم ، فيصبح الإخفاق في هذا الموقع أو التعثر في ذاك الموقع أو عدم بلوغ الكمال من خلال هذا الموقع يوقع الشباب المسلم بشيء من الارتباك والإحباط والانكسار النفسي الذي قد يمتد إلى قضية الثقة بالسيرة والقرآن .. كأنني أرى في هذه القضية - والله أعلم - بأن تبقى للسيرة مكانتها وتميزها ، نهتدي بها ومن ثم نقترب ونبتعد عنها بمقدار ما يؤتى كل منا من الخير . أمّا أن نسقط السيرة ، إن صح التعبير ، على بعض مواقع حياتنا الإسلامية اليوم ، فهنا المشكلة ، أرجو من خلال معاناتكم وكتاباتكم في السيرة أن تلقوا لنا أضواء على هذه النقطة لأنها خطيرة جداً كما نلمح الكثير من آثارها اليوم !!...

— في الحقيقة ، كل علم يخضع لأهواء المؤلف أو الداعية أو الخطيب أو الأديب أو الكاتب . لا يُستثنى علم من العلوم ، حتى القرآن ، كذلك استخدمه كثير من الفرق الإسلامية ، كما تعرفون (الخوارج ، المعتزلة وغيرهم) وبعض العلماء الكبار ، والكتاب في حديثهم عن القرآن ، سرد حجج جميع الفرق الإسلامية سواء أكانت ضالة أو كانت على هدىً ، فكل فرقة وكل مدرسة فكرية في الإسلام احتجت بالقرآن . فكل علم يمكن أن يخضع لمقاصد خاصة وللمخططات خاصة .. وهذا يرجع إلى أمانة الإنسان وشعوره بالمسؤولية وخشيته لله تعالى ، ووقوفه أمام الله الذي نزَّل هذا الكتاب على الرسول الذي عرض هذه السيرة في الحياة الطيبة .. نستطيع أن نرسم له حدوداً مثلاً ، يقتبس من هذا ويترك هذا ويطبقه تطبيقاً جزئياً وتطبيقاً كلياً ...

... نقتبس من السيرة المعاني الكريمة .. نقتبس منها الحوافز والدوافع القوية ، ولكن لا نخضع السيرة لواقعنا مثلاً ، أو نجعلها شاهداً لما نفعله ..

التطرف . . وترويج المصطلحات

□□ ننتقل إلى نقطة أخرى ، يمكن أن تعتبر قضية الساعة بالنسبة للعمل الإسلامي . يصف كثير من الناس ، وعلى مستويات متعددة كوسيلة من وسائل حرب الإسلام نفسه ، دعاة الإسلام بشكل عام أو بعض دعاة الإسلام في بعض الأماكن من العالم الإسلامي ، بالتطرف والتزمت والتشدد وما إلى ذلك من النعوت ، لشل حركة الدعوة الإسلامية وتخويف الناس من الاستجابة لها وإحاطة العاملين للإسلام بجو من الرعب حتى يمكن أن نقول : أثرت هذه وأوجدت نوعاً من الحواجز النفسية بين الناس وبين الإسلام ، حتى إن بعض دعاة الإسلام أنفسهم وقعوا في هذا الشرك الذي نصب لهم فبدأوا يتحدثون عن التطرف ويسكتون عن جرائم أعداء الإسلام .. ولا شك بأن خصوم الإسلام يستغلون بعض صور التطرف .. بعض

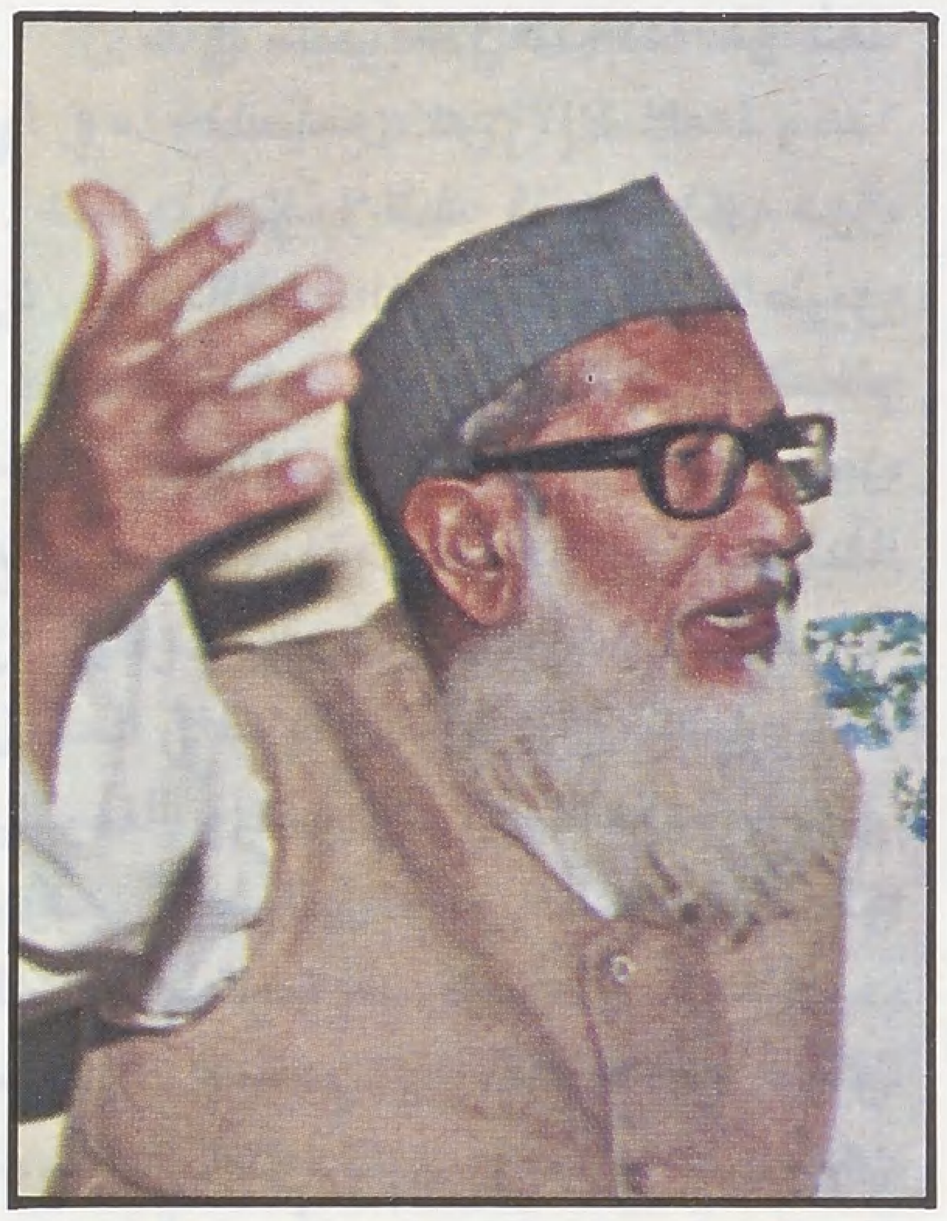

■ الردة الفكرية تغزو المجتمعات الإسلامية .. ولابد ان يعود الإيمان برسالة الإسلام الخالدة لإنقاذ هذا الواقع .. ■

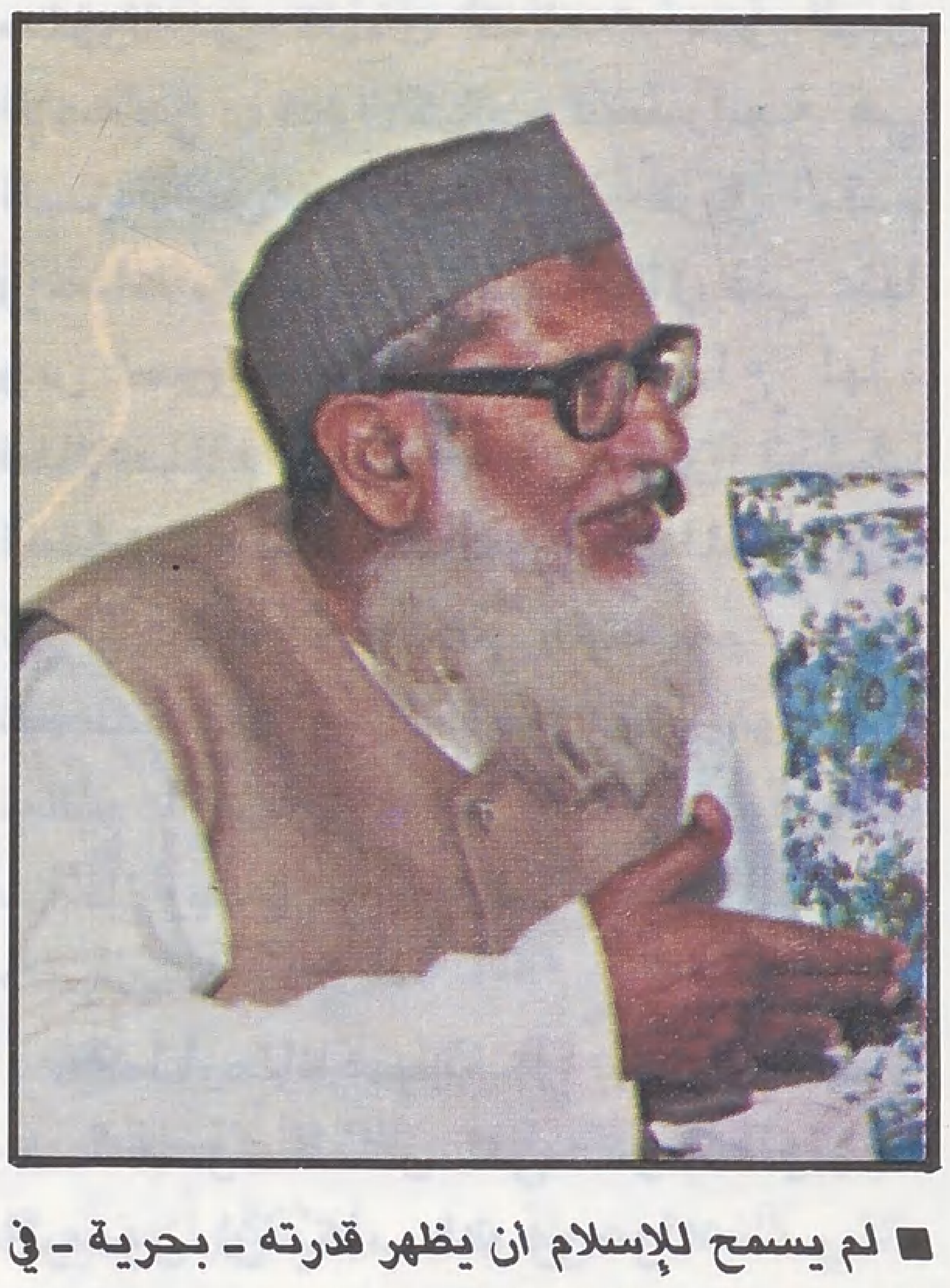

■ لم يسمح للإسلام ان يظهر قدرته - بحرية - في تقديم الحلول الإنسانية ... على حين سمح لكل النظم الحديثة والفلسفات ان تثبت قدراتها .. ■

● الأستاذ المودودي استقبل كتابي « التفسير السياسي » الذي انتقدت فيه بعض تعبيراته برحابة صدر .. وطلب مني مطالعة مابقي من كتبه .. وقال : أنا لا أعدكم بالموافقة مائة بالمائة ولكنني سأنتفع .. ولست فوق مستوى النقد .

● إذا كانت الظروف القاهرة تحاصر الدعوة وتكمم الدعاة فمن الصعب على أي داعية ؛ مهما بلغ من الاخلاص والمقدرة أن يؤدي واجبه كاملاً ..

○ شارون ○
■ الوحشية الفاتكة بالاطفال والنساء والوالغة في دماء الأبرياء ■

■ ضياع افغانستان - كدولة مسلمة وشعب مسلم غيور - يعني فقدان عضو سليم وقوي من الجسم الإسلامي .. ■

■ مجزرة صبرا وشاتيلا لم يقع لها مثيل في العالم المتحضر المعاصر ، وليس لها نظير في العصور الماضية .. ■

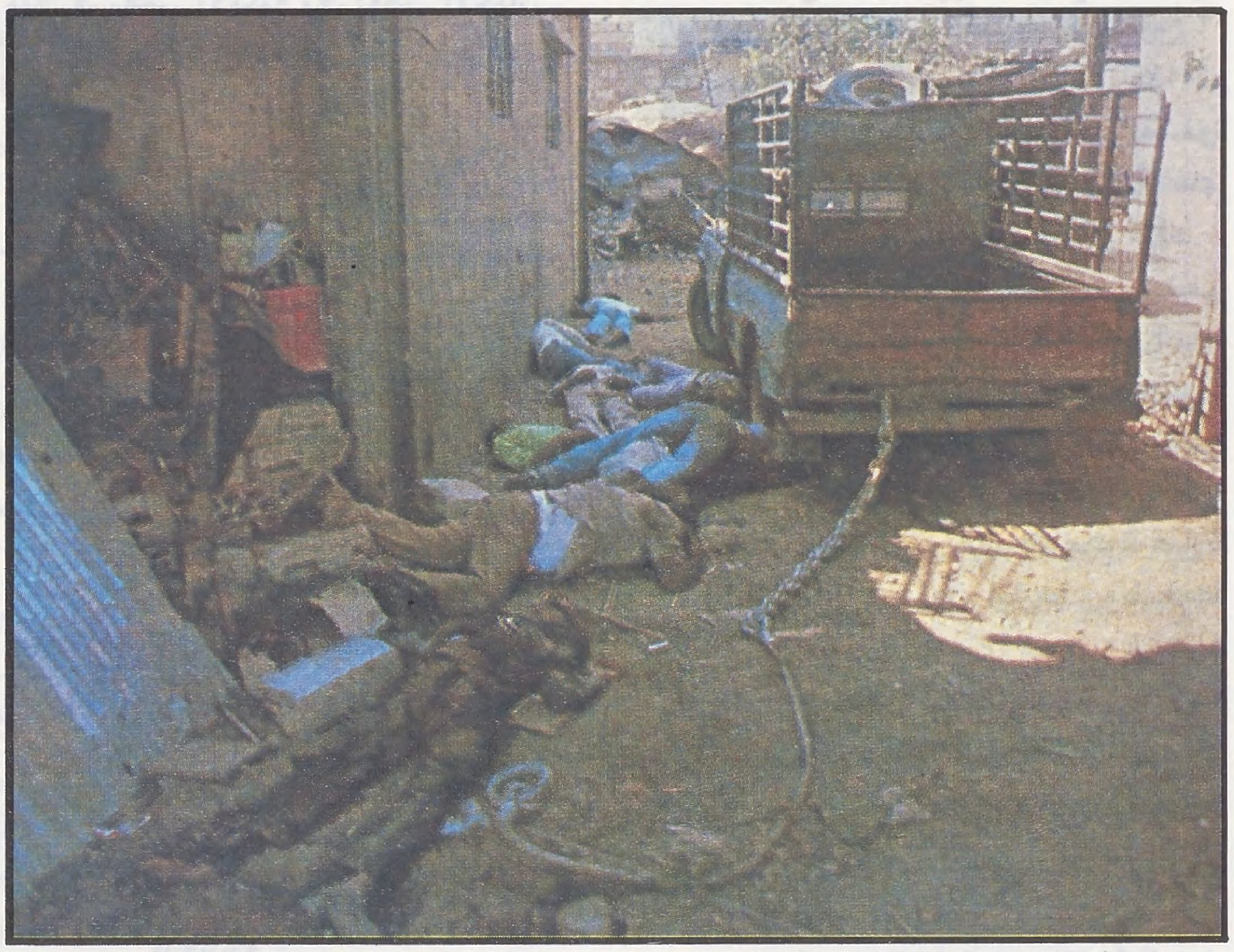

الصور الشاذة .. ويوظفونها لأغراضهم . فما هي في رأيكم الوسيلة الناجعة لمعالجة هذه القضية ؟

— من الموافقات البشرية في حياة الأمم وفي حياة الديانات كذلك أنها تروج مصطلحات يستغلها المغرضون دائماً لإسقاط معنىً أو لإحراج عاملٍ مثلاً أو داعٍ أو مفكر . **فكانت كلمة الصابئة هي الكلمة الأولى التي استغلتها قريش** فمن دخل في الدين الإسلامي يقال له صبأ أو صابىء ثم في القرون الوسطى ، بالنسبة للتاريخ الإسلامي لا أقول بالنسبة للتاريخ العام ، كانت كلمة **الوهابية** .. وكلمة **المحافظين** مثلاً **والمتزمتين** .. **هذه كلها كلمات** دقيقة وكلمات مرنة **يمكن أن تستخدم لغرض صالح ، ويمكن أن تستغل لغرض شنيع** . فالتطرف في استخدام هذه الكلمة تطرف .. قد تطرف الناس في استخدام كلمة التطرف .. كانوا متطرفين في رمي بعض الجماعات بالتطرف . لا شك أن هناك تطرفاً ... هناك تطرف حقيقي ، يوجد تطرف ومغالاة ، وكذلك تزمت وكذلك جمود ، هذه كلها حقائق واقعية ولكن تطبيقها على الأشخاص وتطبيقها على حوادث خاصة ، تطبيقها على مدارس فكرية خاصة ، فهذا يحتاج إلى عدل ، يحتاج إلى وزن صحيح دقيق . لم يكن الناس في الحقيقة دقيقين في استخدام هذه الكلمات ..

□□ نعود إلى الكلام في قضية التطرف .. ما هو في اعتقادكم ومن خلال الرؤية التي ترونها أسباب التطرف الذي يقولون بانه قائم وموجود ؟

— في الحقيقة ، الرمي بكلمة التطرف نشأ كرد فعل . كما تعرفون في بعض البيئات الإسلامية ، لما ابتعد المسلمون عن تعاليم الإسلام ، الذين أرادوا أن يُعيدوا المسلمين إلى التعاليم الإسلامية قد رموهم مثلاً بالجاهلية ، يقولون إنهم جاهليون وإن حياتهم جاهلية بمعنى الجاهلية التي كانت قديمة سابقة للإسلام . فهناك تطرف يعني في إطلاق هذه الكلمة على أناس عندهم تقصير في العمل مثلاً أو أنهم ليسوا على المستوى الكامل ، المستوى الرفيع من التطبيق الإسلامي ، رميهم بالجاهلية هذا فيه تطرف . كذلك هنالك تطرف عملي . مثلاً بعض الناس يلزمون كل واحد أن يكون دقيقاً في كل سُنَّة مثلاً في أول يوم .. يعني لا يتسامحون معهم بل يريدون أن يكونوا مثلاً كاملاً للاقتداء **بالرسول ﷺ** والعمل بالسنة من أول يوم دون تدرج . هذا فيه ما ينافي الحكمة وفيه شيء من التطرف .. التطرف يكون من جانبين : التطرف من السلبيين والتطرف من الإيجابيين .

قيـاس مع الفـارق !!

□□ .. كانما المجتمع الذي الِف حياة معينة بعيدة عن

الشيخ أبو الحسن الندوي

في حوار حول: مشكلات العمل الإسلامي

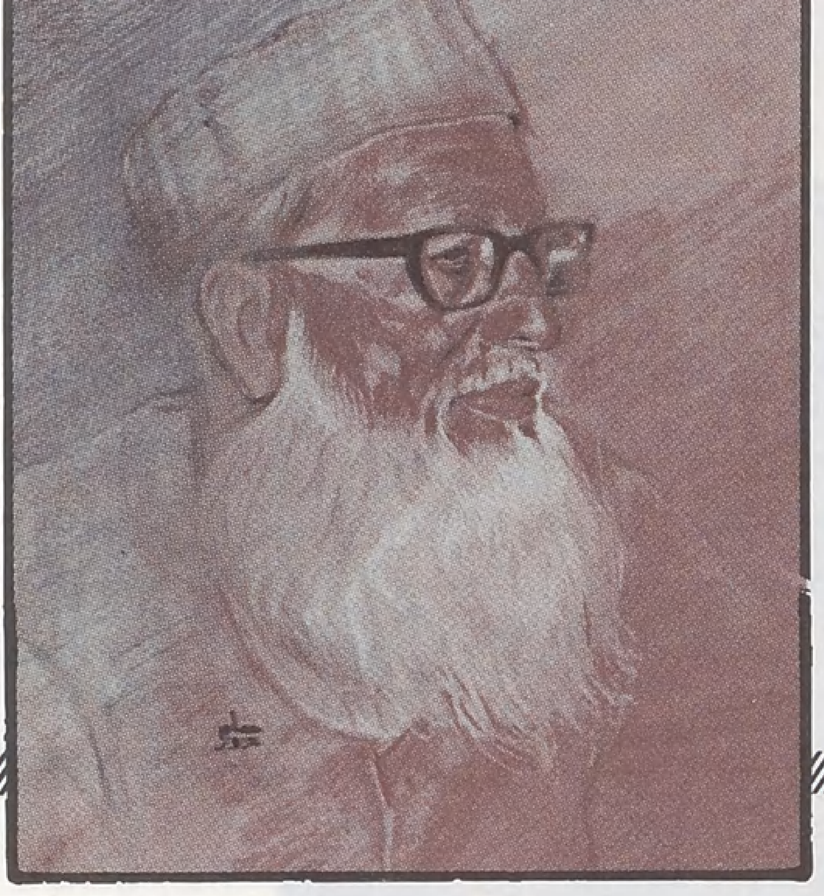

الإسلام ، يرى في الذي يخرج على هذه الحياة المألوفة والمعتادة لديه غرابة فيتهمه بأنه متطرف لأنه ما ألف هذا اللون من الالتزام بالسلوك الإسلامي .. حتى إن بعض العاملين في حقل الدعوة وصف بعض صور التطرف بأنه يمكن اعتبار أصحابها من الغلاة ، كما هو الحال ، على زمن سيدنا علي رضي الله عنه حينما خرج عليه الخوارج ، اعتبرهم من البغاة قياساً على حالة الخوارج ، مع أن الأمر في تقديري قياس مع الفارق .

نرى الوضع مختلفاً بالنسبة للمجتمعات الحديثة في أكثر من جانب ، الحقيقة في نظري ؛ أن توظيف الأحكام الشرعية التي كانت لحاكم مسلم في مجتمع مسلم في ظروف تاريخية معينة ، لواقع آخر فيه كثير من الجوانب المختلفة في الصورة ، يعني : ما يسميه علماء الأصول : قياس مع الفارق .. فاريد بعض الإضاءات على هذه النقطة إذا تكرمتم علينا ؟

— أنا أوافقكم مائة في المائة في أنه قياس مع الفارق فليس الآن حكم سيدنا علي رضي الله عنه أو من يقوم مقامه مثلاً من الخلفاء الراشدين الذين يمثلون الخلافة الإسلامية الصحيحة فإذا لم تكن هناك خلافة إسلامية ولم تكن هناك خلافة راشدة ، فالذي يعارض الحكم بالوسائل المشروعة ويدعو لتطبيق الإسلام لا يُعتبر خارجاً ولا باغياً .

... والله ما يمكن إطلاق القول في ذلك إطلاقاً كلياً ، إنما يختلف باختلاف الظروف ، باختلاف الأسباب الدافعة إلى ذلك . فقد يكون هؤلاء الذين خرجوا على أوضاع جائرة تحارب الإسلام حرباً سافرة ، حرباً علنية ، فيمكن أن يكونوا مجاهدين مثلاً في بعض الأمكنة وفي بعض الأحيان . ويمكن أن يكونوا متطرفين أو غلاة في بعض الأحيان ..

□□ يعني ، إذا سكتنا عن الذين لا يقرون الإسلام ونقدنا فقط الذين يعملون للإسلام بأسلوب مغلوط فنخشى أن نساهم إلى حد بعيد بعملية تكريس التطرف ، التي استجرّ بعض العاملين إليها !!

— يجب أن نعطي كل واحد حقَّه من الحكم ومن التطبيق .. ننتقدهم إذا كانوا يستحقون النقد .. ننتقدهم بكل صراحة .

□□ يعني .. في الوقت الذي نتكلم عن أساليب بعض الإسلاميين لابد لنا أن نتكلم عن انحراف وتقصير الآخرين ، طبعاً بالحكمة والموعظة الحسنة ؟..

الأوعية الشرعية ..

□□ في العالم الآن ، توجه للإسلام ، يمكن أن نلحظ آثار ذلك في أكثر من مجال ، في إقبال الشباب على المساجد ، وفي المؤلفات الإسلامية ، وفي انتشار المؤسسات والمراكز الإسلامية في كل أنحاء العالم ، في أوروبا وأمريكا .. يعني : حركة المد الإسلامي التي أسموها الصحوة الإسلامية .. أصبحت سمة بارزة ما هي في رأيكم الأمور الملحة الآن لترشيد هذه الصحوة والأخذ بيدها في السير الإسلامي السليم الصحيح ؟

— أعتقد ، الركن الأساسي في هذا هو تعميق الفكرة الإسلامية . فإن هذه الصحوة أخشى أن تكون هي أكثر سطحية منها عمقاً .. وأن تكون نشأت كرد فعل كذلك .. وردود الفعل لا بقاء لها طويلاً .. لا تبقى طويلاً ، إنما انعكاسات عصرية وسلبية ، فيجب أن نُعمق الفهم الإسلامي وأن لا نتأخر في استثماره .. فإذا أهملناها نخشى أن تفقد القوة وترجع إلى الوراء .

□□ يعني هذه الصحوة عبارة عن رد فعل لظروف وضغوط وواقع عصري معين ، فإذا لم يُستفد منها وتوضع لها الأوعية الشرعية وتُعقَّل أو ترشد بشكل صحيح ، يخشى أن تكون آنية ..

(مقاطعاً) :

— نشأت من السآمة ، من المادية الرعناء التي طغت في هذا العصر وظهر رد الفعل لهذا في كثرة الانتحارات مثلاً ، وفي الإقبال على روحانية متطرفة مثلما تسمعون عن الكثير من الرهبان الهنود الذين يؤمنون بهم في أمريكا ، ويكون عليهم إقبال كبير ، حتى في الكويت سمعنا أحد الرهبان الهنود قد ذهب إلى هناك وبدأ يعرض الحلول للحياة ، للشباب ، لمشكلات الشباب ، وكان عليه إقبال كبير . وهذا كله بسبب رد الفعل . فهذه السآمة دائماً ، **إذا درسنا تاريخ السآمة دائماً تقف عند حد .. فإذا انتهت إلى هذا الحد ينشأ رد فعل آخر ..**

عوامل النجاح والفشل ..

□□ إن تجارب العمل الإسلامي في مجال الدعوة إلى الله أصابت في بعض الجوانب ، وكان لها بعض السلبيات .. هل يمكن من خلال استقراء واقع

● الناس تطرفوا في استخدام كلمة التطرف .. والمجتمع الذي ألف حياة معينة بعيدة عن الاسلام ؛ قد يرى في الخروج عليها والالتزام بالسلوك الاسلامي نوعا من التطرف ..

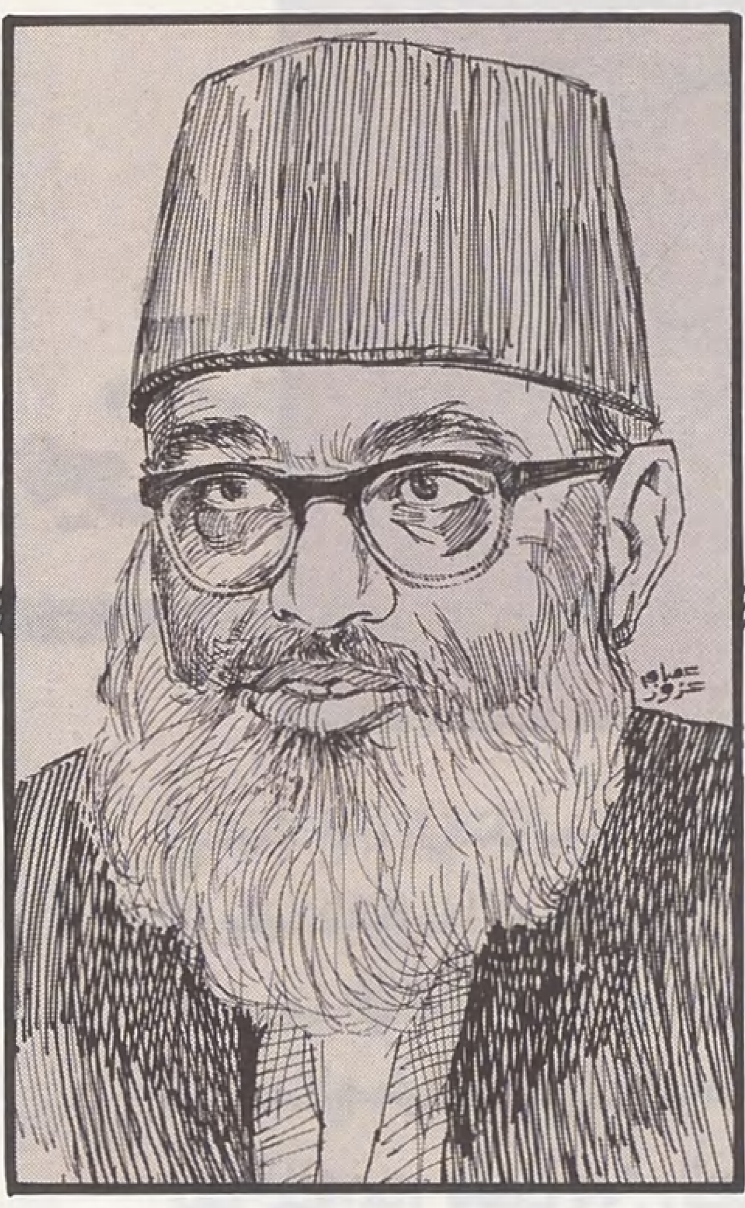

■ ابو الاعلى المودودي رحمه الله : استقبل كتاب التفسير السياسي بالشكر وطلب مطالعة ما بقي من كتبه ■

■ نهـرو :
لولا جهود المسلمين لبقيت الهند متأخرة جداً ■

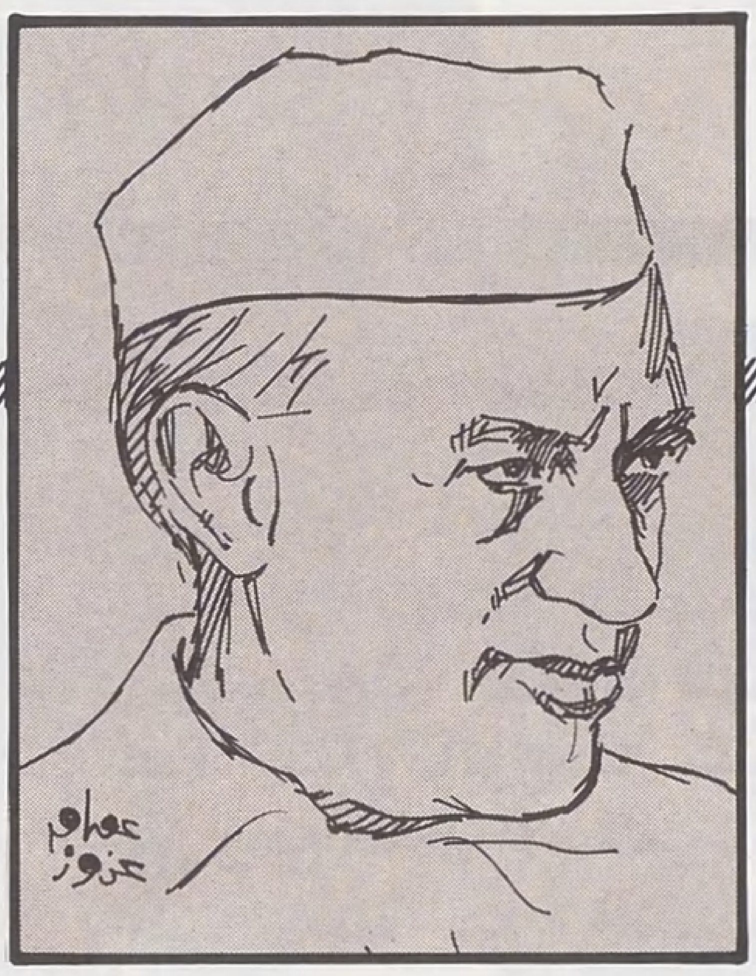

■ شكيب ارسلان :
إذا سكن كل عرق في العالم الإسلامي فإن العرق الإسلامي في افغانستان لا يزال متحركاً ■

هذه التجارب ، تحديد عوامل النجاح والفشل للعمل الإسلامي اليوم . على ضوء التجارب الميدانية ليكون ذلك بصيرة للدعاة والعاملين للإسلام ؟

ـ أكبر عوامل النجاح أولاً : **الإخلاص والتفاني في الدعوة والتجرد عن الشهوات ، تجرداً عن استغلال هذه الدعوة لمآرب شخصية ولمنافع شخصية .** ثم : **الابتعاد عن إثارة المشكلات التي ليست بواقعية وليست بلازمة** . يعني : نلاحظ أن كثيراً من الدعاة يثيرون مشكلات ويثيرون صداماً ، ويدخلون في معارك قبل وقتها (**قبل الوقت**) فيتورطون في مآزق وفي مشاكل كانوا في غنى عنها .. كان يمكن لهم أن يشقوا طريقهم إلى الأمام من غير أن يتعرضوا لها . فمثلاً نرى أن هناك نماذج من الدعوة الإسلامية في هذا المجال ومن أنجح هذه النماذج ، **النجاح الذي حققه الإمام السرهندي في الهند مثلاً** ، ابتلي بحكومة قوية من أقوى الحكومات ليست في البلاد الإسلامية فقط ، من أقوى الحكومات على وجه الأرض .. وكانت هذه الحكومة مندفعة ، متجهة إلى محو الإسلام من هذه البلاد ، لأسباب كثيرة يطول ذكرها .. بحثتها في كتابي (**الإمام السرهندي**) الذي صدر أخيراً . هذا ، إنما اختار الطريق الأسلم والأكثر فائدة .. الطريق الهادىء .. لم يصطدم بالحكومة ولكنه أثر في البلاط .. أثر في أركان الدولة .. صار يراسلهم ويتصل بهم ويثير فيهم النخوة الإسلامية والحمية الدينية ، يقول لهم : أنتم مسلمون . وآباؤكم كانوا مسلمين . والبلاد الآن متجهة إلى البرهمية وإلى اللادينية ، فيجب أن تقوموا لهذا وأن تتجهوا بالدولة الوجهة الإسلامية ، فاستطاع أن يصرفهم إلى نفسه وأن يحتضنوا هذه الدعوة وأن يتبنوها ، فقاموا والتفوا حوله .

ولما مات ـ الملك أكبر ـ الذي كان معادياً للإسلام لأسباب كثيرة ، لما لقي حتفه ، جاء الملك (**جهانكير**) وكان خيراً منه ، وكان **الإمام السرهندي** قد هيأ الجو لهذا الملك ، فاجتمعوا حوله ووجهوه إلى الوجهة السليمة ، إلى تبني الإسلام والانتفاع بهذه القوة الجبارة ، فاستطاع أن يحوِّل تيار البلاد من المعاداة للإسلام ومحوه إلى حماية الإسلام . **فأصبح الملك حامياً للإسلام بعد ما كان ماحياً للإسلام ، وأصبح خادماً للإسلام بعد ما كان هادماً للإسلام** . فاستطاع هذا الرجل الوحيد الأعزل الذي كان يعيش في ركن من أركان هذه الأرض الواسعة ، استطاع بفضل الألم والتوجع الذي ملكه والإخلاص والتجرد الخالص الكامل الذي ما كانت تشوبه شائبة من الأنانية ومن الدنيا والفهم الكامل للظروف والإمكانات .. استطاع أن يحول هذا التيار من جهات معادية معاكسة إلى جهة موافقة ومطابقة للإسلام .

فأنا أقول : **يجب على الداعي أن يحترز بقدر الإمكان عن إثارة المشكلات حوله وعن إثارة العداوات والإحن** .. والسبب الكبير الذي يبعث الإحن والعداوات هو إذا رأت حكومة ما أن هذا الرجل يريد أن يأخذ مكانها ، فالمسلم إنما هو صاحب دعوة وهو ناصح مخلص ليس له غرض أبداً ، حتى إذا اطمأن أن هذا الرجل نفسه أو هذه الحكومة نفسها هي تطبق ما يريد تطبيقه في هذه البيئة فهو من أول المرحبين ، وأول المساعدين لهذا الرجل وهذه الحكومة .. هكذا فعل **الإمام السرهندي** . ليس المقصود إبدال شخص بشخص وإبدال أسرة بأسرة ، وإنما استبدال حسن بسيء لا سيء بحسن ، من حيث النتيجة .

□□ كأنما يبدو لي ـ والله أعلم ـ كتتمة لهذه الصورة ، أنه يمكن أن يكون من السلبيات التي أصابت العمل الإسلامي ، عدم القدرة على تحديد الموقع الذي يستطيع الدعاة التحرك من خلاله بدقة ، فكان الأولى بهم أن يحددوا المواقع التي تتوافق مع الإمكانات التي يملكونها . هل تعتقدون بأن ترك المسلمين للمواقع التي يستطيعون أن يكونوا فيها فاعلين إلى المواقع التي لا يستطيعون أن يفعلوا فيها ، كان من السلبيات التي أصابت العمل الإسلامي ؟ هلا تفضلتم بإيضاح هذه النقطة ..

ـ هذا كان منهج الدعاة الأولين وفي مقدمتهم وعلى رأسهم رسول الله ﷺ حين **كتب إلى هرقل يقول : « ... أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين .. » البدء أولاً بدعوة الشعوب والبلاد ـ التي كانوا يفتحونها ـ إلى الإسلام . فإذا قبلوا الإسلام ، أهلاً وسهلاً ، انتم أصحاب البلاد ، أصحاب الكرسي تنفذون أوامر الله تبارك وتعالى . وإذا لم يقبلوا هذا فالجزية .. وإذا لم يقبلوا فإذاً الحرب . ولكن نحن نخشى أن نكون قد عكسنا القضية .. الحرب أولاً .. وأنتم كما تعرفون ، فالإنسان مفطور على المحافظة على ما يملكه .**

□□ وسؤالنا الآن ، أيضاً ، هو وجه آخر للقضية :

من خلال التجارب التي عشتموها وعايشتموها : ما هي أفضل الوسائل في العصر الحديث التي على الدعاة التزامها لنشر هذا الدين خلال الظروف الحاضرة ؟ نعني بذلك نوعاً من إعطائهم الضوء الذين يسيرون عليه ؟

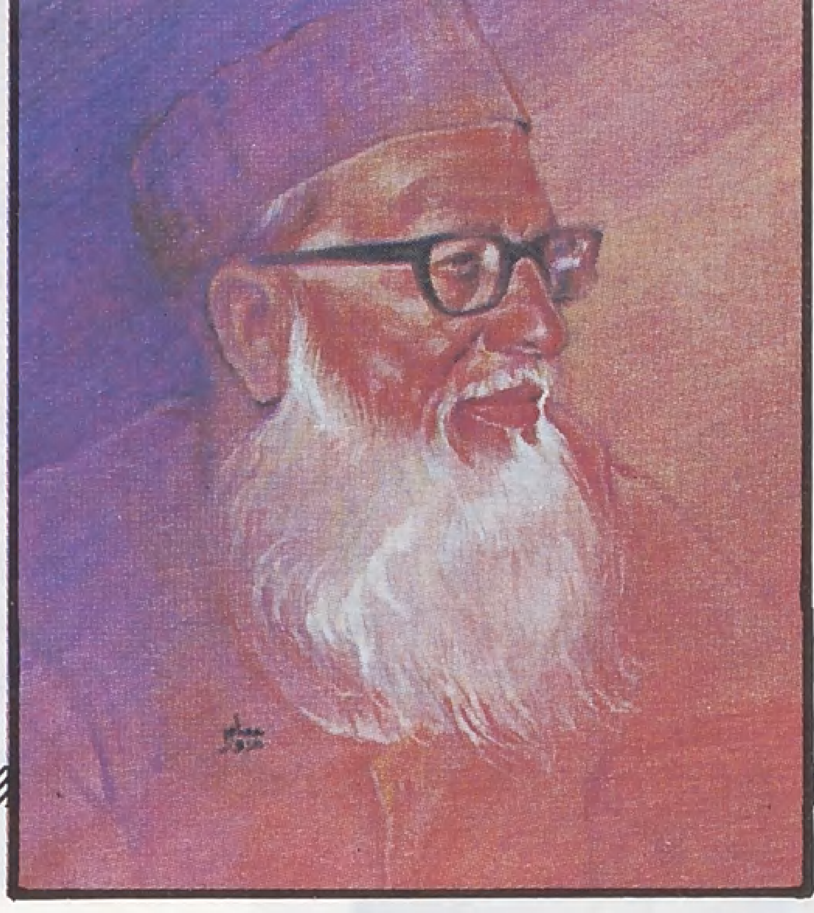

الشيخ أبو الحسن الندوي في حوار حول: مشكلات العمل الإسلامي

ـ والله، لم يزل ولا يزال، إلى أن يرث الله هذه الأرض ومن عليها، الشيء الأول والأكثر تأثيراً هو الأنموذج العملي .. (**ما يسمى بنشر الدعوة بالقدوة العملية، التربية بالقدوة**)، التجرد من الشهوات، من الأنانيات .. والإخلاص لله تبارك وتعالى .. والتوجه للفكر وللدعوة .. ثم عرض الفكرة الإسلامية والتعاليم الإسلامية والمنهج الإسلامي في أسلوب عصري شائق، وموافق للمستوى العقلي الذي يعيشه الجيل الجديد، من غير استخدام المصطلحات العصرية، إذا قلت هذا فإنني لا أعني أنه يجب على الداعية أن لا يستخدم المصطلحات السياسية والعصرية كما ـ لعلمكم ـ لاحظتم في كتابنا (**التفسير السياسي للإسلام**)، ولكن لابد أن يكون الأسلوب أسلوباً عصرياً إلى حدٍّ يتفق مع روح الإسلام. خشية الخروج عن هذا الروح !!

المناصحة واجب شرعي . . .

□□ في القضايا الفكرية نصل إلى السؤال الأخير ... في تقديري، يعتبر كتابكم الأخير (التفسير السياسي)، مساهمة من مساهمات المناصحة .. ولا أقول النقد الذاتي، في مجال العمل الإسلامي. ويعتقد كثير من العاملين للإسلام بأن عملية المناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو ما يسمى بالنقد الذاتي تعرض العمل الإسلامي لشيء من خلخلة الصفوف، وترسم بعض الثغرات للعدو لينفذ منها وتؤثر بشكل سلبي على واقع العمل الإسلامي. مع أننا نعتقد بأن التصويب والمناصحة، إلى جانب أنه واجب شرعي لا يملك الإنسان المسلم إزاءه اختياراً، نعتقد بأن فائدته على العمل الإسلامي نفسه، من حيث متانة الصفوف ورسوخ العمل وصلابة الأرضية التي يقف عليها، أقوى بكثير من السكوت عن الأخطاء التي تؤدي إلى انهيار العمل الإسلامي .. وهذه قضية أرى أن تتوسعوا لنا في الإجابة عليها؟

ـ هذا سؤال قد يكون محرجاً بالنسبة إلي ولكنه سؤال قد يفتح الآفاق ويزيح الستار عن بعض سوء فهم أو سوء تعبير. في الحقيقة أنا أعتقد أن السر في بقاء الإسلام كدين سليم محفوظ من التحريف، مهما أخل به أتباعه وقصروا في تطبيقه ولكنه كدين هو دين محفوظ. هذا والسر في بقاء هذا الدين على أصالته، هو: **قيام علماء الدين في كل عصر بنفض الغبار عنه وبالتنبيه على المغالطات التي تأتي من المنحرفين. المغالطات التي تأتي من الأعداء أمر هين .. ولكن المغالطات التي تأتي من جهة الدعاة، من جهة المفسرين للإسلام الفاهمين له، بعض الفقهاء، هذه مغالطات دقيقة جداً**. ومغالطات تشكل محنة للعقل الإسلامي ومحنة للعمل الإسلامي .. فنرى بعض في تاريخ الإصلاح، في تاريخ الدعوة الإسلامية، في تاريخ الفكر الإسلامي، أن العلماء لم يقصروا في تنبيه الفقهاء على أخطائهم وفي تنبيه الصوفية والزهاد والنُسَّاك على مغالطاتهم. وفي تنبيه الحكام (مثلاً) على مغالطاتهم، في وقت واحد.

فإذا كانوا قد شعروا أن هذا قد يحدث اضطراباً أو قد يحدث ما لا تحمد عاقبته مثلاً من فقد الثقة بالدعاة، كان هذا ربما يمنع من الاستمرار في هذا الاتجاه. ولكنهم وفقهم الله، عرفوا أنه بالمقدار المناسب، المقدار الذي لابد منه إذا كان هذا النقد بإخلاص وإذا كان هذا النقد باعتراف كذلك وبتقدير من ينتقدونه، ولكنه بمقدار مناسب وإلى حدٍ مناسب فهذا في صالح الدعوة الإسلامية وفي صميمها .. في الحقيقة هو العمود الفقري في الدعوة الإسلامية.

تجربة الشيخ الندوي . .

لعلكم تعرفون ماكان بيني وبين **الأستاذ المودودي** من صلة طيبة، ومن صداقة قديمة .. ولعلي أنا الرجل الوحيد الذي فارق الجماعة وبقي على صلة طيِّبة مع الأستاذ **المودودي** مؤسس هذه الجماعة. حتى اللقاء الأخير الذي تم في لاهور في سنة ١٩٧٨م، تلاقينا كأخوين، كصديقين قديمين، لا يزالان على ودهما وصداقتهما .. ولما قدمت له كتاب التفسير السياسي الذي انتقدت فيه بعض أفكاره أو تعبيراته بالأصح، استقبل هذا الكتاب وجاءني منه كتاب يشكرني عليه ويطلب مني أن أطالع ما بقي من كتبه إذا كان بقي شيء وأن أنبهه .. قال (**لعلكم قرأتم**): أنا،

● أخشى أن تكون مظاهر الصحوة الاسلامية ردود أفعال آنية لظروف العصر .. واجبنا أن لانتأخر في تعميق الفهم الاسلامي الصحيح ..

■ واجبنا أن لا نهمل الصحوة الإسلامية طويلاً ، وأن لا نتأخر في تعميق الفهم الصحيح للإسلام ■

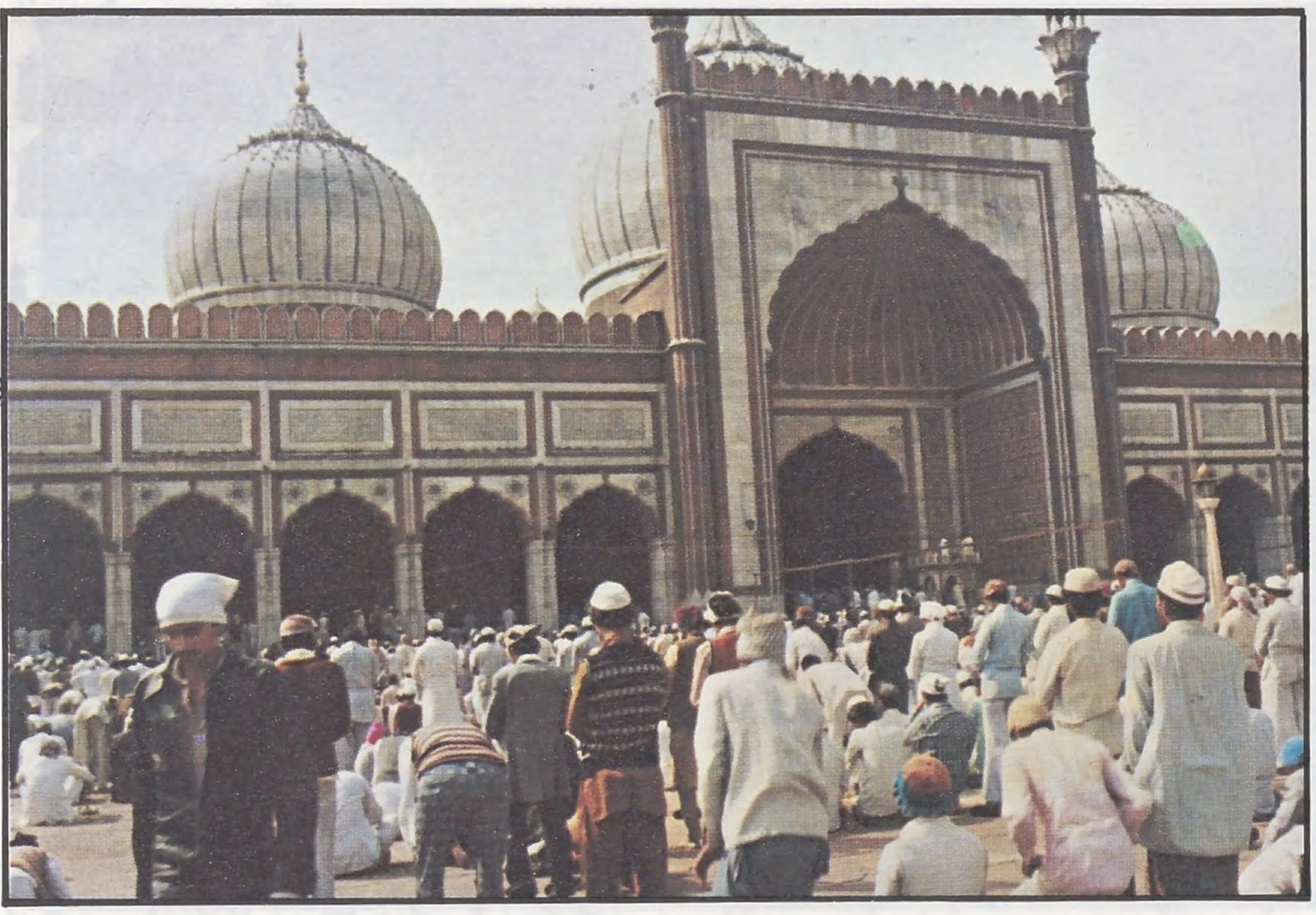

لا أعدكم أني سأوافقكم مائة في المائة ولكني سأنتفع وأنا لا أرى نفسي فوق مستوى النقد أنا كما قلت في مقدمة الكتاب : من **رأيي أن النقد ليس قانوناً لاتجاه واحد .. لا يطبق عليه قانون الاتجاه الواحد كما هو في البلديات مثلاً في تنظيم الشوارع والمراكب .. النقد ذو وجهتين** .. إذا قام إنسان لانتقاد إنسان ، لانتقاد جماعة ، خصوصاً من سبقوه ومن يمكن أن يكون أفضل منه . فهذا قد خوّل لغيره حق نقده كذلك ، في وقت واحد ، وفي المنطق نفسه .. أنا أرى أن هذه العملية يجب أن تستمر ، عملية النقد ، ولكن بإخلاص وبالمقدار المطلوب وبأمانة وبدقة وبرحابة صدر وبالاعتراف بفضل المُنْتَقد ، ولكن لا يقوم بها كل واحد .. إنما يقوم بها القادرون عليها ، وهذا شأن كل فن وشأن كل وظيفة ..

□□ يمكن أن نكون حصلنا على الإجابة . لكن مزيداً من الإيضاح .. هل ترون أن هذا يؤثر على الصف الإسلامي بشكل سلبي ، كما يعتقد بعضهم .. أم أنه يُمكِّن من بناء الصف الإسلامي ؟..

— إذا كان الصف الإسلامي بهذه العقلية الضيقة ، أنه إذا انتقد مثلاً موجهه أو منير الطريق له بشيء من الانتقاد ، فهذا يثير فيه الغضب ، فهذا الصف لا يُوثق به .. ليس بالمكان المطلوب من القوة ومن الثقة ومن الجدارة .. فيجب أن يكون كل صف إسلامي وكل جماعة إسلامية تقوم لخدمة الدعوة للإسلام ، تكون عندها من رحابة الصدر ومن سعة الأفق ، عندها ما يجعلها قادرة على هضم هذه الانتقادات وعلى وضعها في المكان السليم ، وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم .

محاربة الحزبية . . .

(مقاطعاً)

□□ ألا يخشى أن ينقلب العمل الإسلامي الذي تسوده هذه العقلية التي ترفض النقد إلى لون من الحزبية ونوع من الطائفية ؟

— نعم ... العصبية والحزبية .. تؤدي إلى التطرف .. وكذلك إلى تقديس أمير الجماعة أو منشىء الجماعة .. وقد حدث هذا ، ولاحظناه في الهند .. وصل الأمر إلى التقديس .. يعني : يعتقدون أن مُنشىء الجماعة ، لا أقول بالتحديد الجماعة الإسلامية ، بل جماعات كثيرة ، وإن لم يصرحوا بلسانهم ، أن أمير الجماعة أو من كان له فضل في إنشائها قد بلغ من العصمة في نظرهم ما لم يبلغه الأنبياء .. وهذا الذي يجب أن نحاربه ، وقد حاربه الأستاذ المودودي بنفسه رحمه الله .. حارب هذه العقلية . وما نشأت هذه الجماعة إلا بمحاربة هذه العقلية .. ولو كانت هذه العقلية هي المسيطرة لما نشأت جماعة جديدة .. كان للجماعات القديمة حق البقاء . لماذا تنشأ جماعة جديدة ؟ لأنهم لا يعتقدون العصمة في الجماعات القديمة . فإذا لم يعتقدوا العصمة في الجماعات القديمة فلكل مسلم حقه في أن لا يعتقد العصمة في هذه الجماعة .

□□ هل يمكن أن نأخذ أنموذجاً تطبيقياً لهذه القضية ؟

— أنموذج **سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه** في قضية المهر ، لما نبهته امرأة من الصحابيات حينما أراد أن يحدد المهور قالت :

« كيف يجوز لك يا أمير المؤمنين والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ... وَإِنْ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً ... ﴾ والقنطار هو أكثر مما تحدده أنت .. » ، كذلك يقول سيدنا عمر رضي الله عنه « ... اسمعوا وأطيعوا ، فيقوم في ركن من أركان المسجد احد من عامة المسلمين فيقول : لا نسمع ولا نطيع ... !!

لماذا ؟..

قال : لأنك تلبس حلة كاملة !! رداءين .. وقد وزعت الأردية ، رداءً رداءً .. فقال : أين عبدالله بن عمر ؟ فقام . فقال : ماذا تقول ؟ قال : إنما وهبتُ ردائي لأبي ...!!!

وله أمثلة كثيرة .. يقول سيدنا أبوبكر رضي الله عنه :

« ... إذا أخطأت فقوموني ... » !!

حقيقة أحداث آسام .

□□ يسمع المسلمون في كل مكان بالمجازر الرهيبة التي تقع على إخوانهم المسلمين في الهند في منطقة آسام .. كما سبق وسمعوا بالمجازر التي وقعت على إخوانهم في صبرا وشاتيلا بلبنان .. حبذا لو حدثتمونا عن هذه القضايا من جوانبها المختلفة ؟

— قضية « **آسام** » التي شغلت الرأي العام الآن ، ليس في الهند فقط .. بل في العالم الإسلامي وفي خارج العالم الإسلامي كذلك ، واقع مرير ومؤسف .. فقد اشتغلت عدة عناصر وعدة دوافع في تكوين هذا الواقع ..

القضية ابتدأت من صراع بين من يسمونهم أجانب أو نزلاء .. الذين نزحوا من باكستان في الحرب التي وقعت بين باكستان والهند ... وأبناء البلاد ، الأهالي ، لما عندهم من عدم صلاحية في بعض المجالات وعدم نشاط ، اعتبروا هذا هجوماً عليهم وتسلطاً على المنطقة وعلى وظائفها الرئيسة وإمكاناتها

الشيخ أبو الحسن الندوي

في حوار حول: مشكلات العمل الإسلامي

الكثيرة . لأن الأهالي ، أبناء البلاد ، عندهم شيء من الضعف والفتور والكسل وهؤلاء كانوا نشيطين فاعتبروهم نزلاء .. من هنا بدأت القضية . وكان الهدف جميع الأجانب وجميع النزلاء ، وكان العدد الأكبر من غير المسلمين طبعاً ، لأنه لما قامت الحرب بين باكستان والهند وعرف الهندوس الذين بقوا في شرقي الباكستان أنهم سيفقدون مركزهم في باكستان وأنهم سيستهدفون لمشاكل كثيرة ، نزحوا إلى أرض الهند ، المنطقة الهندية ..

كانت القضية ، قضية الأجانب والنزلاء ، قضية وطنية ، ولكن يبدو أنه في الدور الأخير ، لعبت أشياء دورها في هذه القضية ، وحُوِّلت القضية إلى قضية طائفية ، إلى صراع بين الهندوس وبين المسلمين . ولما كان الشرطة أكثر عددهم من الهند ومن الهندوس طبعاً وهم كما جُرِب في مناطق الهند كلها ، هم اشتغلوا بالهجوم على المسلمين وجعلوهم خسائر كثيرة ووقعت مذابح ونُسفت قرى بأسرها وأُبيدت .. يعني كانت إبادة شاملة في بعض المناطق . وكان المسلمين هم الهدف الأكبر .

هكذا عرفنا من مصادر وطنية ومن تتبعنا للأخبار ، ولكن لا تزال الصورة الآن فيها شيء من الغموض لذلك لا نستطيع أن نتأكد ولكن الشيء المحقق ، أن المسلمين خسروا كثيراً واستهدفوا لمذابح كثيرة .

درس الأحداث . . .

أما عن إجراءات إسرائيل الوحشية الضارية في بيروت ثم المجزرة البشعة للبقية الباقية من اللاجئين الفلسطينيين ، فهي حوادث لم يقع لها مثيل في العالم المتحضر المعاصر ، ولا يوجد لها نظير في العصور الماضية القريبة .. وقد تجلى من ذلك عدة أمور :

● أنه لا يزال في الجيل الإنساني الحاضر ، وفي الناس المتمدنين المثقفين الذين يدّعون الحضارة ـ تلك الوحشية الفاتكة بالأطفال والنساء ، الوالغة في دماء الأبرياء ، التي كانت إحدى خصائص الجاهلية العمياء قبل آلاف السنين .

● أن العصبية الدينية لا تزال في العالم النصراني بصفة خاصة ـ أو في هذه المنطقة بالذات على أقل تقدير ـ حية مشتعلة متأججة كما كانت تتلظى في صدور المهاجمين الأوروبيين الصليبيين الذين قادوا الجيوش إلى فلسطين بقيادة الملك « ريتشارد » وغيره من رؤساء الدول الأوروبية وسفحوا دماء المسلمين حتى جرت على الأرض كالأنهار .

● أن الضمير الإنساني والشعور الخلقي وتنديد الشعوب المحبة للعدالة والسلام بل واستنكار الحكومات ، واحتجاجات منظمة عالمية كبيرة كهيئة الأمم المتحدة ، وقراراتها ، لا قيمة لها ولا تأثير إزاء قوة أثيمة مصممة ، تمضي لتحقيق أغراضها الدنسة ونياتها الخبيثة ، ولا تقف في وجهها إلا قوة منظمة مسلحة تعتمد على إرادتها الصارمة وعزيمتها الأكيدة .

● **أن اتخاذ أي إجراء اعتماداً على إحدى القوتين الكبيرتين في العالم ـ روسيا وأمريكا ـ فكر صبياني وغرور بُلي به العالم الإسلامي أخيراً ، ولم يبق الآن أي مبرر له .**

● أن مسؤولية هذه المأساة الدامية والحادثة المرجفة التي أذلّت رقاب المسلمين في العالم كله **تقع أولاً وقبل كل شيء على الدول العربية المواجهة** .. والحقيقة أن الشعوب والجماهير المسلمة والعربية تعاني كبتاً نفسياً وقلقاً داخلياً يغلي مرجله ، ولكنها مضغوطة مغلوبة على أمرها نتيجة بعض الحوادث الماضية وبإشارة من القوى الكبرى ، فلا تستطيع أن تمثل دورها في المعركة وتقوم بواجبها وتنفس عن نفسها .

● أن الدعوة إلى إشعال الجمرة الإيمانية في القلوب ، وتربية النفوس على البذل في سبيل الله والاستهانة بالحياة والحنين إلى الشهادة قد ضعفت ..

● أن العالم الإسلامي فقد القوة ـ التي أشار إليها القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة ـ إلى حد مقلق خطير :

﴿ ... وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ (النساء : ١٠٤) .

الحصن الأخير . .

□□ على الرغم من أن أفغانستان تعتبر الحصن الأخير للمسلمين في شبه القارة الهندية ـ كما عبرتم عن ذلك في إحدى رسائلكم ـ فإن قضية أفغانستان لا تعتبر قضية محلية ، ولا تنحصر بين شبه القارة الهندية وروسيا ، فقد جاء الغزو الروسي ـ الذي وقع قبل ثلاث سنوات ـ لينذر بخطر يتهدد مواقع أخرى متقدمة ، حيث بات واضحاً أن الهدف من الغزو الشيوعي هو التسلل إلى أجزاء العالم الإسلامي واحتوائه بالقوة على مراحل ، وتجربة احتلال الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي لا تزال ماثلة .. هل تلقون بعض الضوء على هذه القضية الهامة .. وما هي توقعاتكم لمستقبلها ؟..

ـ أدليتُ ببيان ضافٍ فيما يتصل بهذه القضية ، وفي الحقيقة مأساة أفغانستان مأساة كبيرة لأن أفغانستان كان الحصن الأخير للمسلمين في شبه القارة الهندية وكما قال الأمير **شكيب أرسلان** في حواشيه القيِّمة على حاضر العالم الإسلامي : **إنه إذا سكن كل عرقٍ في العالم الإسلامي فإن العرق الإسلامي في أفغانستان لا يزال متحركاً ..** وهو كان مدخل المسلمين الفاتحين في الهند .. دائماً دخلوا من **مضيق خيبر** إلى الهند ، وكانت أفغانستان تزوِّد الهند بخيرة المجاهدين وخيرة العناصر .. فكون أفغانستان ، تفقد شخصيتها الإسلامية فمعنى ذلك أن المسلمين في كل العالم الإسلامي يفقدون حصناً من حصونهم .

■ الغزو الروسي لأفغانستان محاولة للتسلل إلى أجزاء العالم الإسلامي واحتوائه بالقوة ■

وعُرف الأفغان بالنخوة الإسلامية وبالشجاعة والحماس، ولم يستسلموا لأي فاتح أجنبي أو لهجوم أجنبي إلا للمسلمين فقط. فقد اعتبروا المسلمين حملة رسالة الإنسانية والمساواة، فلم يستسلموا لهم إنما قبلوهم طواعية.

والإسلام هو الضيف الأجنبي الوحيد الذي دخل فأصبح صاحب البلاد، أصبح مضيفاً وأصبح جزءاً من البلاد لا يمكن فصله من **أفغانستان**.. واختمرت طينة أفغانستان بالإسلام وبتعاليم الإسلام، وظلوا محافظين، معتزين بالإسلام مستميتين في سبيل الإسلام إلى آخر يوم. ولكن كانت **روسيا** من قرون ـ كما يبدو من تتبع تاريخ **الأفغان** ـ كانت **روسيا** بحكم جوارها وبحكم وقوع البلد بين **باكستان** وبين **الهند** وبين **روسيا**، كانت **روسيا** تطمع في **أفغانستان** من زمان.. ولكن الملوك الأفغان المسلمين الغيورين رفضوا هذا، وظلوا محافظين على حريتهم.. وعرفنا التاريخ أن **الانجليز** أرسلوا جيشاً من **الهند** لتدويخ **أفغانستان** ولإخضاعها، ففني هذا الجيش كله، وما بقي إلا طبيب واحد رجع من مضيق خيبر وأخبر نقطة (مركز) الجيش في **الهند** بالمأساة، أن الجيش الإنجليزي أبيد كله.

في الحقيقة بقاء أفغانستان على شخصيتها الإسلامية وبخصائصها الأفغانية كان مصدر قوة كبيرة ليس للهند فقط، لشبه القارة الهندية، بل للعالم الإسلامي كله.. وضياعها كدولة مسلمة وكشعب مسلم غيور، معنى ذلك أن الجسم الإسلامي قد فقد جزءاً سليماً وجزءاً قوياً من أجزائه. لذلك تعتبر قضية أفغانستان، ليست قضية محلية ولا قضية تنحصر بين شبه القارة الهندية وروسيا، بل هي قضية إسلامية عامة.

وبقي الأفغان إلى هذا اليوم، وهي مدة بالنسبة إلى ما يملكه المجاهدون من إمكانات ـ من عدد ومن مادة، بقي الأفغان يجاهدون في بلادهم لمدة لا نعرفها لبلد آخر، وهو البلد الوحيد الذي صمد في وجه الزحف الروسي الأحمر في تاريخ هذا الزحف على البلاد الإسلامية على طولها.

□□ قد يكون من المناسب الآن أن نتناول قضايا المسلمين في الهند.. القضايا في الهند كثيرة، وجوانب العمل الإسلامي كثيرة والثقافة الإسلامية كثيرة. فنريد أن تحدثوا قراء «الأمة» عما ترون تحديثهم به عن الوضع الإسلامي في الهند والثقافة الإسلامية في الهند..

المجتمع الهندي.. والفراغ..

ـ في الحقيقة: الوضع الإسلامي في الهند يبعث الأمل. لأن هناك فراغاً في الهند، كما حدثت في هذه المناسبة قبل أن تشرفوا، قلت: في شبه القارة الهندية خصوصاً في هذه المنطقة فراغ هائل، فراغ خلقي وفراغ ديني وفراغ روحي.. **فراغ لا يملؤه أحد إلا المسلمون**.. فالمسلمون هم وحدهم الذين يستطيعون أن يملؤوا هذا الفراغ وأن يُنقذوا هذه البلاد من الهوة العميقة السحيقة التي تتردى فيها وباندفاع وبسرعة. لأنه الآن تغزو المجتمع الهندي الأنانية وحب المال.. حب المادة الزائد.. نخشى على البلاد من الانهيار القريب. فالمسلمون هم وحدهم، بفضل تعاليمهم الإسلامية، بفضل أنهم يحملون كتاباً سماوياً يؤمنون به ولا يزالون يحملونه، وبفضل ما عندهم من بقايا الإيمان على علاّتهم، بفضل ما عندهم من رمقٍ للإيمان، من نفس يتردد فيهم، وقد فقدها المجتمع الهندوسي فقداً تاماً، أفلس فيه إفلاساً إلى آخر حدّ.

فوضع المسلمين وإن لم يكونوا مثاليين في ذات أنفسهم ولكن بالنسبة للبلاد، هم الأمل الوحيد.. فيستطيعون أن يكونوا مقام القائد، منقذ البلاد.

والثقافة الإسلامية كذلك، بحمد الله، للمسلمين نشاط فيها. والأمل الكبير في المدارس الشعبية في المراكز الثقافية والبيوت الشعبية التي تعيش على مساعدات الشعب فقط، على إعانات الشعب، ولعله الأنموذج المفقود في كثير من البلاد الإسلامية، تجدون هناك المراكز الرئيسية مثل **ديوبند** ومظاهر العلوم في سهارنفور..

وهنا ندوة العلماء، لا تأخذ ولا فلساً واحداً من الحكومة. مع إلحاحها في أن تقدم مساعدات بأسماء مختلفة، بعناوين مختلفة، ولكنها استطاعت بحول الله هذه المراكز الثلاثة أو الأربعة، أن تحافظ على حريتها وشعبيتها إلى هذا الوقت.. فالأمل فيها كبير، لأنها لا تدخل في سيطرة الحكومة، ولا تستطيع الحكومة أن تسلط عليها رغبتها مثلاً أو منهجاً خاصاً تربوياً أو تفرض عليها أشياء.. لا.. ثم لا تزال فيها روح التضحية وروح التطوع العملي الذي يقوم بالاحتساب.. العمل المتطوع لا يزال باقياً في هذه المراكز. فالشباب الذين يتخرجون فيها ينبثون في البلاد دعاة وخطباء وصحفيين ومؤلفين ومرشدين للشعب.. قليل منهم من يدخل في وظائف حكومية مثلاً أو يدخل في اختبارات رسمية ثم يتولى بعض الوظائف الرسمية أو يذهب إلى بعض البلاد العربية، يدخل في جامعات حكومية، ويتخرج فيها ويتوظف، هذا قليل نادر. ولكن الأغلبية هي التي تخرج من هذه المدارس وتتولى مناصب دينية شعبية براتب زهيد، وبراتب كانوا يستطيعون أن يتقاضوا أكثر منه بسهولة.

عطاء المسلمين الحضاري

□□ لا شك بأن المسلمين ـ فيما نعتقد ـ هم أصحاب الحضارة الحقيقية في الهند، وأن

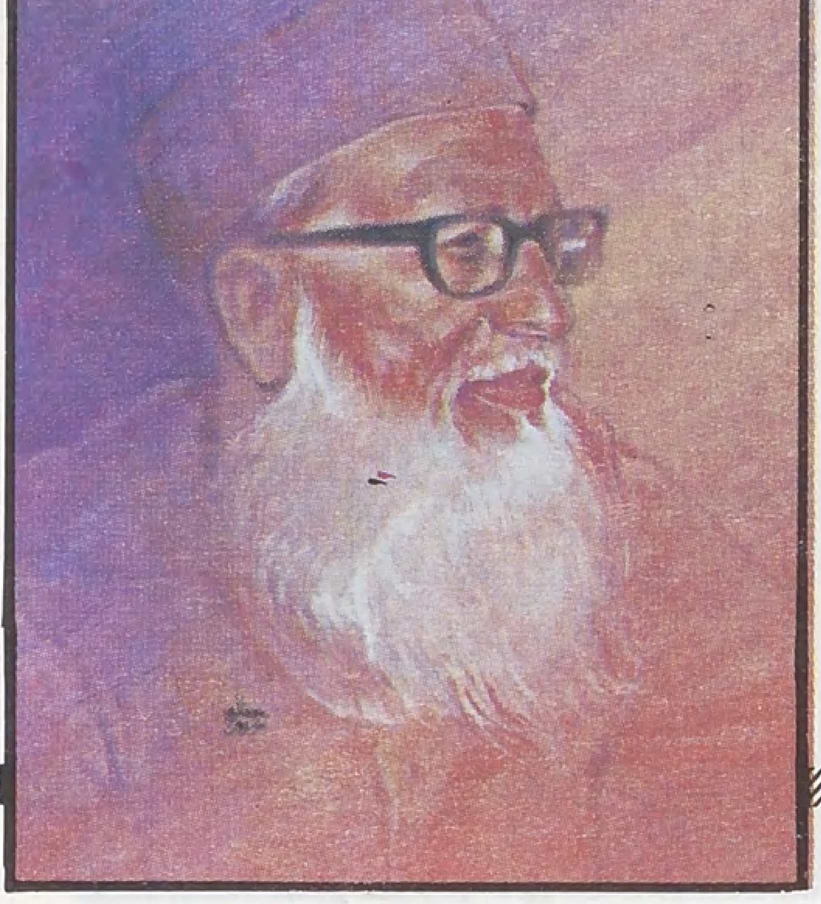

الشيخ أبو الحسن الندوي

في حوار حول: مشكلات العمل الإسلامي

ما يملكونه من العقيدة ومن التاريخ الحضاري والثقافي يفتقده المجتمع الهندي ككل .. ؟

ـــ أنا تحدثت عن هذا في تفصيل في كتابي [**المسلمون في الهند**] ، وذكرت بشهادات ، قائمة على شهادات الهندوس أنفسهم ، من كبار الأساتذة في الجامعات ، ومن كبار المؤرخين في الهند بما فيهم **جواهر لال نهرو** رئيس الوزراء الأسبق وغيره ، أنه لولا جهود المسلمين لبقيت هذه البلاد متخلفة جداً ، في كل مجالات المدنية .. فإنتاج المسلمين ، ما أهدوا إلى هذه البلاد من الهدايا الاجتماعية والخلقية والمدنية الحضارية ، هدايا ذات قيمة كبيرة .. فمثل الهند كمثل امرأة متحلية ، غنية في الحلي ، تتجرد عن حُليِّها فتصبح عارية ، كذلك الهند عندما اكتست وازَّيَّنت وظهرت بفضل المسلمين وهذا بفضل دينهم ، بفضل الحضارة التي جربوها في خارج الهند وقامت حكومات متحضرة ، وقامت مجتمعات متمدنة وقامت منظمات راقية وجامعات كبيرة ، هذا كله نقلوه إلى الهند.

كانت الهند على طبيعتها البدائية .. كانت الهند متأخرة في كل شيء .. فجاء المسلمون فتناولوا من الأشجار إلى الحيوانات ، ومن الحيوانات إلى البشر أو من البشر إلى المنظمات والمدارس الفكرية ، هذا كله معترف به عند الهندوس ، عندهم كتابات في هذا .

□□ هل تسعى المراكز العلمية الإسلامية (ديوبند والندوة) الأربعة التي ذكرتموها ، إلى لون من تأصيل هذه المعاني في نفس الجيل المسلم الجديد ليستطيع أن يستأنف العمل الإسلامي ويعتز بالحضارة الإسلامية ، ويعتبر أنه هو صاحب الحضارة الحقيقية في هذه البلاد ؟

ـــ أستطيع أن أتحدث عن ندوة العلماء ، أنا من المسؤولين عنها ومن المشتغلين فيها ، أستطيع أن أقول إن أبناء **ندوة العلماء** والمجامع العلمية التي أنشؤوها والمجلات الراقية التي يحررونها ، عن طريق هذه المجلات وعن طريق المجامع العلمية وفي مقدمتها المجمع العلمي الكبير في « **أعظم كَره** » ، « **دار المصنفين** » التي عقدت ندوة عالية في موضوع الاستشراق ، [أعظم كَره ، قرية من لكنوء فيها أكبر مجمع علمي في الهند يسمى « **دار المصنفين** » كان يرأسها العلامة **الشيخ سليمان الندوي** صاحب كتاب (**الرسالة المحمدية**) .. أنا الآن المسؤول عنها ومن أعضائها] عن طريق المجمع العلمي « **دار المصنفين** » في « **أعظم كَره** » وعن طريق المجمع الإسلامي العلمي عندنا في ندوة العلماء ، نشرنا كمية كبيرة من الكتب بالانجليزية وباللغات المحلية ، وبعض اللغات الإقليمية ، كذلك عرضنا فيها محاسن الإسلام وما أضافه المسلمون إلى هذه البلاد .. ما أغنوا به هذه البلاد . وهذه الكتب والنشرات منتشرة بحمد الله في الهند ويقرؤها كثير من الهندوس كذلك بالانجليزية ، بأسلوب أدبي رفيع . كذلك تعتبر هذه الكتب كمراجع في المواد التي تبحث عنها .

الحمد لله ، تعريف الجماهير الهندوسية الهندية بفضل الإسلام في بناء الحضارة الهندية ، هذا عمل جارٍ .

ـــ والحمد لله ، هناك ظاهرة طيبة سارة ، وهي أنه أصبح الجيل الإسلامي الجديد أكثر اعتزازاً بالإسلام من الجيل القديم الذي نشأ في حضانة الانجليز في أيام الحكم الانجليزي .

خمسون عاماً .. سيرة ذاتية ..

□□ ننتقل إلى سؤال شخصي أكثر .. طبعاً ، الإخوة قراء مجلة « الأمة » هم جزء من الرصيد الإسلامي أو من رصيد المكتبة الإسلامية الذين تتلمذوا على كتبكم الكثيرة في أكثر من مجال ، جزاكم الله خيراً .

■ الاعتماد على إحدى القوتين في العالم (روسيا وامريكا) فكر صبياني وغرور بُلي به العالم الإسلامي اخيراً ولم يبق ما يبرره ... ■

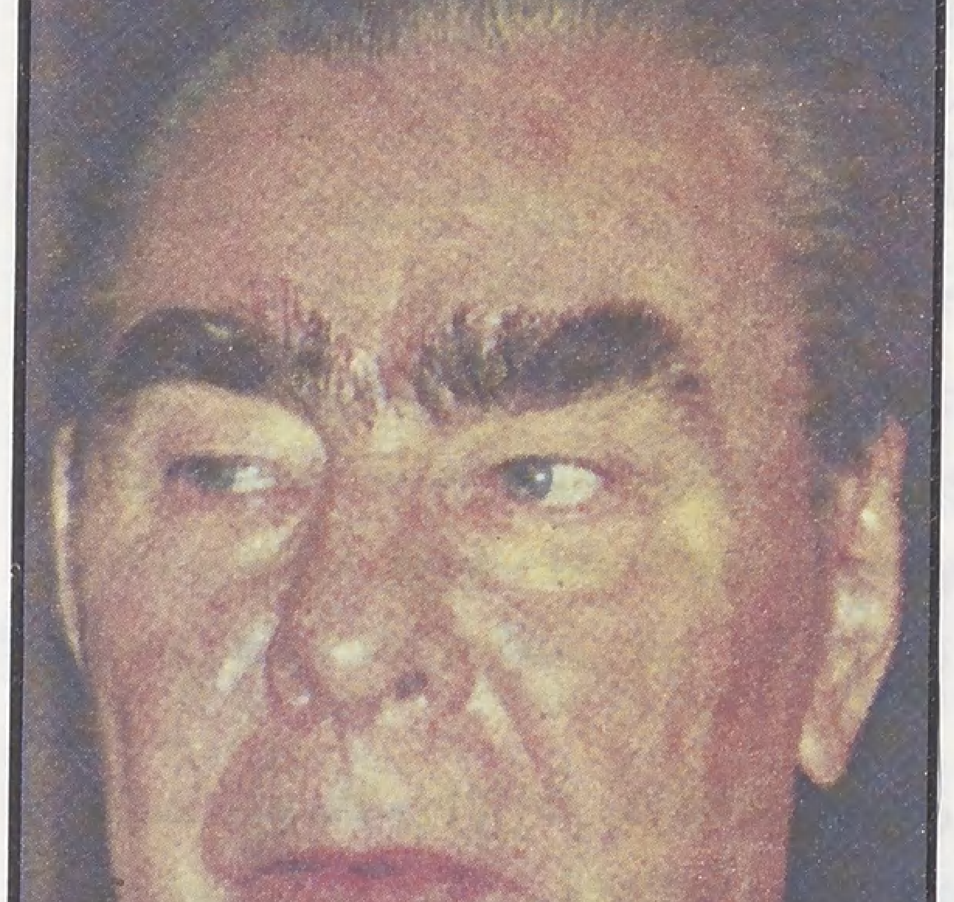

● العصبية الدينية لا تزال متأججة في العالم النصراني كما كانت في صدور المهاجمين الصليبيين بقيادة ريتشارد ..

• عملية النقد ضرورة لايقوم بها إلا القادرون عليها ويجب أن تستمر بأمانة ودقة ورحابة صدر واعتراف بفضل الآخرين .. والصف الاسلامي الذي يرى أن النقد يؤثر عليه بشكل سلبي ، صف لا يوثق به ..

فهل يمكن لنا أن نسأل عن آخر الأشياء العلمية أو الاهتمامات العلمية أو الكتب المنتظرة أو المعالجات الفكرية التي تعدونها أو تفكرون فيها أو المشاريع العلمية للمستقبل . إن شاء الله ؟

— في نيتي أن أكمل سلسلة كتب رجال الفكر والدعوة في الإسلام .. قد ظهر الجزء الثالث .. وسيخصص الجزء الرابع لبحث دور حكيم الإسلام الشيخ **ولي الله الدهلوي بن عبدالرحيم الدهلوي** .. الذي أعتبره من عمالقة ومن أقطاب الفكر الإسلامي ، ولعله لا يساويه في سعة الفكر ، في شمولية الفهم الإسلامي أحدٌ في القرون المتأخرة . ولعله يلي شيخ الإسلام **ابن تيمية** في أصالة الفهم للإسلام .. سيكون هذا الجزء الرابع .

وقد بدأت أورخ حياتي في فترتي الأخيرة ، لأن هنالك تداخلاً بين العصر والشخصية ، بعضهما في بعض . فإذا أرّخت حياتي مثلاً خمسين سنة إنما أورخ العالم الإسلامي ، أورخ القارة الهندية .. شبه القارة الهندية ، وكبرى الحركات التي ظهرت فيها وما كان لي من سهم فيها ومن تفاعل معها .

أنا أُخصص وقتي إلا إذا كنت في سفر وتنقل ، لا أُضيع يوماً والحمد لله ، أخصص وقتاً خاصاً ، ثلاث ساعات أو أربع ساعات في الكتابة مهما كانت الأعمال والظروف .. في السفر قد أستطيع وقد لا أستطيع .. إنما أشتغل في الصباح من ثلاث إلى أربع ساعات على حسب المواسم والفصول للكتابة .. ثم ، أنا أعتمد القراءة أكثر من الكتابة .. أولاً أجمع المعلومات المبعثرة في صفحات الكتب . أجمعها وأكوِّن منها فكراً ثم أبدأ بتسجيلها .

□□ نأخذ قليلاً فقط من ملامح الأشياء التي تسجلونها من خلال تاريخكم .. شيئاً عن دراستكم ؟

(مقاطعاً) :

— بدأت من العهد الذي وُلدت فيه وما كان يغزوه من موجات واتجاهات فصورت البيئة تصويراً دقيقاً وشاملاً ، ثم ذكرت الذكريات ـ لا أزال أحفظها ـ وانطباعات الصبا والشخصيات التي تأثرت بها والبيئة التي كنت أعيش فيها أيام الحكم الانجليزي في العشرينيات الأولى .. كذلك تدرجت إلى أن وصلت إلى سنة ١٩٥١م .. ثم ، حياتي ؟ على تواضعها فقد تعرض لها كثير من الكتّاب وكتبوا .

كما تعرفون الأستاذ **أحمد الشرباصي** في مقدمة [**ماذا خسر العالم**] والأستاذ **محمد المجذوب** في كتابه (**رجال عرفتهم**) والأستاذ **أنور الجندي** في كتابه الأخير (**القرن الرابع عشر الهجري**) .

□□ هل يمكن أن تتوجهوا بنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم ؟

— أعتقد أن العالم الآن ، ليس العالم الإسلامي بل العالم الإنساني ، على مفترق طرق .. ونعيش في دور حاسم مُقرر للمصير .

فيجب على المسلمين أن ينقذوا الإنسانية وأن يقوموا في أقرب وقت ليأخذوا بزمام الإنسانية ، بتوجيه الإنسانية وإلا يفلتوا الزمام فتفوت الفرصة .

وقد أخفق المعسكران جميعاً على ما عندهما من محاولات لتغطية هذا الفشل ، ولكن قد أخفقا إخفاقاً ذريعاً .. المعسكر الغربي والمعسكر الشرقي ، ولا أمل إلا في الإسلام والمسلمين ، لذلك لابد أن يعرف المسلمون رسالتهم ، وأن تعرف حكوماتنا الإسلامية ومجتمعاتنا الإسلامية رسالتها ، وتعرف القوة الكامنة ، وتعتمد على شعوبها .. وأنا أعتقد كما قلت في كثير من المناسبات أن الشعوب الإسلامية من أقوى الشعوب البشرية ومن أسلمها ومن أكثرها إخلاصاً وحماساً . فإذا استعانت الحكومات بهذه الشعوب واعتمدت عليها من غير أن تكون هنالك حرب بين الحكومات والشعوب كما هو واقع الآن .. **الآن المؤسف ، أن المعركة الوحيدة القائمة على قدم وساق هي المعركة بين بعض الحكومات والشعوب** ، لا أطلق القول إطلاقاً لكنْ أقول الكثير من الحكومات الإسلامية ، والشعوب الإسلامية .

فالقوة الآن تضيع في جهاد من غير جهاد .. في غير ساحات العدو . فإذا عرفت الحكومات ، حكوماتنا العربية والمتسمية بالإسلام ، إذا عرفت قيمة هذه الشعوب واعتمدت عليها واستعانت بها وأثارت ما عندها من كنوز ، تستطيع أن تُكوِّن أقوى معسكر وأقوى جبهة عالمية .. [لخصائص العقيدة وخصائص الشعوب] .. والذين جابوا البلاد ، والمتبصرون يقولون : إن الشعوب الإسلامية في الشرق هي من أفضل الشعوب إطلاقاً .. يمكن أن يُعتمد عليها ، لأن الشعوب غير الإسلامية كلها إما منافقة وإمَّا منحرفة .. الإخلاص الذي يوجد عند المسلمين على ضعفهم ، ليس له نظير ولا يوجد في غيرهم .. والكلمات الدينية : **الله** ، **الرسول ﷺ** ، **الشهادة في سبيل الله** ، **الجهاد** .. لا يزال لها سحر في نفوس المسلمين ، ليس لأي كلمة عند أي شعب . فيمكن أن تساق وأن تثار ، وأن تحرك الشعوب وتؤثر على العالم . لأن هذه المعاني قد فقدت قيمتها ، وفقدت مفهومها عند شعوب العالم .

• في الهند فراغ ديني وروحي وخلقي لا يملأه احد إلا المسلمون ..

• لا بد من إيقاف الصدام بين الشعوب الاسلامية وحكوماتها .. حتى تستطيع أن تقوم بالدور الانساني المنوط بها ..

نبا.. فأثم ودنا.. فسلم

﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (غافر: ٣).

■■ لو حاول المسلم أن يستخلص من وقته الذي ينفقه في كثير من الأمور الدنيوية ، وما يضيعه من أجل المغريات المادية برهة يخلو فيها بنفسه ولنفسه في نزهة ، يبحر فيها مع روحه وفكره في أعماق الحقيقة حيث تنقله أمواج الأثير إلى شاطىء الأمان . أقول : لو حاول أن يفعل هذا مرة واحدة كل يوم أو كل شهر أو حتى كل عام لأدرك ما لم يكن في استطاعته أن يدركه من قبل ، وشمله هدوء حالم واحتواه صفاء رقيق ، انتشله من الخواء الذي غرق فيه ؛ فأنقذه واستبصر أمره وبدت له كيف تكون نفحة الإيمان رائعة وخصبة ، فعض بنان الندم واستبان له أنه إنما كان يحرث في أرض يباب مجدبة ، فما غرس بذوراً ولا جنى ثماراً ، فبكى جهده الذي ضاع سدى ، وأيقن ـ في هذه الآونة بالذات ـ أنه قد نضا عن جسده وشاحاً داكناً كان يخفي تحته كثيراً من العلل وهو لا يدري ؛ فعبس وتجهم ، وتمنى أن يتبرأ منها ... ولكن أنَّى له ذلك ؟. ■■

بقلم : فـؤاد الحـريـري

هنا يجب على المسلم ألا يقلق ولا يقنط من روح الله ويجأر بقلبه إلى الله سبيله الأوحد إلى الشفاء ، ولكن ليس قبل أن يمزق بعض أوراقه القديمة ، ويقذف بها في النار ولا يتركها حتى تصبح رماداً ، فلا تغريه بالعودة إلى العبث بها مرة ثانية ، ويلعن مغبته ويعلن نيته ، ثم يمضي ولا ينكص ، فليس هو إلا بشراً يتفاعل وينفعل ، يغترّ أحياناً فيتجاوز ويتعدى ، ويخور أحياناً أخرى فيستكين ويستسلم ، وإن كان قد غفل فترة فحسبه أنه أتاح لنفسه فرصة لتنهض من كبوتها ، وتصحو من غفوتها ، وتنجو من هفوتها .

وإحساس المسلم بالإفاقة يجعله يتنبه فيبادر في الحال وثباً إلى نور الاستقامة ، ولكن ليس معنى هذا أن يحزن ويندب على ما فات من عمره ، أو يسكب دمعاً على الأطلال وهو ثابت في مكانه لا يريمه ، وإنما عليه أن يتحرك ... أن يتحرر من الأغلال ، ويتطهر ليمحو الأثر ، وهذا أحرى به وخير له من أن يظل ينعى الجراح بالنواح ولا يسرع ويداويها .

المهم أن يكون صادقاً مع نفسه قولاً وفعلاً ، ومن أقلع عن حوبته وجبت توبته . ومصدقاً لدينه الإسلام دين الحق المقبول ..

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٥) .

ولرسوله محمد عليه الصلاة والسلام :

﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨) .

ولكتابه القرآن الذي قال عنه عز شأنه وتعالى كماله :

﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة: ١٦) .

وعندما يجد المسلم أنه قد خرج من ساعة التذكير وقد فاز باسترداد نفسه التي خسرها أو كاد يخسرها إلى الأبد ، ينشرح صدره ، ويبسم ثغره ، ويحمد الله أن رأى ببصيرته فاهتدى .

والآن وهو يأخذ أهبته ليدلف ساحة التنوير عليه قبل أن يتخذ خطوته الأولى إليها أن يستعيد خطراته وخواطره ... رغباته وعواطفه ... أمانيه وأحلامه ؛ ليرى ما حقق منها وما كسب ، وما لم

يزل يصبو إلى تحقيقه ، ويتوق إلى كسبه في غده القريب أو البعيد ، ويسأل نفسه **هل نازعه أحد فيما حقق أو كسب أو** أنكره عليه ونفر منه لا شيء من هذا أو ذاك حدث لماذا ؟ **لأن الإسلام كفل له حرية الاختيار فيما يخصه وأباح له من نعم الحياة من مال وبنين وغذاء** ... ما يفرحه ويسره ويبهجه ويمتعه :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف : ٣٢) .

ثم يستريح لحظة حتى يسترد أنفاسه ليكون استعداده للحوار مع نفسه هيِّناً وليِّناً لأن القضية التي بصدد مناقشتها ليست قضيته وحده ، وليس هو المتهم الوحيد فيها فلا يوهم نفسه أنه قد رصد لقاءها كي يدينها ويعيدها إلى الدائرة المغلقة التي استطاعت أن تفلت منها ولكن ليوحي لها أنهما معاً يمثلان السالب والموجب .. ومتى اتحدا تولد من خلالهما طاقة تضيء له معالم القضية فيستطيع بتضافرها معه أن يتدارسا نقاطها في شيء من الحب والفهم والوعي .

وهنا يأتي سؤال ليس بالغريب ولا المستغرب .

أين يقف المسلم من حدود الله ؟

والسؤال يتكون من شطرين .. وهذا هو الشطر الأول منه :

*** هل التزم المسلم بهذه الحدود ؟**

سيجيب في الحال دون تلجلج نعم إن كان قد أقام الصلاة في ميقاتها وآتى الزكاة بمقدارها . وصام رمضان . وكان يتصدق من ماله ، وينفس كربة المحتاج ، ويغيث صرخة الملهوف ، ويحسن معاملة جاره ويقري ضيفه ، ويصل رحمه ، ويتسامح مع خصمه ، ويتقن ما يوكل إليه من عمل ، وكفى هذا برهاناً يدل على أن من يفعل كل هذا مستحيل أن يفكر في أن يسرق أو يسكر ، أو يلعب الميسر ، أو يزني ، أو يغتاب أو يخون ، وبهذا يكون راضياً ومطمئناً لأنه غدا من زمرة الذين قال الله سبحانه وتعالى فيهم :

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (النساء : ١٣) .

أما الشطر الثاني من السؤال فهو :

*** أم تعدَّىٰ هذه الحدود ؟**

وهنا يبدأ المسلم في التأهب للإجابة وهو في حال من التهيب لعسر هذا الجزء عليه أو لدقته .. ويتلفت يميناً ويساراً ، وقد عراه شرود وأصابه جمود ، فزاغت عيناه وارتسمت الحيرة على محياه ، وبدا كمن يبحث عن شيء فقده أو افتقر إليه ماذا دهاه ؟ ماذا حدث له ؟!! إن رأسه ما تزال قائمة منتصبة بين منكبيه ، وإن شاء فليضغط عليها بكفيه ليتأكد من وجودها وثباتها ، ثم يهزها هزاً ليتفقد ما في داخلها وتجود به وأعانه الله على ما فيه من عقم ، لا يهم أن يتفصد عرق جبينه ، أو تلهث خفقات قلبه ، أو تضطرب أنفاسه ، ما دامت النتيجة هي حصوله في النهاية على ضالته . ولكن أن يستغرق في الصمت ويشيح بوجهه ثم يختلق الأسباب والمبررات التي تعفيه من الإجابة ، أو يحتفظ بها سجينة في داخله إمعاناً في الهروب فهو بذلك يوصد كل باب يمكن أن يكون مخرجه ومنجيه من عذاب يوم ثقيل :

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (عبس : ٣٤-٣٧) .

وربما ظل المسلم لبعض الوقت واجماً ... وجلاً وقد أسقط في يده ويجد حتماً عليه أن يحصي أخطاءه وخطاياه ... أحقاده وأطماعه .. ظلمه ونفاقه ... زوره وبهتانه . ليتحاشى الوقوع فيها مستقبلاً بعد أن هبت عليه رياح اللوم والتأنيب عاصفة به ، وهذا شيء عظيم لأنه أخذ يسعى حقاً لترميم ما تهدم وتساقط من لبنات ، وعليه بعد ذلك ألا يتقاعس ولو كلفه ثمن ما في جيبه كله . وليقل بلا استحياء إنه كان وسواساً خناساً زين له طريق المعصية وأعانه عليها ، وسولت له نفسه الأمارة بالسوء اتباع هواها . فتباً له وويباً لها .. باعدت بينه وبين الصلاة فلم يفرق بين النجدين ، وأيهما يسلك ، ونهته عن الصوم فاستمرأ التخمة ، وشلَّت يده فكفت عن إيتاء الزكاة ، وكانت العقبى وخيمة وساء ما فعل .

انهيار يتبعه اعتراف يجعله فزعاً وهلعاً من عقاب من بيده الملك :

﴿ وَمَنْ يَعصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (النساء : ١٤) .

لأنه أخطأ وما خطىء ..

ولكن الله هو الرحمن الرحيم مهما أمعن عبده في العصيان وتفجرت ذنوبه كالبركان :

﴿ فَمَنْ تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المائدة : ٣٩) .

وعن **أنس رضي الله عنه** قال سمعت **رسول الله ﷺ يقول قال الله تعالى** :

[يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ولا أبالي .. يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقُراب الأرض (ما يقاربها) خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً أتيتك بقرابها مغفرة] (رواه الترمذي) .

وبعد هذا كله كيف يجد المسلم ما منحه الله من آلاء لا تعد ولا تحصى ، ثم يتبارىٰ في التفريط فيما أمره به ونهاه عنه ، وقد كرمه وفضله عن سائر مخلوقاته :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء : ٧٠) .

وقى الله عثرات النفس وهداها الصراط المستقيم .

بطاقة من قارئ

□ هذه البطاقات عبارة عن أفكار وتصريحات وأقوال ذات مساحات محددة يلتقطها بعض الإخوة من القراء بما يتمتعون به من حواس ذكيّة . ومن ثَمّ يقدمونها من خلال هذه الصفحة ..

وهي محتجزة لتقديم كل نافع ومفيد من هذه العصارات المكثفة ، التي يُشار فيها إلى مكمن خطر .. أو يُكشف فيها قناع عن وجه عدو للأمة ومقوّماتها ..

أو يبصّر برؤية ويسدد طريقاً ويقوّم منهجاً . تحت عنوان خير الكلام ما قلَّ ودل □

صـــرخة ... في وادٍ !!!

□□ [... إن الفرقة بين المسلمين هوَّنت أمرهم ، وجعلتهم حجة على الإسلام ومبادئه ، حتى لقد قال الأعداء : لو كان الإسلام خيراً ما كان أهله على هذه الحال من الخلل والاضطراب والبعد عن أسباب القوة . وقد تحكّموا فينا . فإن حاولنا أن نجتمع خذّلونا أو خذّلنا الرؤساء الذين يوالونهم ويستمدون القوة منهم ويسيرون في مسارهم ويدورون حول قطبهن .

وأي غربة للإسلام أشد من أن يكون من يدعو إلى الوحدة الإسلامية تكون دعوته غريبة وصوته منكراً ، كأنه يهاجم الإسلام .. وفي كل الأحوال تكون دعوته صرخة في واد] □□

القارىء : الأندلسي وديع ـ المغـــرب

من قولة للشيخ محمد أبو زهـــرة ـ رحمه الله

الحـــروب التجاريـــة !!!

□□ ... وهكذا تكون « **الساحة العربية** » أرضاً خصبة ، ليست للحروب السياسية والعسكرية والنفطية للدول الكبرى فحسب بل أيضاً للحروب التجارية ، بغية الفوز بأكبر حصة ممكنة من مشتريات العرب من الحبوب والموارد الغذائية ، **وتكفي لإبراز أهمية سوقهم الاستهلاكية الإشارة إلى أن مشترياتهم من القمح فقط تقدَّر سنوياً بـ١٥ مليون طن يبلغ ثمنها حوالي ٢،٥ مليار دولار ، وهذه الكمية تساوي ١٨٪ من مجموع الصادرات العالمية للقمح □□**

مصطفى هريدي حسن ـ مصر ـ سوهاج

(الحوادث ٢٢ أبريل [نيسان] [العدد ١٣٨١])

عـــزل الإســـلام عن المعركـــة !!

□□ [... **ولئن كان لليهود دور كبير في عزل الإسلام عن الساحة خلال مراحل الصراع الماضي كله ، فلا شك أن ذهنية المواطن العربي لم تكن مستعدة لتبني الإسلام كعقيدة جهادية تجاه الصهيونية** لأنه كان يأمل بأن يحقق النصر بأي شعار طرح لا يتطلبُ منه التزاماً في كل مناحي حياته ، ولا يجبره على التعامل مع الطوائف الأخرى بشكل دقيق .. يخشى منه حصول فتن واضطرابات] ولكن ، لقد أصبحت [**الذهنية العامة للعربي خاصة وللمسلم عامة ، الآن ، مستعدة لقبول هذه الراية وهذا الشعار**] □□

القارىء : محمد حمامي ـ بيروت

(صحيفة « السفير » اللبنانية بتاريخ ١ مايو [أيار] ١٩٨٣م)

صناعـــة الرأي العـــام !!!؟..

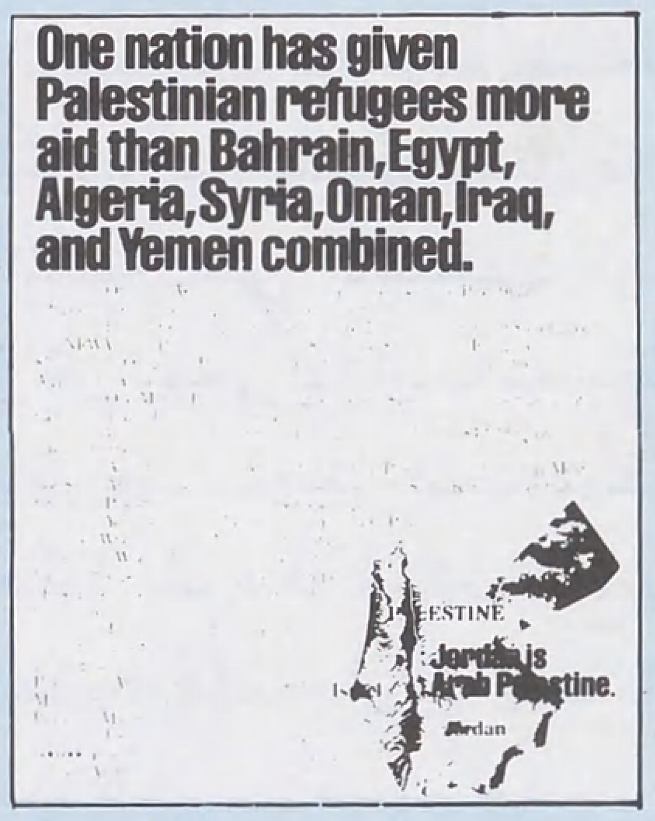

□□ نشرت صحيفة « **نيويورك تايمز** » هذا الإعلان ضمن حملة صهيونية ، تستهدف إضافة ذريعة جديدة لاحتفاظ إسرائيل بالإرض المحتلة : **[... دولة واحدة في الشرق الأوسط أعطت اللاجئين الفلسطينيين اكثر مما أعطتهم البحرين ، مصر ، الجزائر ، سوريا ، عمان ، العراق ، واليمن مجتمعة .. دولة واحدة في الشرق الأوسط أعطت ما يقرب من عشرة ملايين دولار .. هذه الدولة هي إسرائيل !.**

هناك دولة إسلامية واحدة يشعر الفلسطينيون فيها أنهم في بيتهم ، حيث يشكلون ثلثي مجموع السكان : تلك الدولة هي الأردن ...

ثقافياً ، ولغوياً ، ودينياً ، وإحصائياً وجغرافياً وتاريخياً ، الأردن هي دولة فلسطين العربية .. الأردن هي بلد ستمائة الف فلسطيني ظلوا بلا مأوى خمسة وثلاثين عاماً بسبب إخوتهم العرب !!..] □□

سهيل حلواني

الولايـات المتحدة الأمريكية

« آســام » .. ليســت أحداثاً داخلية !

□□ **كان ، ولا يزال ، المطلوب من رئيسة وزراء الهند أن تبرهن على أنها لا تكتفي برفع شعارات التسامح الديني والطائفي والسلام العالمي . وإنما تعمل وبجدية على وضع تلك الشعارات الخلاّبة موضع التنفيذ .**

ولا يكتفي أن تعلن نيودلهي أنَّ ما حدث في « آسام » هو أحداث داخلية لا يجوز للآخرين التدخل فيها ، لأننا نؤمن بأن أي حدث يمس حقوق وحريات الإنسان في أي مكان من العالم إنما يثير الفزع والتعاطف عند البشر جميعاً ، فكيف وضحايا « آســام » هم مسلمون تربطنا بهم أسمى الروابط . وقد قتلوا على الهوية ، أي لأنهم مسلمون . ومن واجبنا أن نتعاطف معهم ونأسى لما تعرضوا له ونطالب بألاّ يستمر اضطهاد المسلمين في الهند أو غير الهند في أصقاع الدنيا كلها □□

القارىء : حامد أحمد زايد ـ قطر

(« الوطن » [العدد ٢٨٩٦])

حوافز العـــدوان !!!؟..

□□ **تم تاسيس صندوق لتمويل نفقات محاكمة الصهاينة الذين يعتدون على المواطنين العرب ـ في الضفة الغربية المحتلة ـ حيث تنتهي كل المحاكمات بدفع غرامات مالية !!..**

تبرع (روبرت ليكود) احد أثرياء اليهود الأمريكيين بمبلغ خمسين الف دولار لتغطية مصاريف تأسيس الصندوق !! □□

علي سلطان ـ الكويت

([الوطن] ٤ أبريل [نيسان] ١٩٨٣م عن صحيفة دافار الإسرائيلية)

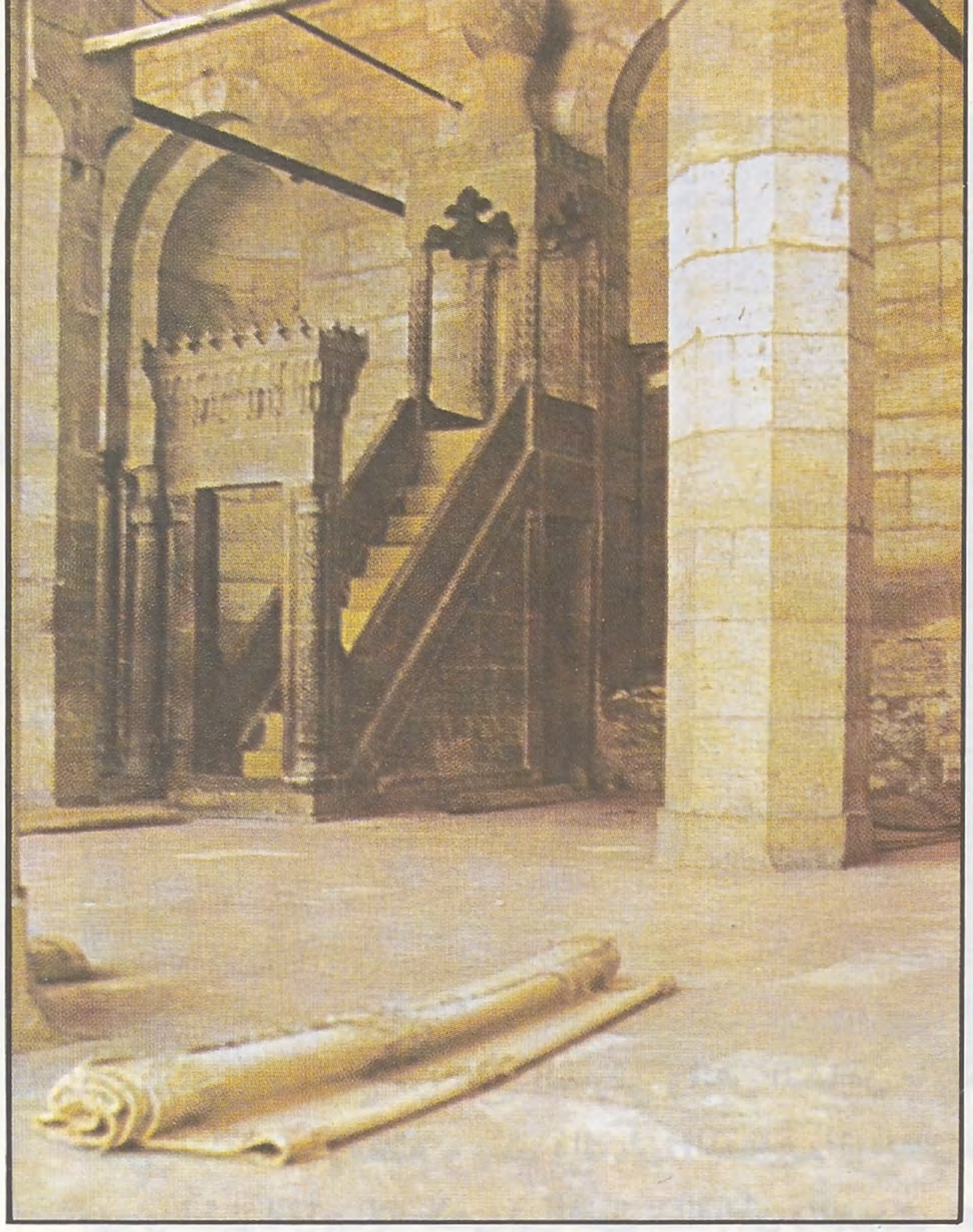

■ منبر حجري بخانقاه السلطان برقوق بالقاهرة (من عصر المماليك) .. الخانقاه : نوع من المباني شاع في العصر المملوكي .. اقيمت للعبادة والتعليم والسكن ■

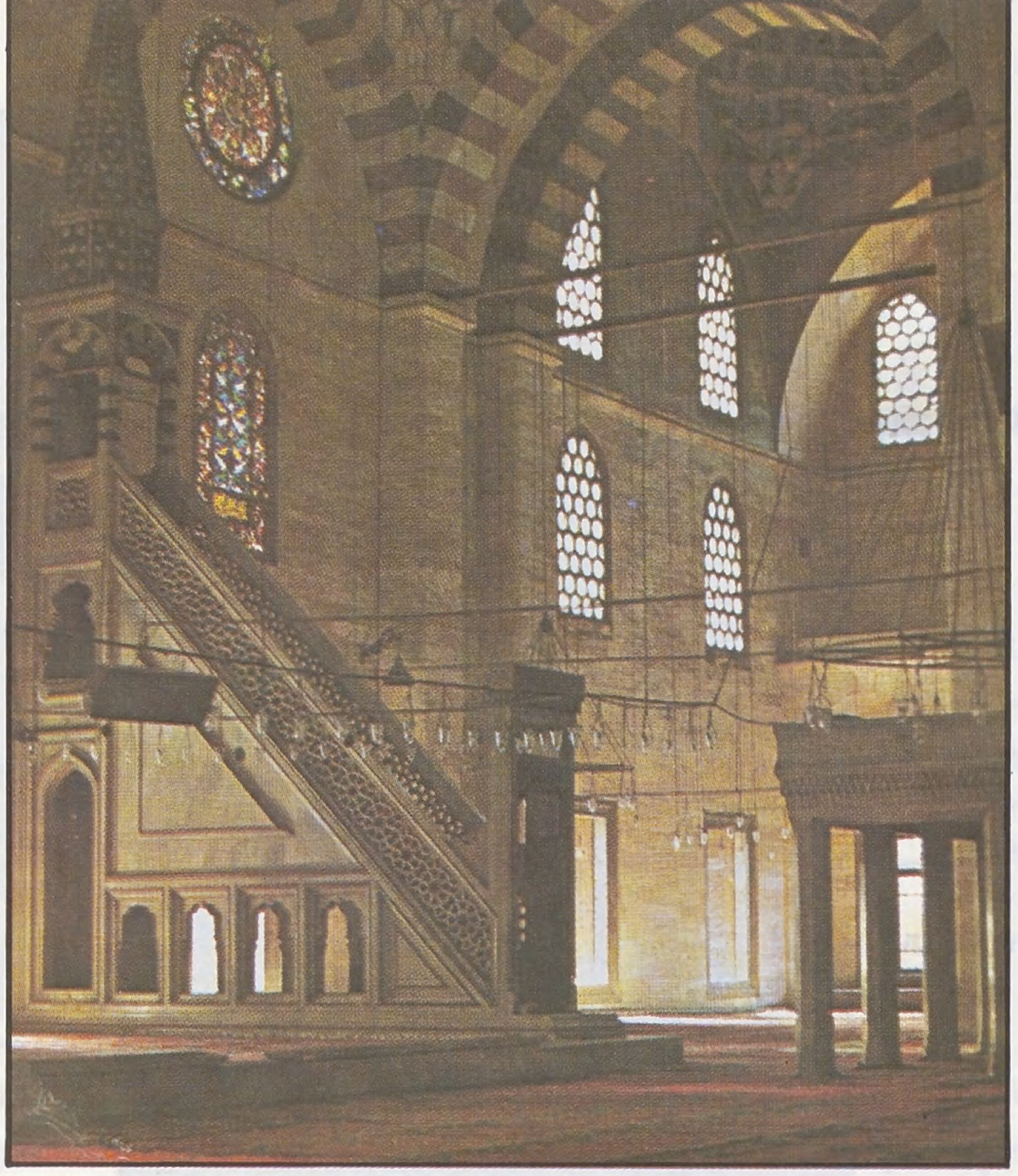

■ منبر رخامي بمسجد سليمان باستانبول - تركيا القرن ١٦م .. ■

فن البناء وتخطيط المساجد عند المسلمين

■■ من البديهي القول بأن الفتوحات الإسلامية كانت سبباً في نشأة العمارة والفنون الإسلامية . ولقد نجح العرب في تعريب الأقطار التي فتحوها ، واندمجوا مع أهل تلك الأقطار ، ولا شك في أنهم استعانوا في صدر دولتهم بعباقرة الصناعة وغيرها ممن وجدوهم في هذه الأقطار ، ومن بينهم المهندسون والبنّاؤون ، ولهذا فليس غريباً أن تمتاز الفنون والآثار الإسلامية بتعدد مصادرها وأصولها الفنية ، حيث تأثرت بالحضارات السابقة والمعاصرة لظهور الإسلام تأثيراً متنوعاً ، ومن هذه : فنون مصر البيزنطية القبطية ، وإيران الساسانية ، وفنون الشام في العصر الكلاسيكي الأخير ، وفنون سهوب أواسط آسيا ، فضلاً عن فنون الإمبراطورية البيزنطية نفسها ، وأرمينية ، والقوقاز ، والصين .

وليس غريباً ، أيضاً ، أن تستمد الفنون والآثار الإسلامية أصالتها من اتساع أُفق الاقتباس والاشتقاق فيها ، فقد كان الخيال الفني العربي الإسلامي ينصب على ما اقتبس وما اشتق ، فيحوره ، ويبدله ، ويصبغه صبغة جديدة فريدة يتلاشى وراءها أصل موطنه ومنبته ■■

بقلم : د . عمر عبد السلام التدمري

فن البناء وتخطيط المساجد عند المسلمين

وحـدة الفنـون الإسلاميـة ..

لقد صُرفت جهود كثيرة في البحث عن **مصـادر الآثار الإسلامية وأصولها المقتبسة أو المشتقة** ، كما صرفت جهود كثيرة في البحث عن **لتأثيرات المحلية والأجنبية ، العربية والأعجمية** ، التي طبعت آثار إقليم من الأقاليم ، بطابع يميزه عن غيره ، ولا تزال الدراسات والبحوث مستمرة في هـذا الاتجاه ، ولكن من الممكن القول الآن إن من خواص الفن الإسلامي انه **مزيج من الفن الشرقي والفن الخاص بالأقطار التي اعتنقت الإسلام** ، مثال ذلك أن **التنميق الهندسي** كان موجوداً قبل الفتح الإسلامي في الفنَّين : القبطي والبربري ، ومن المعروف أن **التصوير الهندسي** قام في كثير من الأجيال مقام صور الطبيعة ، كما أن الفن الإسلامي اقتبس من الفُرس القباب المزخرفة والأقواس الرخوة (المطلوقة) والمقربَصَة ، كما أن الفن الإسلامي في المغرب هو مزيج من الفن الشرقي والفن البربري . وهكذا أعطى **التطعيم المتبادل** بين الفنون طابعاً خاصاً على العمارة والآثار الإسلامية .

ومع اتساع العالم الإسلامي ، اتسمت العمارة الإسلامية بالدقة والابتكار والتنوع ، فإذا استثنينا الفن الصيني ، فإننا **لا نجد اي اسلوب فني بلغ من السعة ما بلغه الفن الإسلامي** الذي يشمل بلاد الهند والعراق وفارس وسورية وفلسطين وتركية ومصر وتونس والجزائر والمغرب وصقلية والأندلس . **وأصاب التنوع** : عناصرها وأشكالها وزخرفتها ، مما جعل بعضها يغاير بعضها الآخر في الزخرفة وفي التفاصيل المعمارية ، وبلغ التنوع من الشدة حدّاً **يصعب معه كثيراً ان نجد اثرين إسلاميين متماثلين تماماً** .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل نرى **كل عصر له طابعه** الذي يميزه عن غيره . ففي **مصـر** مثلاً ـ حيث تعاقبت فيها الدول وراء بعضها ـ نرى **الآثار الطولونية** بتفاصيلها وزخارفها تُغاير **الآثار الفاطمية** ، والآثار الفاطمية تغاير **الآثار الأيوبية** ، وبالرغم من اتصال تلك العصور بعضها ببعض . فنرى التطور المدهش في شتى التفاصيل ، في **تطور الواجهات** من بناء بالآجر ، إلى الحجر ، **وفي العقود** بأشكالها المتنوعة من **فارسي إلى مخموس إلى موتور** ، وغير ذلك . **وفي المحاريب** من جصية إلى خشبية ، إلى رخامية ، وحجرية منقوشة ، وحجرية مطعمة بالرخام . **وفي النجارة** ما بين **حفر** دقيق رقيق ، **وتطعيم** في العصـرين الأموي والعباسي ، إلى **حفر ضخم** في العصر الطولوني . **وحفر دقيق رقيق** مع صور طيور وحيـوانات وآدميين ، **وكتابات** كوفية مزخرفة في العصر الفاطمي ، وتجميع زخارف دقيقة ، وكتابات كوفية ونسخية في العصر الأيوبي ، **وحشـوات** مجمعة تجمـع مختلف أنواع الخشب والسن والآبنوس المحفور ، مع **تطعيم** بالسن في العصر المماليكي ، **وتطعيم** بالزرنشان ، **وحفر دقيق** في الخشب والسن في دولة المماليك الجراكسة . كل هذا نجده ممثلاً في المنابر والمحاريب والكراسي والأبواب والتوابيت ، والخزانات . هذا ، عدا التنوع الرائع في الزخارف الجصية في العصرين : الطولوني والفاطمي ، ثم في الأيوبي والمماليكي .

ورغم التباين والتغاير والتطور الذي أصاب العمارة الإسلامية في مختلف عصورها ، فإن **فن العمارة كفن من الفنـون الإسلامية يمتاز بوحدته** ، وأي شخص تقتصر معرفته بالفنون على المبادىء العامة المبسطة لا يشك في أنه يشعر **بوحدة الأسلوب والروح والطابع** التي تتميز بها العمارة الإسلامية على اختلاف عصورها ، وعلى تباعد أقطارها ، ولا يتردد مطلقاً في الحكم **بوحدتها الإسلامية** . وهذه حقيقة لا شك فيها ، وتبدو أكثر وضوحاً وشمولاً في الأقطار العربية على وجه الخصوص .

وإذا كان المسلمون قد استعانوا بصُنَّاع من أهالي الأقطار

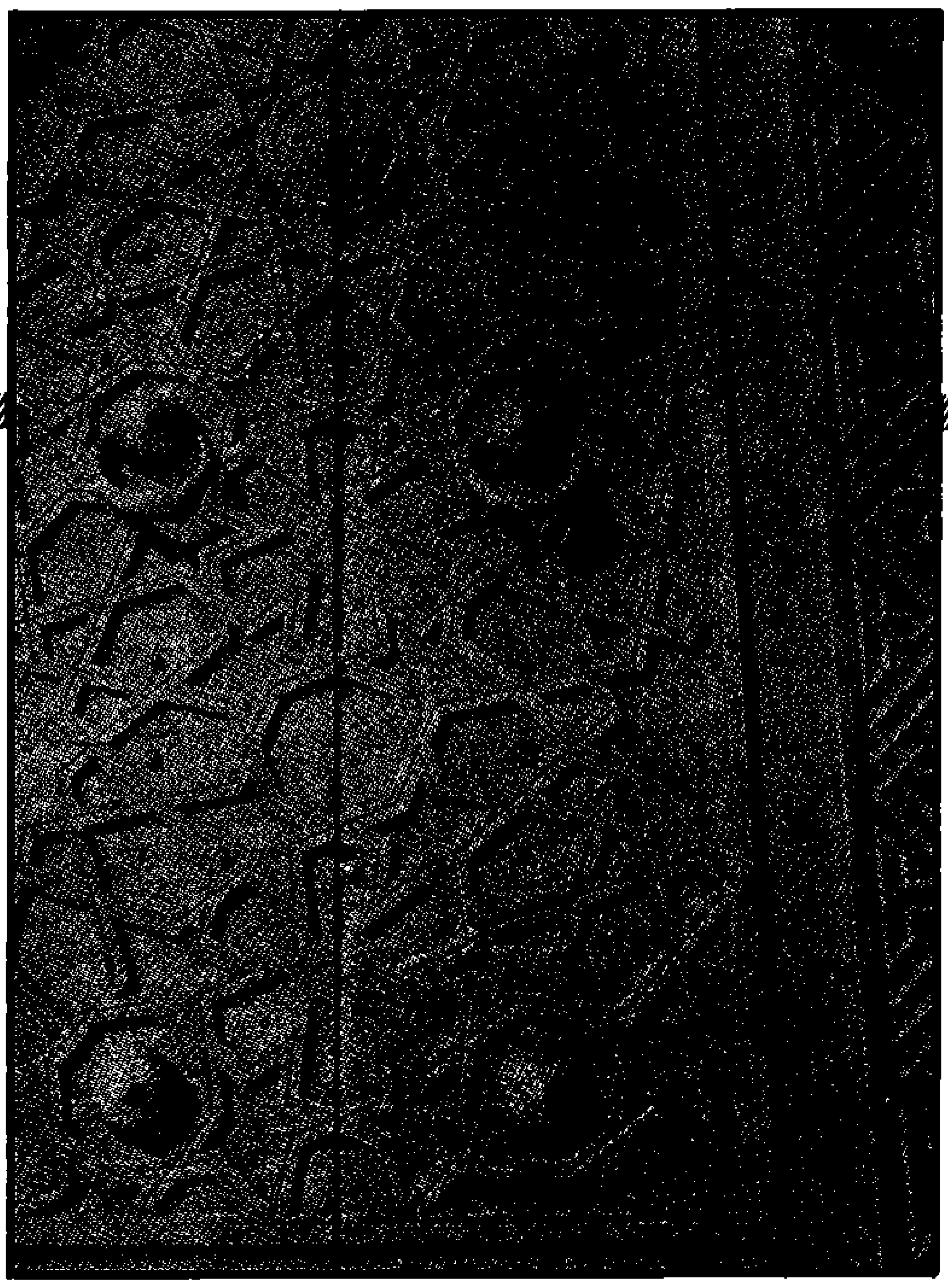

■ زخارف هندسية على احد الابواب التي تلي مدخل المسجد الحرام ■

■ مسجد ابن طولون في مصر ■

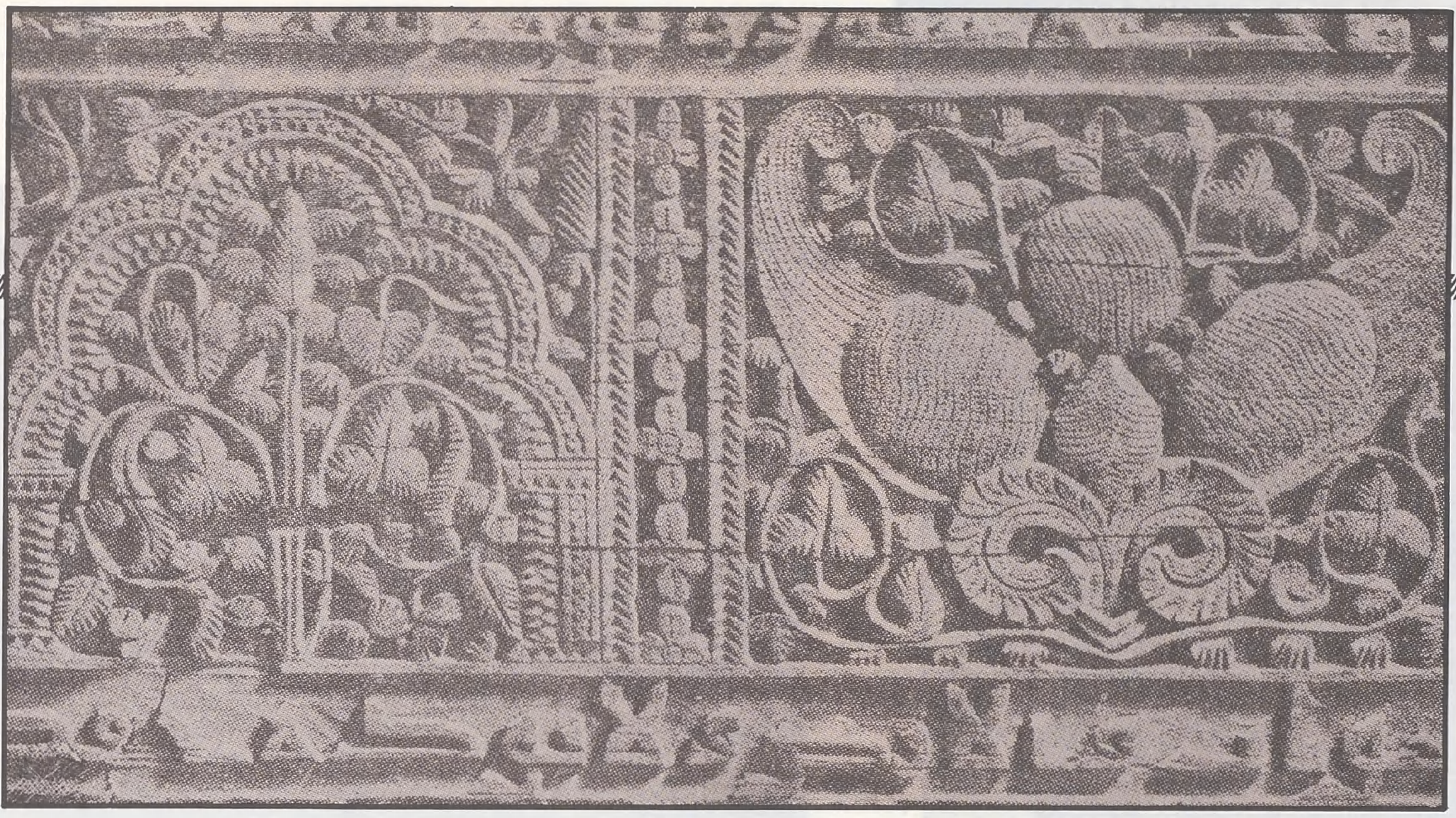

■ حشوات خشبية بالخط البارز لزخارف وتصميمات نباتية من العصر المملوكي ... ■

المفتوحة بُعيد حركة الفتح ، فإن الاستعانة بأولئك الصناع من المهندسين والمعماريين وغيرهم **اقتصرت فقط على المنشآت المدنية البحتة وغيرها من الصناعات اليدوية الأخرى** ، فلم يكن لهم أي دور في بناء المساجد الجامعة عند إنشائها في صدر الإسلام ، **وبالتحديد عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين** ، بدليل أن المساجد التي شيدت في تلك الفترة كانت مثالاً للبساطة ، لا أثر للفن المعماري فيها ، فلا زخرف ، ولا بناء بالحجر ، ولا بياض ، ولا بلاط ، ولا محاريب مجوَّفة ، ولا مآذن (**منارات**) . بل كانت عبارة عن جدار من اللبن ، وسقف من الجريد ، وأعمدة من جذوع النخل ، ومظلة ناحية القبلة ، ثم رحبة واسعة من الرمال .

حدث جديد في تاريخ العمارة !!!

ولقد نشأت العمارة الإسلامية ، أول ما نشأت في المدينة المنورة ، **في اليوم الذي دخلها الرسول ﷺ** ، **وفي المربد الذي بركت فيه ناقته عند الهجرة** .

في هذا المكان ، وفي ذلك اليوم اختُطّ أول بيت للصلاة ، وأول مسجد جامع للمسلمين .

كان هذا المسجد جداراً مربعاً أساسه مبني بالحجارة إلى ثلاثة أذرع فقط ، ثم بني فوق ذلك جدار باللبن ، وأقيمت له من ناحية قبلته مظلّة ، مُدّت فيها أعمدة من جذوع النخل ، وسُقفت بالجريد ، **وكانت القبلة أولاً باتجاه بيت المقدس ، وبعد ستة عشر شهراً حُوّلت باتجاه الكعبة ، وأقيمت مظلة ثانية ملاصقة لجدار القبلة الجديدة ، وترك ما بين المظلتين رحبة واسعة** .

ويعتبر بناء هذا المسجد ، على هذا النظام ، **حدثاً جديداً في تاريخ العمارة** ، له اليوم شأن عظيم في الآثار ، وهو **نظام تخطيط المساجد** ، ومحور هذا النظام التخطيطي يقوم على **جدار القبلة** الذي يُعتبر حداً أمامياً لبيت الصلاة ، وتمتد في بيت الصلاة (الحرم) **صفوف من الأعمدة** موازية لجدار القبلة . وهذه الصفوف تقسم بيت الصلاة إلى **أساكيب** . والأسكوب في اللغة العربية هو الممر الممتد بين جذوع النخيل ، وقد أطلق هذا اللفظ منذ نشأة هذا التخطيط في مسجد الرسول بالمدينة ، على ممرات بيت الصلاة ، وما يزال مستعملاً حتى اليوم في بلاد المغرب ، يقال له الأسكوب أو المسكبة .

إذن ، **فعناصر تخطيط المسجد** الرئيسة ثلاثة هي :

- **جدار القبلة** .
- **الأساكيب الموازية لجدار القبلة** التي يتكون منها بيت الصلاة .
- **البهو** الذي يطل على بيت الصلاة .

ولقد **تطور هذا النظام** تطوراً كبيراً في البلاد الإسلامية ، ودخلت على هذا التخطيط عناصر أخرى ، منها :

- **المحراب** .
- **البلاطات** ومجنبات البهو وزياداته ، مثل **الرواقات** .
- **الصومعة** .
- **الصحن** : وهو البهو الذي يُصلى فيه على الجنائز ، ويعرف بـ « **صحن الجنائز** » .

تخطيط المساجد . . .

يعكس تخطيط المساجد العربية صورة اصطفاف الأعراب للصلاة في الصحراء **صفوفاً مستقيمة** ممتدة في صف يرتسم في الفضاء المتسع ، كما كانت ترتسم جذوع النخيل في مسجد الرسول ﷺ بالمدينة ، وكما ترتسم الأعمدة والدعامات في بيوت الصلاة ، فتمتد صفوفاً إلى يمين الإمام ويساره ، أكثر من امتدادها من خلفه ، ولهذا امتازت **المساجد العربية** بأن جدارها القبلي أكثر طولاً من جدران بيوت الصلاة الأخرى ، وبمعنى آخر ، فإن بيت الصلاة مستطيل الشكل بموازاة جدار القبلة . وفي الواقع ظل المسجد الجامع ، أو مسجد الجمعة ، محتفظاً في البلاد العربية بالعناصر الرئيسة الثلاثة الأولى ، حتى إن المساجد التي أُقيمت على هذا النظام في البلاد الإسلامية الأخرى

فن البناء وتخطيط المساجد عند المسلمين

توصف أحياناً بالمساجد العربية ، تمييزاً لها عن غيرها من المساجد التي يخضع تخطيطها لأنظمة أخرى .

وخلاصة القول ، فإن **المساجد الجامعة عند نشأتها في صدر الإسلام كانت مثالاً للبساطة** لا أثر للفن المعماري فيها . ولكنها لم تلبث طويلاً حتى سايرت سُنَّة التطور ، وهذا نلمسه جلياً في **تتبع تاريخ جامع عمرو بن العاص** ـ مثلاً ـ المنشأ في الفسطاط سنة ٢١هـ/٦٤١م . فإنه رغم إنشائه وسط مجموعة الكنائس النصرانية في عز ازدهارها ، ومجاورته لحصن **قصر الشمع** ، فقد كان غاية البساطة ، بني باللبن ، وسُقف بالجريد والطين ، واتخذت عُمُدُه من جذوع النخيل ، ولم يكن له مئذنة ولا محراب ، ثم تدرجت فيه أعمال الإصلاح مع الزيادات تبعاً لاطراد التقدم والعمران ، وهذا ما كان يبدو أثره عاماً بعد عام . ومثل هذا المثال ينطبق على العمائر الإسلامية الأخرى التي شيدت في وقت مبكر عند ظهور الإسلام .

وإذا كانت **العوامل الدينية والجغرافية والبيئية** قد أثرت في تخطيط المساجد العربية على النحو الذي ذكرناه آنفاً ، فإن تأثرها قد شمل أيضاً **عناصر عمارة هذه المساجد** مثل المحراب ، والقباب ، والعقود (أي الأقواس) ، والمئذنة ، والمزركشات الهندسية ، وغيرها من العناصر الثانوية الأخرى كبئر الماء الذي يؤدي وظيفة الوضوء ، ثم تحول إلى بركة تتوسط صحن الجامع ، أو بيت الصلاة ، وتُعرف بالميضأة . وهذه الخصائص التي **اشتمل عليها** المسجد بعد تطور عمارته هي غير خصائص العناصر التي **اشتقت منها** ، وميزتها في البلاد العربية عن غيرها من البلاد . وسنحاول أن نستعرض تطور بعض هذه العناصر في السطور التالية .

■ لقطة عن قرب توضح تفاصيل زخارف المنبر الخشبي بالجامع الكبير بالقيروان ـ تونس ■

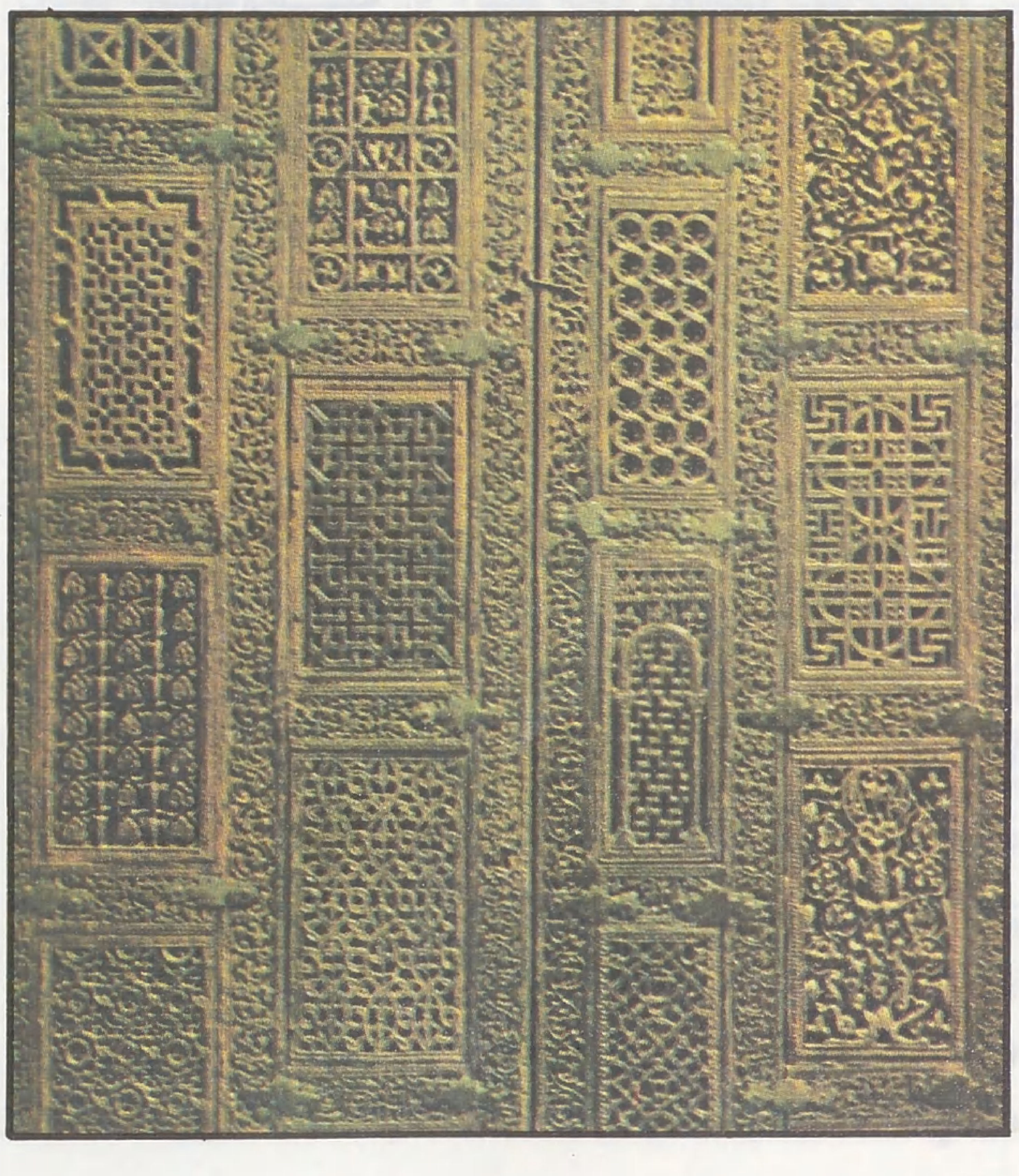

■ تربيعة هندسية من الرخام الملون تعلوها تجويفات مقرنصة .. ومدليات فوق باب جامع بدرالدين العطار بطرابلس ـ لبنان (عصر المماليك) ■

القبـــــــاب . . .

قد يكون من الوجيه القول إن **القبـاب المستديرة** التي تعلو بيوت الصلاة في المساجد **هي صورة مصغرة لما يراه العربي وهو في صحرائه** من اتساع الأفق واستدارة السماء من فوقه ، ولقد أظهر العرب رجاحةً وإصابة فكرٍ في اتخاذ القبة ـ وبكلمة أدق القبة الدائرة ـ شكلاً رئيساً لأماكن العبادة . صحيح أن الرومان والبيزنطيين استخدموها لتكون الجزء الأرفع والأشد وثاقة من البناء الذي صمم ليحمي ضريحاً أو أي مكان شريف . ولكن هؤلاء لم يكونوا بناة القبة الوحيدين على وجه البسيطة ، إذ يرى « **ستريجوسكي** Strzygowski» أن القبة الشرقية أصلها من آسية الصغرى أو أبْعد من ذلك إلى الشرق ، عبرت من أرمينية إلى بيزنطة ومنها إلى البلقان وروسيا تحت رعاية الكنيسة اليونانية . فإذا كان **العرب استعملوا القبة لأول مرة** ، فقد استعملوا طرازاً لم يكن نصرانياً خالصاً ، ولا حتى رومانياً بحتاً .

ورغم أن التطور الكبير الذي لحق القبة كان له أهمية في تاريخ العمارة الإسلامية ، فإنه لم يكن لها (أي القبة) أي تأثير ظاهر على الأوروبية ، ولكن قُدر للقبة أن تصبح **الميزة المفضلة الكبرى** للعمارة الإسلامية ، في المساجد ، وفي المدارس ، وفي الزوايا ، وفي التكايا ، وفي المشاهد ، وحتى في المنشآت المدنية مثل الحمامات والقصور وغيرها .

ومن الواضح أن المسجد لا يقتصر على قبة واحدة ، فإذا اتسع بيت الصلاة احتاج إلى أكثر من قبة ، ولا يخفى أن القبة **تؤدي وظيفة هامة** في المسجد ، فهي تساعد على إدخال النور إلى بيت الصلاة ، كما تساعد على تهويته في أشهر الصيف ، ثم ظهرت القبة الصغيرة فوق المحراب ، ولعل هذا يوضح أهمية القبلة التي يحددها المحراب ، ثم ظهرت القبة المجاورة لقاعدة المئذنة .

وفي القرون الوسطى كان شكل القباب في القاهرة مرتفعاً في العادة ، أما في إيران وتركستان فقد أعطيت الأفضلية للقباب

■ إطار مستطيل من الزخرفة والأشكال الهندسية فوق قوس من الصنجات الرخامية المتعاشقة .. وفوق الإطار لوحة كتابية بالخط الكوفي ، وتبدو المداميك المتناوبة من الحجارة السوداء والبيضاء فوق باب حرم جامع الأمير سيف الدين طينال (عصر المماليك) ■

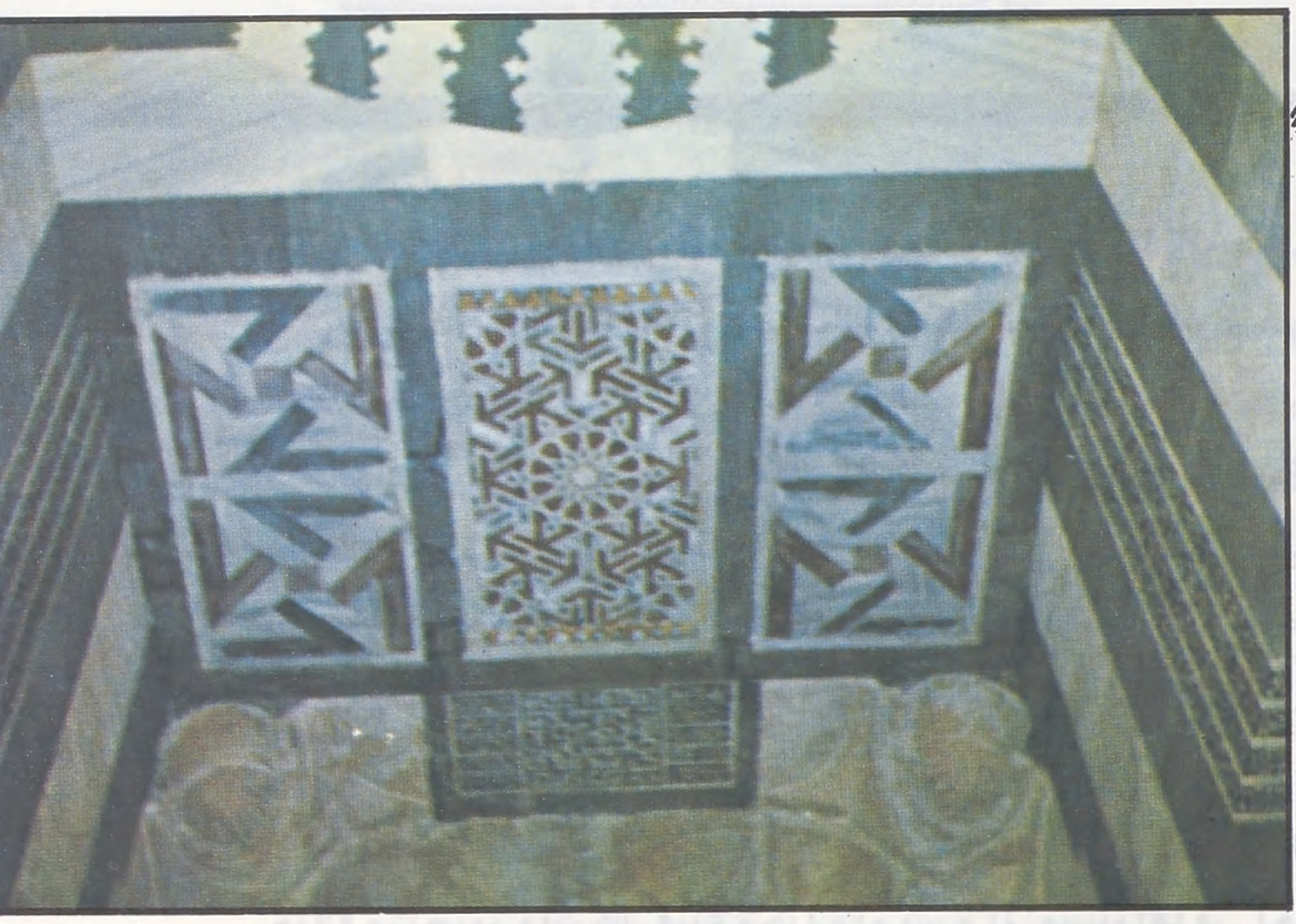

■ قبة مفصصة .. وقبة نصف دائرية ، وراس منار متأثرة بالعمارة الحربيـــة في جامع الأمير طينال ■

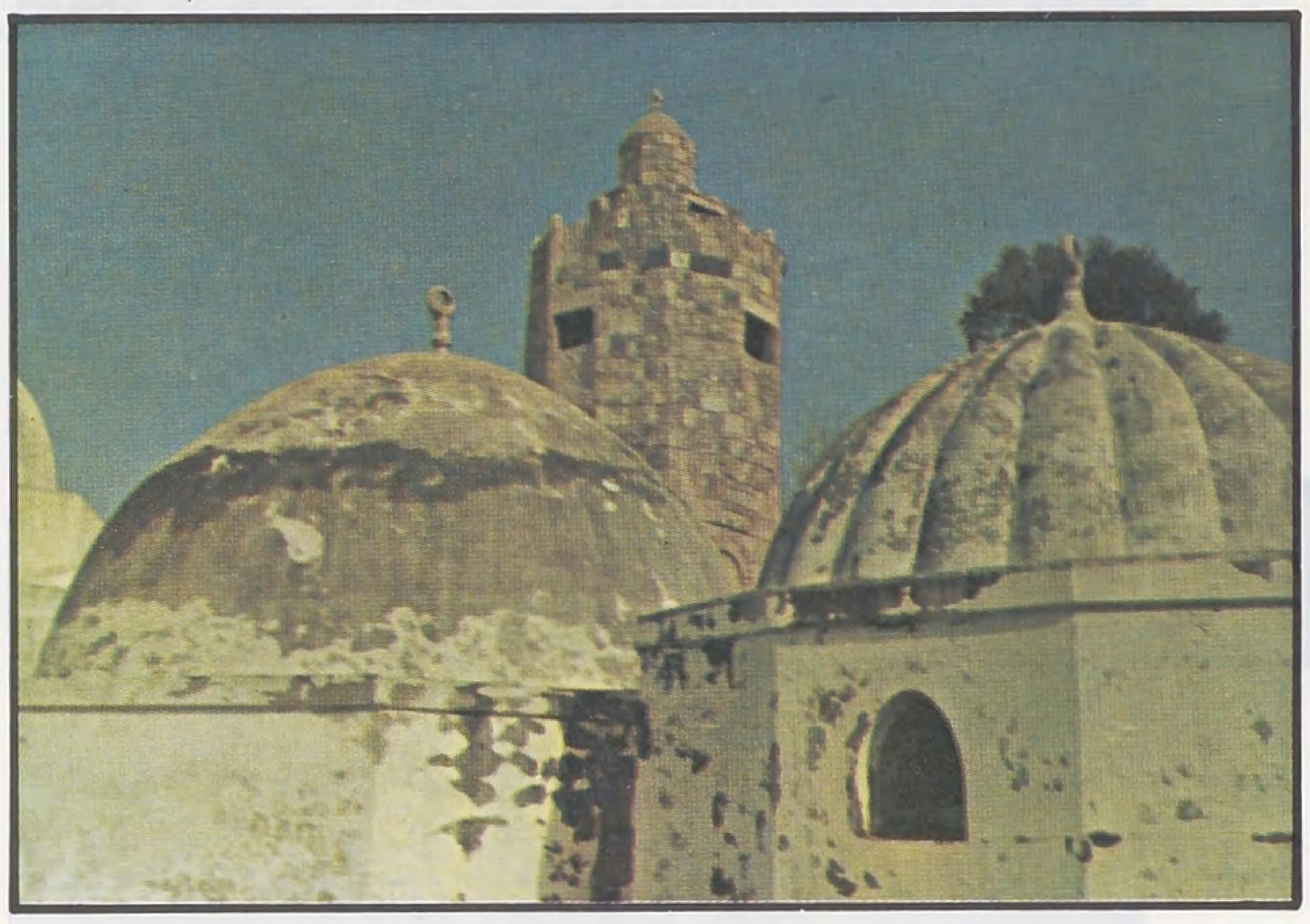

« **البصلية** » المنحرفة ، بينما اتخذت قباب مساجد القسطنطينية شكل القباب البيزنطية المنخفضة ، وكانت قباب مصر الحجرية في القرن الخامس عشر الميلادي مزدانة بزخارف مخرمة من الخارج ، أما في إيران فقد كان يُعمد إلى تغطيتها بتربيعات من القاشاني اللامع الملون .

وهناك **طرز من القباب** أشهرها القبة النصف دائرية الملساء ، ثم القبة المضلعة ، والقبة المخروطية .

الأقـــــــــواس . . .

وُجدت الأقواس الشبيهة بحدوة الفرَس في أبنية محفورة في الصخور قبل ظهور الإسلام بوقت طويل ، فقد عُثر على **القوس المدبب في الهند** منحوتاً على الصخر الأصم من غير أن يؤدي وظيفة معمارية ، وكان ذلك قبل ظهور طراز **قوس حدوة الفرس** الذي طبع الفن الإسلامي ، ولقد قدّر **للأقواس المحمولة على دعائم وعلى أساطين وتشكل عقوداً تعلو الأبواب والنوافذ والتي من طراز حدوة الفرس** أن تصير من أهم مميزات فن العمارة الإسلامية ، ويعتبر ظهور الأقواس في دمشق على ذلك الطراز من أوائل المناسبات التي استخدمت لأداء وظيفة معمارية حقيقية .

ولقد كثر استعمال الأقواس **نصف الدائرية والعادية والمدببة أو ذات المركزين ، وما يدعى بالقوس الإيراني** الذي ينتهي التقويس فيه بصيرورته خطين مستقيمين عند النهايتين استعمل بكثرة في موطنه إيران وفي غير موطنه ، وهو شبيه بعض الشبه بالقوس التيودوري في بهو كنيسة المسيح بأكسفورد ، ثم انتشر استعمال **الأقواس ذات الحنايا المتعددة أو الأقواس المقرنصة (في المشرق) أو المقربصة (في المغرب) وبوائك** لغرض زخرفة السطح .

المزركشـات الهندسية (الزخـارف) . . .

من الواضح أن المزركشات الهندسية في الزخارف العربية جاءت **صورة للبيئة الخاصة** التي نشأ فيها الأعراب وعاشوا ، فهي صورة لطبيعة بلادهم ، ونزوة خيالهم . ولقد انفرد العربي بخياله الهندسي الذي ينصب على **الكتلة فيقسمها ويجزئها ويحولها إلى خطوط ومنحنيات تتكرر وتتعاقب وتتبادل وتمتد إلى ما لا نهاية** ، حتى إن الناظر إلى تلك الزخارف لا يستطيع أن يحدد أين بدأت وإلى أين تنتهي ، فهي منتظمة كانتظام حوافر الخيل على الرمال الممتدة .

وهكذا كان التفكير الفني عند العرب مرآة تنعكس فيها حياتهم البدوية ، فإذا بخيالهم يتخذ صورة مادية طغت عليها أصول الهندسة والحساب ، والواقع **أن الأشكال الزخرفية في الآثار جميعاً ، مركبة كانت أو منفردة ، رسومات مخطوطة أو أشكالاً نباتية ، تخضع كلها لقوانين القسمة والطرح والتناسب ، وتقبل التكرار والتجزئة معاً** .

هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فإن هناك **صلة أخرى تتصل بالزخرفة العربية وهي اللغة العربية** ، فكأن الزخرفة والمزركشات الهندسية مرآة لأوزان من الشعر العربي وقوافيه وكأنها مقامات من الأدب الرفيع . **فالصلة بين الأدب العربي والزخرفة العربية صلة أكيدة** ، وهذه الصلة عامل من عوامل **التناغم بين الآثار الإسلامية ووحدة روحها وشخصيتها** .

ولما كان تمثيل صور الإنسان محرماً فإن الفنانين المسلمين أرادوا أن يعوضوا هذا التحريم فاخترعوا الفيض الغامر من الأشكال غير البشرية أو الحيوانية ، وأخذوا ما كان منها موجوداً عند غيرهم . فبحث الفنان في أول الأمر عن منفذ لمواهبه الفنية في الأشكال الهندسية : **الخط ، والزاوية ، والمربع ، والمكعب ، والكثير الأضلاع ، والمخروط ، والشكل اللولبي ، والقطع الناقص ، والدائرة ، والكرة** ، وكرر هذه الأشكال كلها وركب منها مئات التراكيب ، وأنشأ منها الدوامات ، والأربطة ، والخطوط المتشابكة المتداخلة ، والنجوم ، ولما انتقل إلى **الأشكال النباتية** عمد إلى المواد المختلفة ، فصوَّر من مختلف المواد : تيجاناً ، وكروماً ، وأزهاراً وخوص النخيل وجريده . فلما جاء

القرن العاشر الميلادي مزج هذه كلها فأنشأ منها **الزخرف العربي الذائع الصيت**، وأضاف إليها كلها حلية فذّة كبرى هي الكتابة العربية. وذلك أنه عمد في العادة إلى الحروف الكوفية فأطالها إلى أعلى أو مدَّها على الجانبين، أو نمقها بالذيول والنقاط، حتى استحالت الحروف الهجائية على يديه تحفة فنية ذات روعة وجمال. ولم يكن الفنان المسلم يرى أن أيَّة مادة مهما قَسَت تستعصي على فنه، ولهذا أصبح **الخشب**، **والمعدن**، **والآجر**، **والجص**، **والحجر**، **والقرميد**، **والزجاج**، **والقاشاني**، أصبحت هذه كلها وسائل يستخدمها لإظهار ما في خياله من صور وأشكال فنية مجردة لم يسم إلى مستواها فن آخر من قبل لا نستثني من ذلك الفن الصيني.

كانت **التعبيرات الزخرفية ورسوم الخطوط** يتم نضجها في مصنع فخار ثم ترفع حول المداخل الفخمة للمساجد ومحاريبها، وهي تحمل آية من القرآن الكريم أو بيت شعر جميل لأحد الشعراء أو عبارة من عبارات الترحيب أو الدعاء كثيراً ما تجدها تحيط حافة أو إفريزاً أو تملأ شكلاً هندسياً أنيقاً، **فاطِّراد النسق الإيقاعي في الزخرف** - على ما يقول **سير توماس أرنولد** - هو للعين الشرقية ضرورة إيناسية صرفة كضرورة اللحن للأذن الغربية.

أما **الحفر البارز كثيراً**، فنادراً ما وجد في الأبنية المصرية الإسلامية، وإن وجد في الهند أحياناً. في هذا الحفر تستعمل نماذج سطحية في غاية الدقة، وبدون تقيد، ولو ابتعدنا شرقاً وخاصة في إيران وتركستان حيث كان الآجر مادة البناء المعتادة، لوجدنا أن **بلاط القاشاني اللامع** قد استعمل في مجالات كثيرة ببراعة وتفنن. فأشكاله المؤلفة من أنماط هندسية مقتبسة ظلت رائجة الاستعمال لأزمنة متأخرة حتى استبدلت **بقاشاني ذي أشكال تقرب من مظاهر الطبيعة** كهيئات ضروب النبات والزهر. ويقول المستشرق الانكليزي «**مارتن بريكز**» في ما كتبه عن «**الهندسة المعمارية**»:

«**ويدل تعبير الأرابسك Arabesque الذي يطلق على الحفر الزخرفي ذي البروز القليلة الرائج استعماله في انكلترا على أننا مدينون لعرب القرون الوسطى بشيء من هذا**».

وثَمَّ شكل آخر من الزخارف شاع استعماله في عصر المماليك، وخاصة في القاهرة وطرابلس الشام، وهو **تعقيب رصف الحجر الأبيض مع الحجر القاتم** صفوفاً أفقية فوق صفوف، وهو ما يعرف **بالمداميك** المختلفة الألوان. ويظهر ذلك على واجهات أبنيتهم وفي البوابات والأقواس، وقد انتقل هذا النمط إلى المدن الإيطالية مثل: **بيزا**، **وجنوة**، **وسيينا**، **وفلورنسا**، عن طريق العلائق التجارية التي كانت تنشط بين دولة المماليك في مصر والشام وبين المدن الإيطالية في العصر الوسيط، واستخدم الرخام الملون هناك بدلًا من الحجارة عند المماليك. وهناك أبنية ملونة بهذا الأسلوب في «**لوباي** Lepuy» بإقليم «**أوفيرن** Auvergne» بوسط فرنسا، كما تقترب من ذلك النمط كنيسة القديس بطرس بنور تامبتن في انكلترا.

المحـــــــــراب ...

يعتبر المحراب **أهم عنصر يتطلبه المسجد**، إذ هو يحدد اتجاه القبلة حيث يولي المصلون وجوههم نحوها. غير أنه لا يمكن الجزم في ما إذا كان الرسول ﷺ اتخذ له محراباً لتحديد القبلة في مسجده بالمدينة أم لا. **ومن المعروف أن المسلمين كانوا يولّون وجوههم شطر بيت المقدس بعد بنائه في سنة ٦٢٢م**. وكانت القبلة تحدد بطريقة ما. **وفي سنة ٦٢٤م. تغيرت القبلة باتجاه مكة المكرمة (أي من الشمال إلى الجنوب)**.

ويُعتقد أن **عمر بن عبدالعزيز** [٩٩ - ١٠١هـ/ ٧١٧ - ٧٢٠م] **هو الذي أدخل المحراب المجوف حين أعاد بناء مسجد الرسول ﷺ**. وقيل إن أول من أدخل المحراب على المساجد هو «**قُرَّة بن شُريك**» وذلك في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط.

وقد ذهب المستشرق «**فان برشم** Van Perchem» إلى أن المحراب مقتبس من الكنيسة النصرانية الأولى وأنه مأخوذ من الحنية الموجودة في صدر مذبح الكنيسة، وهذا **أمر لا يمكننا التسليم به**، فالمحراب في المسجد يؤدي وظيفة اقتصادية هامة **هي** توفير صف للمصلين في بيت الصلاة، إذ أن الإمام يشغل صفاً كاملاً من المصلين لولا وجوده. والمحراب في المسجد أقل حجماً من حنية مذبح الكنيسة بحيث لا تتفق المقارنة بينهما.

ومن الطريف في هذا المجال أن نشير إلى ما ذهب إليه أحدهم من أن المحراب في المسجد يؤدي دوراً هاماً لفاقدي البصر، والذين يكثرون في المناطق الصحراوية - ويعني بذلك قسماً كبيراً من الأقطار العربية - فقد قال المستشرق «**مارتن بريكز** Martin Briggs»[1]:

«... **والمحراب ربما كان فكرة مبتدعة أصيلة في هذه الأقسام من المعمورة، حيث تكثر أوجاع العين إلى درجة عظيمة يحتمل أن يكون سبب بناء المحراب بشكل تجويف مقوس في الجدار لتمكين الأعمى من التعرف إليه عندما يدب ملتمساً سبيله بمعونة الجدار كما أخبرني بذلك شيخ في مناسبة من المناسبات**».

وقد أفرغ الصنّاع والفنانون كل جهودهم في تزيين هذا المحراب فجملوه **بالقاشاني والفسيفساء وصور أوراق الشجر وأزهاره**، **والنقوش البارزة** والأنماط الجميلة ذات الألوان

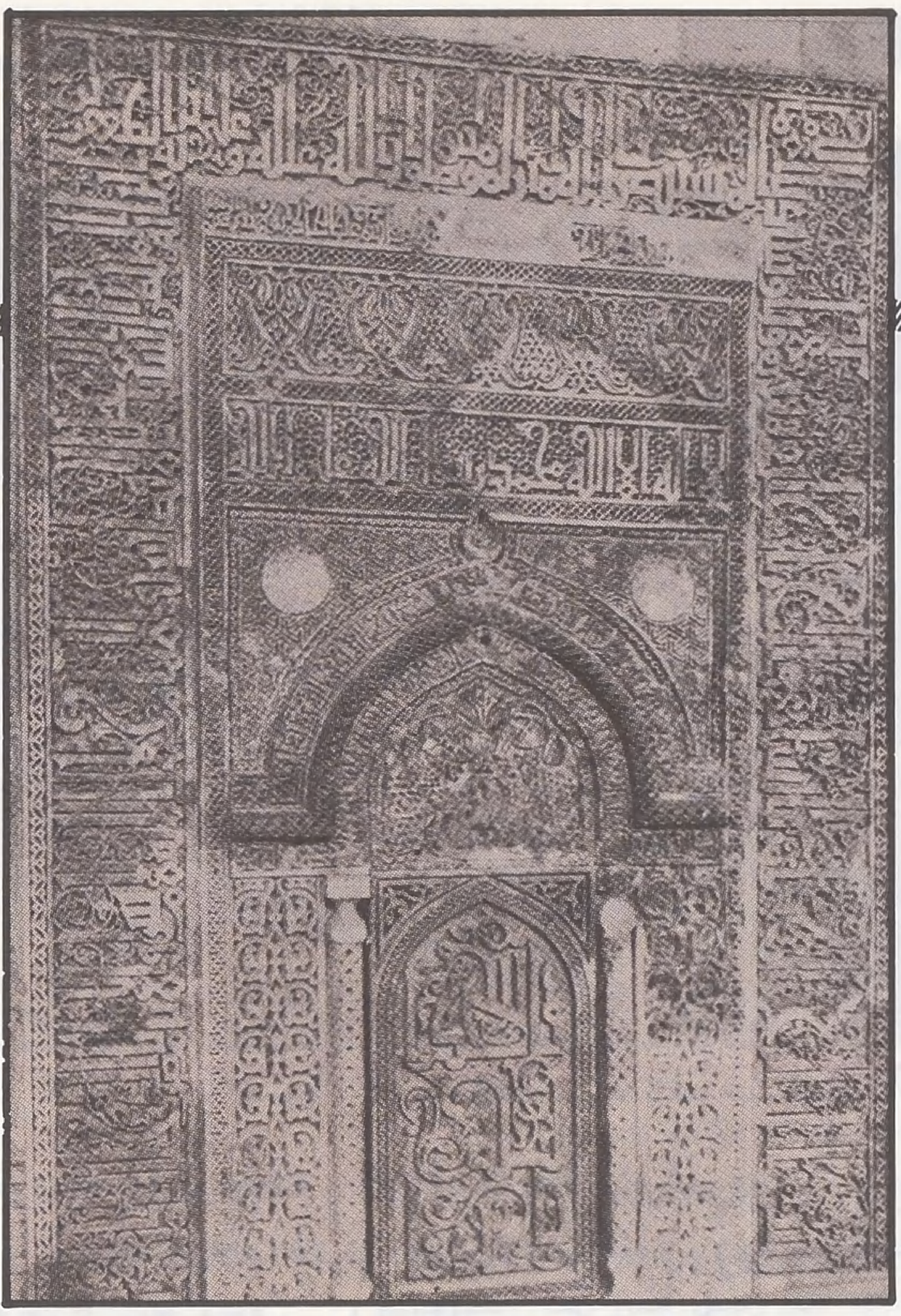

■ المحراب المستنصري وقطاع من الزخرفة البارزة .. والكتابة بالخط الكوفي المزهر ■

البديعة من الآجر والجص والرخام والطين المحروق والقاشاني والفسيفساء . وتوج المحراب في كثير من الأحيان بلوحة نقش عليها آية من القرآن الكريم فيها ذكر للمحراب أو للقبلة . وأقيم على جانبي المحراب **عمودان رشيقان** يستند إليهما **القوس** المجوف فوق المحراب ، وجاء اتخاذ **القبة** التي تعلو المحراب إلى أهمية هذا العنصر الأساسي في تخطيط المسجد .

المئذنـــــة (المنـــــارة) . . .

هي العنصر الرئيسي الذي يميز المسجد الجامع عن المدرسة الصغيرة أو الزاوية أو التكية أو الرباط ، فضلاً عن أنها تميز المسجد من الخارج لكل شخص عن كل ما حوله من منشآت مدنية أو دينية أو عسكرية وغيرها .

ويرى الأستاذ « **جاك ريسلر** » في المئذنة المرتفعة السامقة رمزاً له مدلول ديني « **كأصبع يشير إلى الله** » **تشهد له بالوحدانية الإلهية** ..

وإذا كانت المئذنة مشتقة من المنائر القديمة ، فليس من ريب في أن المسلمين هم الذين أعطوها صفتها الخصوصية المميزة ، وقد أنصف المستشرق « **روم لاندو** Rom Landau » عندما قال إن المئذنة لا المنارة القديمة ، هي التي أمست بعد أنموذجاً يحتذى في تشييد برج الأجراس النصراني ، ويضرب مثلاً على ذلك ببرج « **جيرالدا** » في إشبيلية ، وهو واحد من أروع أبراج الكنائس في العالم النصراني ، **إنما بناه في الأصل حكام مراكش الموحدون ليكون مئذنة مسجد للمسلمين** . وهناك أثر للمئذنة لا يخطئه المرء في بعض أبراج الكنائس الأوروبية الشهيرة ، كبرج « **بالاتزو فيتشيو** Palazzo Vecchio » في فلورنسة ، وبرج « **ديل كومون** Torr del Commune » في فيرونا ، كما نجد صدىً من أصداء المئذنة حتى في الأبراج الأنيقة التي شيدها المعماري **السير كريستوفر رين** « WREN » في بعض كنائس لندن .

والغرض من المئذنة واضح جداً ، فقد بنيت لتكون مكاناً مشرفاً للمؤذن الذي **يدعو المؤمنين إلى الصلاة** ، ويقابلها عند النصارى دعوة المصلين بدق الصنج الخشبي (قبل إيجاد النواقيس) ، أو استعمال اليهود للنفير . ويبدو أن أول استخدام يرجع لهذا الغرض كان في دمشق .

ويرجح الأستاذ « **ول ديورنت** » أن المسلمين في بلاد الشام قد أخذوا فكرة المئذنة من الزقورات البابلية ، وبرج الجرس في الكنائس النصرانية ، كما أخذ المسلمون الهنود الشكل الاسطواني من بلاد الهند ، وذهب الأستاذ « **ول** » في ترجيحه إلى أن مسلمي أفريقية تأثروا في تخطيط المئذنة بمنارة الإسكندرية ذات الأركان الأربعة ، **وهذا الترجيح يحتاج إلى تأمل إن لم يكن إلى دليل** . ولعله يرجح ذلك لوجود مئذنة المسجد الجامع في القيروان قرب تونس ، وهي أشبه ببرج ضخم هائل مربع يضيق قليلاً كلما ارتفع في الجو ، وليس ببعيد أن تكون الأبراج ذات الأركان الأربعة في المساحة التي أقيم عليها الهيكل القديم في دمشق ذات أثر في شكل المئذنة .

ويقرر الأستاذ « **بريكز** » أن أقدم مئذنة بقيت قائمة حتى الآن **هي مئذنة المسجد الجامع في القيروان** وأنها بنيت في زمن خلافة هشام بن الحكم (٧٢٤ ـ ٧٤٣م) . وأنه لو صح أن كانت البروج الأربعة المربعة في المسجد الأموي بدمشق هي أول المآذن المستخدمة لهذا الغرض ، فليس هناك ما يدعو أن يُنسب أي مسجد بسيط البناء إلى ذلك الطراز حتى وإن كان هذا المسجد هو مسجد القيروان البسيط في بنائه أو غيره ، **فالمئذنة تؤدي وظيفة دينية ، عولجت بأبسط الطرق ، وأكثرها صراحة** .

كانت المئذنة في العهد الأول بسيطة خالية في أغلب الأحيان من الزخرف ، ولم تصل إلى ما وصلت إليه من الدقة والارتفاع إلا في القرون المتأخرة ، فاحتوت على الشرفات الرقيقة ، والبواكي الزخرفية ، والسطوح القاشانية ، حتى جعلت عالم الآثار « **فرغستون** Fergusson » ينطق بقوله :

« ... **إنها أعظم الأبراج رشاقة في عمارة العالم كله** » .

هــــوامش :

(١) من المستشرقين المتخصصين في فن العمارة العربية ، كان استاذاً في جامعة اكسفورد . وهو صاحب كتاب « فن العمارة الإسلامية في مصر وفلسطين » طبع باكسفورد ١٩٢٤م .

استطلاع

البنوك الإسلامية

تجربة رائدة لحماية الفقراء وتحقيق التكافل الاجتماعي

■■ ضعف العالم الإسلامي وانتقصت أطرافه ، وكثر الطامعون بموارده وخاماته ، الراغبون باستعباد شعوبه ، وقد اشتد ذلك وبلغ الأوج في القرن التاسع عشر الميلادي . . . وتسلل البلاء الحقيقي إلى البلاد مع غزو رؤوس الأموال الأجنبية للدولة العثمانية التي جاءت على شكل قروض ربوية ، استتبعها احتلال عسكري صليبي ، وتسليم لأنظمة الحياة الغربية في شتى مجالات الحياة ـ عدا زاوية الأحوال الشخصية ـ هذه الأنظمة الوضعية التي تقوم أساساً على الفصل بين الدين والدنيا مع التظاهر باحترام العبادات!!! . . .

وكان للأجهزة المصرفية وشركات التأمين الغربية في تلك الفترة دور رئيس وفعال ، جردت الأمة من المال بامتصاصه بعد أن أصبح معظم المسلمين يتنفسون الربا حتى تخدرت أجسامهم ، وأضحوا لا يجدون تداوياً من الربا إلا به ، تماماً كما يفعل شارب الخمر « وداوني بالتي كانت هي الداء » ، وكان الربا من أشد أسلحة الخصوم فتكاً ، فهو يغري بالكسب من أي وجه كان هذا الكسب ، ولو من أحط وجوه الاستثمار « الاتجار بالرذيلة والمخدرات وما إلى ذلك » ويرهق الفقير بحرمانه من الائتمان والمؤازرة فلا يجد سبيلاً إلى كسب القوت إلا بقبول العمل الصغير ، ومن حول فرص العمل أحكمت الحلقات ، فمراكز التوجيه والمسؤولية مكفولة لخصوم الإسلام ظاهرين أو مستترين . . . (الفائدة ـ الربا ـ هي الثمن الذي تدفعه الصهيونية العالمية لجمع المال والتحكم بالسيولة الدولية ، فاليهود كانوا أول من أنشأ البنوك الربوية ثم تبعهم النصارى فالمسلمون) ■■

وتدهورت الأوضاع المادية ، واستقدم الخبراء الأجانب والمراقبون الماليون ، وشدد الدائنون قبضتهم على مالية كل بلد « مصر في عهد الخديوي إسماعيل مثلاً » فزاد الوهن ، وأصبحت الأمة تابعة خاضعة للأنظمة الاقتصادية التي وضعها هؤلاء الخبراء !! في السر والعلن ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل انتهى بتقدم قوات الاحتلال الأجنبي ـ الانكليزي والفرنسي ... ـ لتفرض الاستعباد والذل .

الهزيمة الفكرية . . .

ولم يقف الأمر عند حد الهزيمة المادية ، بل كان أدهى من ذلك وأمر ، عندما بدأت بوادر الهزيمة الفكرية تطفو على السطح وبدأ بعض المضبوعين بالغرب يحاول أن يجد متكأً يبرر بواسطته الواقع الاقتصادي السيء الذي يقوم

بقلم : اسماعيل الكيلاني

● متابعة جادة لنشاطات البنوك الإسلامية ●

● لجنة العلماء : الالتزام بالضوابط الشرعية ●

على الحرام « الربا أو الفائدة » ..

من صور التبرير .. من يقول : إن الربا الذي حرّمه الله عز وجل هو ربا الجاهلية (النسيئة) ، وهو ما يتصل بالعقد الثاني لا الأول ، وصورته : **كان أهل الجاهلية يسلفون ، فإذا جاء وقت الأداء ، ولم يتمكن المدين من قضاء ما عليه ، قال له صاحب الدين : إما أن تقضي وإما أن تربي ... فالفائدة في العقد الأول ليست محرمة ، ولكن التحريم لحق العقد الثاني ..**

ومنهم من قال : إن الربا الذي حرمه الله عز وجل هو ربا الأضعاف المضاعفة استناداً إلى قوله تعالى في سورة آل عمران :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

ومنهم من قسم الربا إلى نوعين :

○ **ربا إنتاجي اعتبره مباحاً .**

○ **ربا استهلاكي لقضاء الحاجات الضرورية ، اعتبره حراماً .**

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، ولكن بعضهم قام بتشكيل اتحاد ليس له هدف إلا ترويج الربا بين المسلمين ، وأصدر هذا الإتحاد مجلة لتحقيق هدفه الخبيث [**انظر كتاب : الإسلام والربا ، لانور إقبال القرشي : ٧**] .

نستطيع بعد هذا كله أن نقول : **إن أول الإثم وأكبره كان إيداع الأموال المسلمة بين أيدي خصوم الإسلام نتيجة ضعف العقيدة أو** الانحراف والزيغ عنها ، ومن أجل إرضاء الشهوات وقضاء الوطر ... لأن هذا الإيداع جرَّد المسلمين من أدوات النشاط الاقتصادي ، ووضعها في أيدي المرابين الذين يستخدمونها في استنباط موارد الثروة وإقامة المصانع وغير ذلك مما يقع بأيدي خصوم الإسلام ، فتكون حرباً على المسلمين ...

والفائدة ـ الربا ـ هي المخدر الذي يستنام به أصحاب الأموال كي يظلوا في نعيم الانتظار إلى عام جديد ، أما أموالهم ، وكم تربح ، وما تضفيه من جبروت على من جمعوها ، فهذه أمور لا يعرض لها بالحديث عمداً أو جهالة ... بل على العكس فقد رأينا في العشرات الأخيرة من السنين ، حين عم البلاء كل بلاد المسلمين ، كيف ضاعت مواردهم ، ورفعت أيديهم عن بقية أموالهم ، ولم يكن من العسير بعد ذلك أن شردوا من أرض آبائهم وأجدادهم ، فنحن كما يقول الدكتور عيسى عبده رحمه الله في كتابه « **بنوك بلا فوائد** » :

(... نأكل الربا ، ونسلم أموالنا إلى خصومنا ، فتتركز السيولة الدولية في أيديهم ، وتكون لهم من أسباب القوة والغلبة ، وتكون هذه الحال من أسباب الذلة لنا ، مع أن المال مالنا ، أو هو مال الله جل شأنه استخلفنا فيه ، فما عرفنا معنى الخلافة ، ولا عرفنا حقها !!) .

محاولات التأصيل الذاتي الفكري

أمام هذه النكبات والمآسي والهزيمة الفكرية ، وضمن معركة المواجهة الفكرية والتأصيل الذاتي قام بعض علماء المسلمين بمقاومة الفكر الوافد ، وإحياء موات النفوس ببيان وجه الحق والعدل ، وجلاء تعاليم الإسلام وتشريعاته التي ارتضاها الله عز وجل لسعادة البشرية وفوزها ، فكانت الكتابات الفذة في هذا الموضوع التي أعادت الحق إلى نصابه .. [**كتابات المودودي ـ محمد عبدالله دراز ـ محمد ابو زهرة ـ عيسى عبده رحمهم الله ، وغيرهم حول بيان ماهية الربا واضراره وحرمته**] .

وكانت المقررات التي أجمعت على تحريم الفائدة (الربا) بكل أنواعها وأشكالها : (مجمع البحوث الإسلامية الثاني بالقاهرة ـ مؤتمر الفقه الإسلامي بالرياض ـ المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي بمكة المكرمة ...)

وبرز نفر من المسلمين المتخصصين في علم الاقتصاد قدموا دراسات اقتصادية بحتة عن خطورة الربا من الناحية الاقتصادية على المجتمعات التي تتعامل به ، ودللوا بالبرهان القاطع أنه كان وراء الأزمات العالمية ، وأن الأنظمة الاقتصادية الوضعية التي تقوم عليه أفلست وعجزت عن تلبية احتياجات البشرية ... وأصبح هؤلاء أشد حماساً لتحريم الفائدة ومنع التعامل بها ومقاومتها ... خاصة وأنهم يعلمون أن البنوك الربوية (**دعامة الاقتصاد الغربي**) لم تظهر يوم قامت على أيدي يهود لتضع خدمة المجتمع هدفاً لها أو غاية تسعى لتحقيقها ، **وإنما جاء ظهورها نتيجة نزعة فردية تقوم على الاتجار بالأموال للإثراء من خلالها ، فالربح الشخصي هو الهدف الأساسي من قيامها** ، لذا كان الحرص على الحرية المطلقة للفرد في أن يحافظ على مصالحه ، ويعمل على تحقيق أهدافه الخاصة فحسب ، من هنا لم تهتم هذه البنوك الربوية بماهية المشروع ، أو دوره الذي سيؤديه في المجتمع بمقدار اهتمامها بما سيحققه لها من فوائد ربوية ... وهم قد خبروا أيضاً أن المال المستدان بالربا ليس همه أن ينشىء أنفع المشروعات للناس ، بل أن ينشىء أكثرها ربحاً ، ولو كان في ذلك الإتيان على المجتمع من قواعده وتدمير معنوياته ، وما نتج عن ذلك من سيطرة رأس المال على السياسة وتحكمه بها وتسييرها وفق هواه ، ومن مزيد ثراء لقلة طاغية إضافة إلى مزيد من الاستغلال ، ومن تكوين التجمعات الاحتكارية العالمية (**الكارتل ـ التروست**) إلى جانب انتشار الفقر والبطالة والتضخم المالي الذي يجأر من ويلاته العالم الغربي ، وقد **حاولت البلدان التي أخذت بالنظام الشيوعي من خلاله أن تتغلب على سيئات الواقع الرأسمالي ، فعالجت الانحراف بانحراف مثله ، ولم يستطع البديل الشيوعي أن يخلص العالم من ويلات النظام الراسمالي**

البنوك الإسلامية

استطلاع

وأصبحت الدولة في هذا النظام هي المستغل الوحيد للأفراد، وواجبها أصلاً أن تكون هي الحامية للفرد من الاستغلال، فجاء استغلالها له بدل استغلال القلة الرأسمالية بعد أن سلبته حريته، ونزعت ملكيته، وأصبحت معاناته في ظل هذا النظام كمعاناته في سابقه ...

البدائل الشرعية ...

ثم جاءت المرحلة التالية، وهي محاولة تقديم البدائل الشرعية، لأن الله عز وجل لم يحرم شيئاً إلا بين ما يقابله من حلال ﴿ **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ﴾ وبدأت الكتابات النظرية حول هذه البدائل، يضعها علماء متخصصون بالعلم الشرعي والقانون المقارن، وعلماء اقتصاد مسلمون، يؤكدون فيها ضرورة إنشاء **بنوك بلا فوائد**، يمكن أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر، ما كتبه في هذا المجال: **الدكتور عيسى عبده، والدكتور غريب الجمال** رحمهما الله، وما كتبه **الدكتور محمد عزيز** من الباكستان، **والدكتور أحمد النجار، والدكتور سامي حمود وغيرهم** ... إضافة إلى بيانهم زيف المقولة بأن الربا ضرورة لابد منها، لأن الاقتصاد دعامة البنوك، والبنوك أساسها الفائدة: **وأوضح هؤلاء تطلع البشرية إلى نظام اقتصادي جديد لا تحتكر فيه الثروة ووسائل الإنتاج لحساب طبقة معينة**، ولا يسلب فيه الأفراد حقوقهم، ولا تنزع أملاكهم، لا يقوم على مبدأ النفعية والربحية المطلقة، كما لا يسمح لأصحاب الثروات في أن يسيطروا على الضعفاء ليحولوهم إلى أدوات لجمع المال والثروة ...

بديل يعطي الجميع ولا يحرم أحداً، يقوم على التكافل الاجتماعي بين الجميع، فيوجد شعوراً بالمحبة والتعاون بدل الحقد والضغينة وصراع الطبقات واستغلال حاجات الآخرين ... وهذا كله لا يتوفر في أي من النظامين القائمين **(الرأسمالي والشيوعي الاشتراكي)**.

ولم يقف الأمر عند مرحلة التأصيل النظري وبيان البدائل الشرعية، بل تجاوز ذلك إلى محاولة ربط القول بالفعل، أو النظرية بالتطبيق ... فكانت محاولة إيجاد وتأسيس بنوك إسلامية، تطبيقاً عملياً واقعياً للأفكار النظرية التي عرضها وبينها وأصّلها هؤلاء العلماء ...

البنوك الإسلامية وشيوع الظاهرة ..

اول محاولة ظهرت إلى الوجود، رغم ما لاقته من معارضة وحرب يومها، كانت سنة ١٩٦٣م وتمثلت ببنوك الادخار في مصر، إلا أن مصيرها كان التعطيل ... ثم أعقبت ذلك بعض المحاولات في باكستان، ثم في مصر مرة أخرى سنة ١٩٧١م، بعد ذلك جاءت المحاولة الرسمية التي تمثلت بتأسيس البنك الإسلامي للتنمية بالسعودية سنة ١٩٧٤م.

وفي سنة ١٩٧٥م ظهر بنك دبي الإسلامي الذي كان له قصب السبق في الاستعانة بعلماء الشريعة، ومن نواحي العالم الإسلامي كافة، من أجل ترشيد المسيرة وضبطها بالحدود الشرعية، والمساهمة في تحسينها وتطويرها وتنميتها باستمرار نحو الأفضل، ولتحقيق هذه الغاية كانت دعوته إلى عقد «**مؤتمر المصرف الإسلامي» الذي تم بدبي في الفترة ما بين ٢٣ إلى ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ. الموافق لـ ٢٠ إلى ٢٢ أيار (مايو) ١٩٧٩م**. حيث بلغ عدد العلماء الحاضرين تسعة وخمسين.

وفي سنة ١٩٧٧م تم تأسيس بنك فيصل الإسلامي في السودان، وبيت التمويل الكويتي، وبنك فيصل الإسلامي في مصر.

وفي سنة ١٩٧٨م تأسس البنك الإسلامي الأردني للتمويل والاستثمار، وتتالى بعد ذلك تأسيس البنوك الإسلامية في البحرين وقطر وغيرها ... وأصبحت هذه الظاهرة شائعة داخل العالم الإسلامي وخارجه ...

الغرض من هذه البنوك ..

تقديم البدائل العملية الملتزمة بأحكام الشريعة الإسلامية في مجال المعاملات الاقتصادية، وتخليص المسلمين من الوقوع في المحظورات الشرعية، وتكاد البنوك الإسلامية تتمحور حول نظام المضاربة الذي أرست قواعده الشريعة الإسلامية، وتحقيق التكافل الاجتماعي ..

لذا كان أهم ما يميزها:

- **استبعاد التعامل بالفائدة (الربا) بأية صورة من الصور.**
- **توجيه الجهود نحو التنمية عن طريق الاستثمارات، سواء أجاءت هذه الاستثمارات بطريق مباشر أم غير مباشر ... [يقوم البنك الإسلامي نفسه بتوظيف الاموال التجارية في مشروعات استثمارية تدر عليه عائداً ... او يساهم في راس مال المشروع الإنتاجي بصفة شريك في الملكية والإدارة والإشراف، وفي كل ما ينتج من ربح وخسارة]. وفي كلتا الحالتين تخضع استثماراته ومشاركاته كلها لمعايير الحلال والحرام** ... وهذا يعني توجيه الاستثمار وتركيزه في دائرة إنتاج السلع والخدمات التي تشبع الحاجات السوية للفرد المسلم والجماعة المسلمة، وتحري أن يقع المُنْتَجُ ـ سلعة كان أم خدمة ـ في دائرة الحلال أيضاً، وكذلك جميع مراحل العملية الإنتاجية، وأن تكون كل أسباب الإنتاج ـ نظام العمل والأجور ـ منسجمة كذلك مع ما جاء به الإسلام «**أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه**» والخضوع لمبدأ احتياجات المجتمع المسلم ومصلحة الجماعة قبل النظر إلى الربح الذي يعود على الفرد.
- **ربط التنمية الاقتصادية بالتنمية الاجتماعية نتيجة انطلاقه من التصور الإسلامي في الحياة الذي يقوم على الشمول والتوازن**، حيث لا ينفصل فيه جانب عن جانب آخر ... بل إنه يعتبر التنمية الاجتماعية هي الأساس الذي لا تؤتي التنمية الاقتصادية أُكلها إلا بمراعاته ... وهو في هذا كله يختلف عن البنوك الربوية التي تعتمد طريق تمويل المشروعات بواسطة الإقراض بالفائدة دون أي حرص على مصلحة الجماعة، وإنما انطلاقاً من مصلحة الفرد والحرص على تحقيقها وصيانتها ... لذلك فهي لا تهتم بماهية المشروع الذي تموله بمقدار اهتمامها بالربح أو العائد الشخصي الذي سيلحقها منه ...

لجان الرقابة الشرعية ..

من هنا وجدت في كل بنك إسلامي لجنة للرقابة الشرعية، مهمتها: تقديم المشورة، وإبداء الرأي فيما يحال إليها من مسائل لتقرير جوازها ومدى مطابقتها لأحكام الشريعة ... وتتكون هذه اللجان عادة من علماء وفقهاء جمعوا بين التخصص الشرعي والقانوني والاقتصادي، ويراعى عند تشكيلها أن لا يكون أي عضو من أعضائها من العاملين بالبنك، كما أن الجمعية العمومية لكل بنك إسلامي هي التي تعين أعضاء لجنة الرقابة الشرعية فيه وتحدد مكافآتهم ...

وللجنة الرقابة الشرعية ما لمراقبي الحسابات من وسائل واختصاصات ... كما أن هناك لجنة عليا للرقابة الشرعية للاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، تتكون من رؤساء لجان الرقابة الشرعية بالبنوك القائمة إضافة إلى بعض كبار العلماء والفقهاء بالبلدان الإسلامية ... مهمتها: متابعة أعمال البنوك الإسلامية الأعضاء والتأكد من مطابقتها لأحكام الشريعة الإسلامية .. ولها أن تنظر فيما يتقدم به أي مسلم في شأن ما يراه

تجربة رائدة لحماية الفقراء وتحقيق التكافل الاجتماعي

من مدى شرعية أعمال أي من البنوك الإسلامية الأعضاء في الاتحاد .

وما يصدر عن هذه اللجنة تلتزم به البنوك الإسلامية كافة المنتمية للاتحاد الدولي .

من القـــول إلى العمل . .

وهكذا نستطيع أن نقول : **إن ظهور البنوك الإسلامية إلى حيز الواقع محاولة انتقل بها العمل الإسلامي من مستوى الأقوال إلى مستوى التخطيط العلمي الشامل وصناعة المستقبل على هدى وبصيرة من كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله ﷺ ، وإلى ارتباط العلم الشرعي بالواقع التطبيقي** ومجريات الحياة اليومية ليعود ـ إن شاء الله ـ لشريعة الله عز وجل أن تحكم مسيرتنا وأساليب تعاملنا جميعاً وفي شتى مجالات الحياة ومناحيها المختلفة .. لذا كان من الضروري أن يلتقي ، وعلى فترات غير متباعدة ، دائماً المتخصصون بالعلم الشرعي مع رجال المال والاقتصاد المسلمين لتبادل الرأي والمشورة ، وللعمل الدائب في سبيل ترشيد هذه المسيرة حتى لا تضل الطريق ، وضبطها بالأساليب والوسائل الشرعية ، ولفحص أعمال البنوك الإسلامية القائمة فعلاً ، وبحثها بحثاً مستفيضاً من حيث سلامة هذه الأعمال ، والتحقق من نفعها الأكيد للجماعة المسلمة ، ومطابقتها لما جاءت به أحكام الشريعة الإسلامية ...

ونستطيع أن نعتبر **المؤتمر الأول للمصرف الإسلامي الذي انعقد بدبي عام ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ، والذي أكد فيه المؤتمرون من علماء الشريعة ورجال المال والاقتصاد ثقتهم في أن السلوك الذي تنتهجه البنوك الإسلامية ، وكذلك التطبيق الذي تلتزم به خليقان بأن يصححا المسار الاقتصادي للأمة المسلمة ، وما تفرضه عليهم تعاليم دينهم الحنيف ، وما ترتاح إليه ضمائرهم وقلوبهم خطوة على طريق الترشيد والتطوير والنمو باستمرار نحو الأفضل إن شاء الله ...**

المؤتمر الثاني للمصرف الإسلامي

جاء انعقاد المؤتمر الثاني للمصرف الإسلامي في دولة الكويت خلال الفترة الواقعة من ٦ إلى ٨ جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ (٢١ ـ ٢٣ آذار [مارس] ١٩٨٣م) بدعوة مشتركة من البنوك الإسلامية التالية : **بيت التمويل الكويتي ـ بنك دبي الإسلامي ـ بنك البحرين الإسلامي ـ الشركة البحرينية الإسلامية للاستثمار .**

ونستطيع أن نلمح من خلال الكلمات التي ألقيت عند افتتاحه ، والأبحاث التي عرضت ونوقشت أثناءه ، والتوصيات التي اتخذت الأهداف التي يسعى المؤتمر لتحقيقها .

فقد افتتحه السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية نيابة عن ولي العهد بكلمة جاء فيها قوله :

« ... **إن ما حدث من فجوة في الصيغ والأساليب وضع على عاتق القادرين واجباً فورياً هو إعادة عرض المبادىء الشرعية ، وتجديد الصلة بين المبادىء والواقع لا لغرض البحث المجرد وحده ، ولكن بهدف التطبيق العملي ...**

وإذا كان العالم مشغولاً في هذه الفترة بالبحث عن نظام اقتصادي جديد ، فإن العالم الإسلامي على وجه الخصوص ، ليتطلع إلى مثل مؤتمركم لوضع الحلول الناجعة لمشكلاته الاقتصادية على ضوء من عقيدته ومبادئه الإسلامية بما يحقق تضامن المسلمين وتكافلهم ، وينشر الخير في ربوع المعمورة ... » .

ثم ألقى السيد **أحمد بزيع الياسين** رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر ، ورئيس مجلس إدارة بيت التمويل الكويتي كلمة جاء فيها :

« ... **إن هذا الاهتمام بمسيرة البنوك الإسلامية ينبع من حرص القائمين عليها والمهتمين من فقهاء المسلمين بتوفير البديل غير الربوي للمعاملات المالية السائدة . وأن يتاح للمسلمين الحصول على الخدمات المصرفية واستثمار أموالهم بعيداً عن شبهة الربا الذي حرمه الإسلام ...**

إنه من الواجب علينا ، كمسلمين نعمل في المجال الاقتصادي ، أن نسعى إلى بذل الجهود والتعاون في سبيل دعم أسس الاقتصاد الإسلامي وفقاً لما أملته علينا الشريعة الإسلامية الغراء حتى نرضي الله عز وجل ونتجنب ما يمر به الغرب اليوم من أزمات اقتصادية واجتماعية ، وننير الطريق للسائرين فيه ..

إن هذا المؤتمر ما هو إلا خطوة في هذا الطريق الذي تم اختيار موضوعاته بما يحقق بحث الأمور الملحة التي تتعلق بالبنوك الإسلامية بصفة خاصة والاقتصاد الإسلامي بصفة عامة ... » .

وتم في هذا المؤتمر عرض الأبحاث التالية من قبل أصحابها وناقشها الحاضرون :

- **الربا وأثره على المجتمع الإسلامي .**
- **منهج الدعوة إلى مفاهيم المصارف الإسلامية .**
- **أسلوب المضاربة الشرعية وتطبيقاته المعاصرة .**
- **أعمال الصرف وتبادل العملات وأحكامها في الفقه الإسلامي .**
- **نظرة إسلامية إلى الأسواق المالية والسلعية .**
- **البيوع في الشريعة الإسلامية .**

وأعقب ذلك عرض نشاطات البنوك الإسلامية التي مضى على مباشرتها العمل المصرفي مدة لا تقل عن سنتين ماليتين ، للتأكد من عدم وجود أية أعمال تخالف الالتزام الأساسي للبنوك الإسلامية باجتناب الربا في كل أشكاله وحالاته ، سواء في نطاق الديون أو البيوع ، خاصة في مجالات التعامل بالعملات والذهب والفضة ، وللمساهمة في محاولة إيجاد صيغة ، ووضع قواعد من شأنها توحيد الأعمال الممارسة في البنوك الإسلامية ...

وتميز المؤتمر بوجود لجنة من العلماء الثقات للتحكيم فيما اختلف فيه أثناء المناقشات ، ولتكون المرجع في الخلافات الشرعية ، وقد قامت هذه اللجنة بعد ذلك باستعراض الأفكار التي طرحت في الأبحاث والدراسات المقدمة والمناقشات حولها ، وأصدرت في نهاية المؤتمر الفتاوى والتوصيات التالية بالإجماع إلا فيما يتعلق بالمواعدة على بيع المرابحة ، فقد كانت التوصية بشأنها بالأغلبية :

من الفتاوى والتوصيات . .

وكان من أهم هذه الفتاوى والتوصيات :

- **أكد المؤتمر أن ما يسمى بالفائدة في اصطلاح الاقتصاديين الغربيين ومن تابعهم هو من الربا المحرم شرعاً .**
- **أوصى المؤتمر أصحاب الأموال من المسلمين بتوجيه أموالهم أولاً إلى المصارف والمؤسسات والشركات الإسلامية داخل البلاد العربية والبلاد الإسلامية ، ثم في خارجها وإلى أن يتم ذلك تكون الفائدة التي يحصلون عليها كسباً خبيثاً . وعليهم استيفاؤها والتخلص منها بصرفها في مصالح المسلمين العامة . ويعتبر الاستمرار في إيداع الأموال في البنوك والمؤسسات الربوية مع إمكان تفادي ذلك عملاً محرماً شرعاً .**
- **كما أوصى بتشجيع المصارف الإسلامية القائمة ، وتعميق التعاون فيما بينها ، ولا سيما في مجال إنشاء مصرف إسلامي دولي يسهل ابتعادها عن التعامل مع البنوك الربوية كلما أمكن ذلك .**
- **لا يحل تبايع الذهب والفضة والنقود بعضها ببعض إلا بالتقابض الفوري ، ويكون التبايع في هذه الأصناف على أساس التسليم الآجل هو من الربا المحرم شرعاً .**
- **أجاز المؤتمر أخذ العربون في عمليات المرابحة وغيرها بشرط أن لا يحق للمصرف أن يستقطع**

البنوك الإسلامية
تجربة رائدة لحماية الفقراء وتحقيق التكافل الاجتماعي

استطلاع

منه إلا بمقدار الضرر الفعلي المتحقق من جراء النكول ، كما أوصى بتأسيس مؤسسات إسلامية للتأمين التعاوني ..

- **وأوصى الجامعات الإسلامية والعربية بضرورة تدريس الاقتصاد الإسلامي ، وإنشاء المزيد من مراكز أبحاث الاقتصاد الإسلامي .**

من صور الربا المعاصر ..

في ضوء التوصيات السابقة نرى لزاماً علينا من باب التواصي بالحق أن نحذر إخواننا المسلمين في كل مكان من أن يقعوا في أي صورة من صور الربا المعاصرة ، وعلى الأخص فيما يكاد يكون إجماعاً ، ومن أبرز هذه الصور ، صورتان :

الأولى : ما يسميه الاقتصاديون بالفائدة ، أخذاً أو عطاءً ، فكما قال عليه الصلاة والسلام : « **الآخذ والمعطي فيه سواء** » .

الثانية : وهي من الصور التي انتشرت حديثاً في بعض بلدان المسلمين ، ولها أسواقها العالية ، وهي : البيع الآجل للعملة ، حيث يرتبط الأجل في تلك الأسواق بمعدل الفائدة الربوية ...

البنوك الإسلامية في الميزان

بالرغم من أنه لم يمض على تأسيس هذه المؤسسات ذات الصبغة الإسلامية مدة طويلة ، فإنها قد حققت نتائج ذات دلالة واضحة ، فقد استنبطت أنواعاً من المعاملات المالية تعتبر جديدة على البنوك الربوية مثل : عمليات المرابحة والمضاربة ، والمشاركة التي تتم جميعها في ظل أحكام الشريعة الإسلامية ... كما أنها حققت نجاحاً منظوراً ، وتطوراً كبيراً نستطيع تبينه بكل وضوح فيما يلي :

في نهاية عام ١٩٧٦م كان مجموع ميزانية بنك دبي الإسلامي مائة مليون درهم ثم أصبح في نهاية عام ١٩٨٢م خمسمائة مليون درهم ، وخلال هذه الفترة أيضاً تضاعفت ودائع الاستثمار تسع مرات .

أما بيت التمويل الكويتي فقد بلغت أصوله ثلاثمائة وواحداً وخمسين مليوناً ومائة وأربعة وثلاثين ألف دينار كويتي ، وبلغت أرباحه حوالي خمسة وعشرين مليون دينار كويتي ، ووزع على المساهمين أرباحاً تقدر بثلاثمائة وتسعة وستين ألفاً ومائة وأربعة وأربعين ديناراً كويتياً ...

أما بنك فيصل الإسلامي في مصر فقد بلغت أصوله خمسمائة وثمانية وثمانين مليوناً وثمانمائة وسبعين ألف دولار أمريكي عام ١٩٨١م . وحقق أرباحاً قدرها اثنان وثلاثون مليوناً وثلاثمائة وواحد وثمانون ألف دولار ، ووزع أرباحاً على المساهمين قدرها مليونان وثمانمائة وثلاثة وثلاثون ألف دولار ...

ومن الجدير بالذكر أن الاقتناع بفائدة وجدوى البنوك الإسلامية لم يقتصر على المسلمين فقط بل تعداهم إلى غيرهم من النصارى العاملين في البنوك الربوية وغيرهم ، فقد وصل عدد غير المسلمين الذين فتحوا حسابات لهم في بنك فيصل الإسلامي في مصر خمسة آلاف عميل ...

ولعل من أهم مؤشرات ثبات هذه التجربة ونجاحها التطور الكبير الذي شهدته بقيام مؤسسة ضخمة ذات اتجاه عالمي « **دار المال الإسلامي** » التي تأسست عام ١٩٨١م برأسمال اسمي قدره بليون دولار كشركة قابضة يملك أسهمها عدة آلاف من الأفراد في عدد كبير من الدول الإسلامية ...

وكذلك رغم أن عمر هذه التجربة لم يتجاوز بضع سنين فقد اقتحمت باب الخدمات الاستثمارية والأكثر مخاطرة ، مثل : الزراعة والتعامل مع صغار الحرفيين مثلاً ، والاستثمار طويل الأجل ، كمشاريع الإسكان ، والمشاريع الصناعية الكبرى ، رغم أن أصولها وودائعها لا تكاد تذكر بالمقارنة مع البنوك الربوية التي تملك رصيداً من الخبرة يمتد عبر أربعة قرون ، وودائع تتجاوز آلاف البلايين ...

هذا النجاح للبنوك الإسلامية جعل بعض البنوك الأوروبية (الربوية) تقتفي أثرها في تطبيق طريقة المرابحة خلال دورة إنتاجية واحدة ، ولتكن سنة مثلاً ، بعد وضع تصور معين للتكاليف وتثبيتها عند مسوى محدد كما يقول الدكتور **محمد فؤاد الصراف** محافظ بنك فيصل الإسلامي بمصر .

الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية

تكون الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية في ٧ رمضان ١٣٩٧هـ . الموافق لـ ٢١ آب (اغسطس) ١٩٧٧م بعد أن تم التصديق على اتفاقية إنشائه ، والتوقيع عليها من رؤساء البنوك الإسلامية القائمة وقتذاك بوصفهم مفوضين عنها ... وفي الاجتماع التاسع لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد بداكار عاصمة السنغال في الفترة ما بين ١٧ إلى ٢١ جمادى الأولى ١٣٩٨هـ (٢٤ ـ ٢٨ نيسان [إبريل] ١٩٧٨م) تم الاعتراف رسمياً بالاتحاد ...

وقد ارتفع عدد البنوك الأعضاء في الاتحاد إلى ٢٣ بنكاً ومؤسسة تمويل إسلامية ... وقد أكد **الدكتور أحمد النجار أمينه العام** ، أن البنوك الإسلامية قد اجتازت المرحلة الأولى بنجاح أكثر وأسرع مما كان متوقعاً ، وتتمثل هذه المرحلة في كسب الثقة ، وإثبات جدارة النظام الاقتصادي الإسلامي ، ووضع أسس التعاون المشترك بين المؤسسات المالية الإسلامية القائمة ، والتمهيد للمرحلة التالية ، وأبرز ملامحها : تنويع الاستثمارات وتعبئة الأموال الطويلة الأجل ، وتأكيد وتوطيد العلاقات مع باقي البلدان الإسلامية غير العربية ، وإعداد الجهاز البشري القادر على تحمل عبء مسؤولية هذه البنوك في المستقبل القريب والبعيد ...

ومما يؤكد نجاح فكرة البنوك الإسلامية ، وارتفاع درجة الاقتناع بها : تزايد عدد ما تلقيناه من طلبات لإنشاء بنوك إسلامية جديدة ، فقد وصل هذا العدد إلى مائة طلب ، لذلك أنشأنا المعهد الدولي للبنوك والاقتصاد الإسلامي ، في مدينة **فماغوستا** بالقطاع التركي من جزيرة قبرص لتخريج الكوادر القيادية القادرة على إرساء دعائم النظام النقدي والمصرفي الإسلامي على أسس سليمة ...

- **وهنا لابد من التذكير بأن هذا الذي ذكرناه لا يعني أن تجربة البنوك الإسلامية تتابى على النقد ، لم ترتكب بعض المخالفات ، ولم تقع في أخطاء ، وليس عليها أي مأخذ ، ولكننا نقول :**

إن تجربة البنوك الإسلامية تجربة رائدة ، جاءت بعد فترة من الزمن حيل فيها بين شرع الله عز وجل وبين أن يحكم معاملات الناس التي وقعت في الحرام وخضعت لأهواء البشر ، ويمكن لكل التجارب الرائدة أن يكون لها أخطاؤها ، وأن تقع في مخالفات غير مقصودة ، وهذه الأمور من طبيعة التجارب الرائدة نفسها ، لكن المهم في الأمر أن تبقى القدرة على التصويب قائمة ، والمتابعة مستمرة بروح ناصحة أمينة مشفقة على التجربة ، راغبة في نجاحها بعد اجتياز العقبات والصعوبات التي تصادفها ...

وبعـــد ، فإنه لابد من التأكيد على ضرورة توفر العنصر البشري (بدءاً من محافظ البنك أو مديره وانتهاءً بأصغر عامل فيه) ، المؤمن بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة ، القادر على حمل الأمانة وتأديتها والتضحية في سبيلها ، المتخصص في مجال عمله ، إضافة إلى وضع السياسات المرسومة والمدروسة في مجال الاستثمار والإدارة والعاملين ، ومتابعتها ، وتجنب الثغرات التي قد تظهر فيها عند وضعها موضع التطبيق ... إن أردنا لتجربة البنوك الإسلامية أن تحقق الأهداف والغايات التي قامت من أجلها : **لنكون بعد ذلك قادرين على تقديم البديل للعالم كله ، البديل الذي يخرج البشرية من شقوتها .. والله الموفق للصواب**

الإسلام والتطعيم المعنوي ضد شدائد الحرب

بقلم: اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ

■■ من المصطلحات المعروفة لدى الجيوش «التطعيم ضد المعركة»، تشبهاً بعملية تطعيم الإنسان بالأمصال لتحصينه ضد الأمراض الوبائية ..

فالمعروف أن الحرب معاناة قاسية شديدة الوطأة على نفس المقاتل وعقله وبدنه، ولا يتحمل هذه المعاناة إلا الإنسان صحيح الجسم والعقل والنفس والذي يتمتع بالكفاءة القتالية وإرادة القتال.

وتتطلب الحرب بالدرجة الأولى قدراً كبيراً من الثبات والصبر والتوازن النفسي، ولقد أثبت التاريخ أن اللحظات الفاصلة بين الهزيمة والنصر تقررها قدرة أحد الجانبين على الصمود والثبات في مواجهة شدائد المعركة أكثر من الجانب الآخر.

من أجل ذلك تُعنى الدول والقيادات العسكرية «بتحصين» رجالها ضد شدائد المعركة بأساليب «التطعيم» التي تستهدف إشعار المقاتلين بأن الحرب ليست نزهة، والتي تجعلهم يشاهدون ويلمسون «قدرا معينا» من شدائدها وضغوطها خلال التدريب والمناورات ... هذا القدر المعين هو المصل الواقي كما ذكرنا. فالتدريب الحديث على القتال ينطوي على مواقف ومشاهد بالغة العنف والقسوة تقرب للمقاتل صورة المعركة الحقيقية بحيث إذا دخل المعركة فعلاً وواجه مواقفها فلن يكون تأثيرها عليه بالقدر نفسه الذي يقع على غيره ممن لم يتم «تطعيمهم» ■■

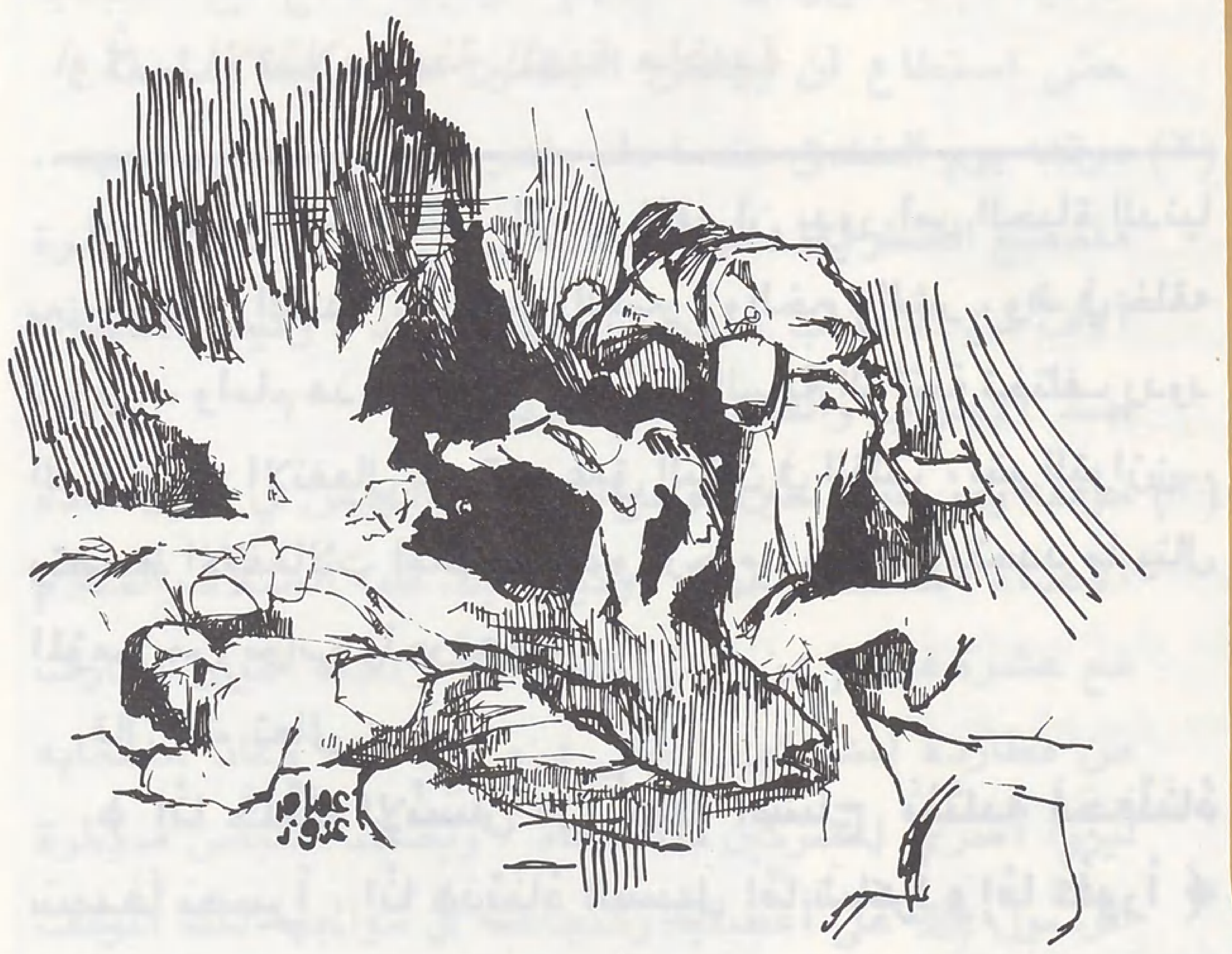

لكن مع كل هذا الاهتمام من جانب الدول فإن أساليبها للتطعيم ضد شدائد الحرب قاصرة على تحقيق أهدافها المرجوة، يدل على ذلك تلك النسبة الكبيرة من الجنود الذين يصابون بالاضطرابات العصبية والنفسية التي يطلق عليها العلماء «عصاب الحرب» مثل الهستيريا والقلق والوساوس والأمراض النفسية الجسدية أو (السيكوسوماتية) والانهيار العصبي، وكل ذلك بسبب ضعف قدرة أولئك الجنود عند تحمل شدائد الحرب.

ويدل على ذلك أيضاً ما أظهرته بعض الأبحاث التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية ونشرت في كتاب بعنوان «علم نفس المقاتل» من أن الأفراد عندما يواجهون الخطر بصورة مباغتة في المعركة فإن الذين يستطيعون الاحتفاظ بقواهم النفسية والعقلية ويملكون القدرة على التصرف الإيجابي السريع لا يزيدون عن ربع القوة، أما

الإسلام والتطعيم المعنوي ضد شدائد الحرب

الباقون (ثلاثة أرباع القوة) فيصابون بالذهول والارتباك وقد يقبعون في أماكنهم أو يلوذون بالفرار دون أن يعوا ما يفعلون ..

المدرسة الإسلامية ...

ومهما ذهب المفكرون والباحثون شرقاً أو غرباً بحثاً عن نظرية تحقق لهم ذلك الهدف ويحصنون بها جنودهم ضد شدائد المعركة أو عصاب الحرب فلن يصلوا إلى ما في منهج الإسلام من أساليب فعالة وبالغة الدقة والإحكام جعلت من المسلمين في صدر الإسلام قوماً لا يقهرون وجعلت صفحات تاريخهم خالية من حالات الجبن أو الفرار أو موالاة الأعداء .

والسر في تفوق المنهج الإسلامي هو أنه لا ينتظر أن يشب الفتى ثم يدخل الجيش فيبدأ في معالجته بأساليب التطعيم ضد الشدائد كما هو الحال في النظم المعمول بها في الجيوش ، بل إنه يتناول الفرد منذ نشأته أي في مرحلة بناء شخصيته وتربيته السلوكية حتى إذا اشتد ساعده وحمل السلاح دخل المعركة وهو قادر على مواجهة شدائدها وقهرها ، لأن تلك القدرة كامنة في وجدانه وتشكل ركناً كبيراً في تكوينه النفسي والاجتماعي .

أولاً - الابتلاء سنة إلهية ماضية :

فقد مضت سنة الله تعالى في خلقه أن يدور أمر الحياة الدنيا بين الرخاء والشدة ، واليسر والعسر ، والخير والشر ، ولله في خلقه شؤون ، وأمام هذه الحقيقة القائمة والسنة الدائمة تختلف ردود الفعل وآثار الانفعال ، وبقدر عمق اليقين في القلب ، يتم التوازن ، وتضبط الانفعالات أمام الشدة والرخاء ، وبالتالي يتحدد ما ينال المؤمن من ثواب وأجر عظيم .

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ، إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾ (الإنسان : ٢-٣) .

(نبتليه : أي نختبره بالخير والشر ، ونختبر شكره في السراء وصبره في الضراء ، وقيل : نبتليه أي بالتكاليف ...) .

وقال جل شـأنه :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (الملك : ١-٢) .

فالإنسان في حياة الدنيا إلى موته في وضع الممتحن والمختبر والمبتلى الذي قد يخفق في امتحانه واختباره وابتلائه ، وقد ينجح فيه : في حياته أمام المغريات التي تجذبه نحوها ، وهي الخير والنعم ، ويوضع كذلك أمام الشدائد والأزمات التي تثير اليأس وفقدان الأمل ، وهي الشر والفقر والحرمان . وهو إذ يوضع أمام الخير والنعم يطلب منه ألا يطغى بخير الله ونعمه من مال وأولاد وجاه ورياسة في قومه ، كما يطلب منه أن يراعي حق الآخرين معه في الحياة ، كما يرعى حق ذاته من هذه النعم والخيرات سواء بسواء . وإذ يوضع أمام الشر والمصائب والفقر والحرمان ، يطلب منه الصبر وعدم اليأس من رحمة الله ، كما يطلب منه أن يرعى من معه في وجوده ، فلا يشيع بينهم الجزع والقلق وعدم الثقة في تدبير الله .

وفي سنة النبي ﷺ توجيهات جلية ، وتحذيرات واضحة من أن الابتلاء ماض في الخلق بما يحبون وما يكرهون ، ووجوب الشكر على النعمة والصبر والرضا عند البلاء ، ليظفر أهل النعم بالمزيد ، وأهل البلاء بالأجر والغفران : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى ما عليه خطيئة** » . (رواه الترمذي والحاكم) .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إن أعظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط** » (رواه ابن ماجه والترمذي) .

ثانياً - توقع الشـدة :

وشاءت حكمة الله تبارك وتعالى أن يربي روح الصبر في المجاهدين بحملهم على توقع الشدة والأذى والبلاء كما وقع لغيرهم من المؤمنين قبلهم ، حتى إذا نزل بهم لم يكن مفاجئاً لهم ، كما يفهم من قوله سبحانه في ذلك :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة : ٢١٤) .

ذلك أن توقع الشدة يسهل احتمالها عند وقوعها ، فينبغي على الذين يتقدمون للحرب أن يدرعوا دائماً بالصبر والإيمان ، فإن الصبر يكون معه النصر ، والإيمان يشد العزيمة ويقوي الاحتمال ، فلا يتخذ القتال هزواً ولعباً ، ولا يفهم المقاتل أنه ما دامت معه أسلحته فإن النصر معه ، لأن الأسلحة مهما يكن فتكها قد تتحطم في يد من لا يستطيع حملها ، أما الإيمان فهو القوة الدائمة التي تدفع إلى العمل ، ولا تمل ولا تتحطم ، ولا يمكن أن تنالها أيدي الأعداء ، وهو الذي يجدد الأسلحة ، والأسلحة لا تجدد القلوب ، ولا تدفع الوهن .

ثالثاً ـ المعاناة أمر مشترك بين المتحاربين :

وفي مجال إعداد المقاتل لتحمل مشاق المعركة يوضح الإسلام ناحية هامة جداً هي أنه إذا اشتد القتال فلا يصح أن يتصور أنه وحده الذي يعاني من شدته بل عليه أن يعلم أن عدوه أيضاً يعاني مثلما يعاني ، وأن الصمود والثبات هما السبيل إلى النصر كما يفهم من قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ (النساء : ١٠٤) .

وتعاليم المدارس العسكرية الحديثة تتضمن مبدأ يتصل بهذا المعنى وهو : « حين تشترك في معركة عنيفة ، وحين يصبح موقفك سيئاً ، فلابد أن تدرك أن موقف عدوك سيء بالدرجة نفسها ، فإذا لم تستسلم أولاً فإن العدو سوف يستسلم ، وإذا صمدت في اللحظة الحرجة ، انقصم ظهر العدو » ...

لكن التوجيه القرآني في الآية الكريمة لا يربي في المجاهدين روح الصبر والثبات من خلال تذكيرهم بأن أعداءهم يتألمون كما يتألمون فحسب ، بل انه يوضح لهم أنهم « يمتازون » على هؤلاء الأعداء بأنهم يرجون من الله إحدى الحسنيين : النصر أو الجنة ، بينما الأعداء لا يرجون ذلك لأنهم كفروا به سبحانه ، فليس لهم في فضله طمع .

رابعاً ـ الإيمان بالقدر ورحمة الله ولطفه ...

والإيمان بالقدر يهون على المؤمنين البلاء ، إذ يعرفون أن ما ينزل بهم من مصائب ليس ضربات عجماء ، ولا خبط عشواء ، ولكنه وفق قدر معلوم ، وقضاء مرسوم ، وحكمة أزلية وكتابة إلهية ، فيؤمنون بأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم ، يقول الله تعالى :

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (الحديد : ٢٢) .

ويعرف المؤمنون أن من صفته تعالى أن يقدر ويلطف ، ويبتلي ويخفف ، يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (يوسف : ١٠٠) .

ويعرفون أيضاً من لطف ربهم أن هذه الشدائد دروس قيمة لهم ، وتجارب نافعة لدينهم ودنياهم تنضج نفوسهم وتصقل إيمانهم وتذهب صدأ قلوبهم ، وأن من مظاهر هذا اللطف والرحمة الإلهية ما عرفه أحد السلف حين قال : **« وما أصبت في الدنيا بمصيبة إلا رأيت لله فيها ثلاث نعم : أنها لم تكن في ديني ، وأنها لم تكن اكبر منها ، وانني أرجو ثواب الله عليها »** ... وتلك نعم تلابس كل مصيبة في دنيا الناس ، جديرة أن تشعر المؤمن بشعور الشكر لله فضلاً عن الرضا بقضائه والصبر على بلائه .

خامساً ـ التوازن النفسي والسيطرة على الأعصاب :

والإسلام يربي المجاهد على السيطرة على أعصابه في مواجهة الشدائد وخاصة تلك التي يكون لها صفة الصدمة والمباغتة حتى يظل محتفظاً بثباته وتوازنه النفسي الذي يمكنه من قهر الأزمات والصدمات التي ينهار أمامه غيره وهو ما يرشد إليه الرسول ﷺ في قوله : « إنما الصبر عند الصدمة » ...

ولقد قدم الرسول عليه الصلاة والسلام بنفسه القدوة المثلى في التوازن النفسي والسيطرة على الأعصاب ، وقد حفلت سيرته ﷺ بصور أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة في هذا المجال في أشد المواقف حرجاً في السلم والحرب معاً ... ومن هذه المواقف على سبيل المثال ما يلي :

(١) موقفه يوم أحد وقد شعر بتطويق المشركين له ولبعض أصحابه من كل جانب نتيجة لمخالفة الرماة ، حماة ظهره ، لتعليماته بألّا يبرحوا أماكنهم ، وكيف كافح مع أصحابه حتى استطاع أن يخلص المسلمين من هزيمة ساحقة .

(٢) موقفه يوم الخندق عندما علم بغدر اليهود ونقضهم للعهد ، فأصبح الخطر يهدد قوات المسلمين من خارج المدينة بعشرة آلاف من الأحزاب ، ومن داخلها باليهود ، وكيف استطاع صد الأحزاب والقضاء على اليهود .

(٣) موقفه يوم حنين حين فوجيء بوقوع الجيش في كمين أعده الأعداء ، فشتت صفوفه ، وكيف ثبت عليه الصلاة والسلام مع عشرة فقط (من اثني عشر ألفاً) تجاه التيار الجارف من مطاردة المشركين ، حتى هزم أعداءه ، وعاد أصحابه ليروا أسرى المشركين بالأصفاد ، ويصف العباس سيطرة الرسول ﷺ على أعصابه وشجاعته في مواجهة ذلك الموقف الخطير ويروي كيف أنه عليه الصلاة والسلام كان يركض ببغلته نحو الكفار ، فيقول : **« وأنا آخذ بلجامها أكفها ألا تسرع ، وكان ﷺ يركض ببغلته إلى العدو ينوه باسمه فيقول : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ... »** .

والحق أن ما حفل به تاريخ معارك عصر النبوة من مواقف يتصدع منها قلب أشجع الشجعان ، واستطاع الرسول القائد ﷺ أن يقهرها ، هو مدرسة كاملة لتحصين المسلمين ضد الشدائد .

الزجّاج وكتابه :

عالم الكتاب

□□ لا يزال التفسير اللغوي فصلاً غير مستوفى في مكتبتنا العربية ، ولا يزال في تراثنا التفسيري عديد من كتب التفسير اللغوي في حاجة إلى من يحققها ويشرحها ، أو على الأصح نحن في حاجة إليها محققة مشروحة ، لأنها تمدنا بالتفسير واللغة في وقت واحد ، إننا منذ أواخر القرن الماضي ، ومنذ ظهرت بيننا المطابع واتجهنا إلى بعث تراثنا العلمي أحيينا كثيراً من كتب التفسير القرآني وكثيراً من كتب النحو ، ولم نتجه إلى كتب التفسير اللغوي ، وكنا نقرأ في كتب التفسير آراء كبار النحويين واختلافاتهم في توجيه الآيات القرآنية لغة وإعراباً ومعاني فنكتفي بهذا النقل .. □□

ولا ندري إن كانت هذه الآراء عرضت في كتب التفسير أو كتب النحو ، أو ربما لم يخطر ببالنا أن لهؤلاء كتب تفسير ، وكان من عجيب الأقدار أن معظم كتب التفسير اللغوي كانت مفقودة أو ناقصة ، وكان الحصول على نسخة كاملة من كتبها يستدعي مجهوداً كبيراً ومشقة ، ونحن لا ننسى أنه فضلاً عما أصاب تراث المسلمين العلمي من الإغراق والإحراق في الشرق والغرب ، من التتار في بغداد والفرنجة في إسبانيا ، نقل السلطان سليم العثماني مكتبات مصر إلى الآستانة ، فكنا في عصر الطباعة نتصيد نسخ الكتاب وأجزاءه من هنا وهناك فلا يتيسر كماله إلا بمشقة ، واتجهت العناية إلى التفسير الخالص ولم تتجه إلى تفسير اللغويين .

وقد كان **المستشرقون أبرَّ منا بهذه المكتبة التفسيرية فبذلوا جهداً في استنساخ أو نقل ما علموا من كتبها ، ولكن لم يكن من الميسور لهم شرحها وتحقيقها لعجزهم عن شرح الآراء النحوية أو قواعد اللغة والبلاغة ، وهذا أمر طبيعي لهم إذ هم غرباء عن العربية ، وأذكر أني ذكرت مرة أمام المستشرق الانجليزي الكبير** « آربري » أن زميله « **جولد زيهر** **ـ المستشرق الهولندي المجري ـ** فاته حين عرض طرق التفسير الإسلامي أن يتحدث عن كتب التفسير اللغوي : فقال : إنه لم يتركها عن غفلة ولكنه يدرك أنه لا يستطيع فهم هذه الكتب ثم الحكم عليها وعرضها ، ومع ذلك جمعوا منها ما لم نجمع .

وخطا الأستاذ **فؤاد سزكين** الخطوة الجادة الأولى حين أخرج كتاب « **مجاز القرآن** » **لأبي عبيدة ـ معمر بن المثنى ـ محققاً مشروحاً ، وساعده على عمله ما في مكتبات الآستانة من مخطوطات**[1] ، **وبعد ذلك بمدة طويلة عهدت دار الكتب المصرية إلى ثلاثة من علماء اللغة والنحو بمصر بتحقيق كتاب** « **معاني القرآن** » للفراء ، فأخرج في ثلاثة أجزاء ، ثم هيأت لي المقادير والعناية الإلهية أن أعثر على نسخة كاملة ، أو مجموعة من المتفرقات التي تكون نسخة كاملة من كتاب « **معاني القرآن وإعرابه** » الذي نحن بصدده .

وقد كان للأخ الوفي المخلص لدينه **الدكتور** (**لنجس** Lengs)[2] ، فضل لا أنساه له في مساعدتي للحصول على هذه النسخة ، فجزاه الله عن الإسلام والعربية كل خير ، وقد كان (حين كنت أنا بانجلترا) مديراً للقسم الشرقي من المتحف البريطاني ، واستطاع بحكم منصبه أن يتصل بعدة جهات حتى اكتمل الكتاب كله ، وصور لي ما في المتحف منه بأجر زهيد ، ومن تقدير هذا المجهود أن **الدكتور نكسون** مدير الدراسات الشرقية في جامعة لندن إذ ذاك ، ذهب إليه بنفسه ليشكره ، واحتفظ للمدرسة الشرقية الأفريقية بصورة منه ، وقال : إننا ننتظر تحقيقك ، وكان معه زميل له (**هو الذي شارك في مناقشتي يوم امتحاني**) أبدى رغبة قوية أن أشاركه في إعادة تحقيق كتاب

بقلم : الدكتور عبد الجليل شلبي

معاني القرآن وإعرابه

الفراء ، وكان قد صدر منه جزءان ، لا أدري لماذا لم يسترح لهما ، وكان قد ألقى بنفسه في مغامرة لعلها الأولى من مستشرق ، وهي : تحقيق وشرح « **إعراب القرآن** » لأبي جعفر النحاس ، ولست أدري ما فعل بعد ، ولكن هذا يعكس صورة مصغرة من عناية المستشرقين بكتبنا اللغوية ؛ وقد كان لعدد من اللغويين والنحويين كتب تفسيرية كلها تحمل اسم « **معاني القرآن** » ولم يحقق منها فيما أعلم غير هذه الكتب الثلاثة .

وقد نال كتب التفسير اللغوي حظ الأديب كما يقولون ، هذا مع أن أصحابها أخرجوها وهم في ثراء وبحبوحة من العيش ، **فالدكتور سزكين** بعد أن أخرج كتاب « **مجاز القرآن** » ونال به درجة الماجستير ، ولّى وجهه شطر حقل آخر غير هذا الحقل ، أما عن كتاب الفراء ومحققيه ، فقد أخرج ثلاثتهم أول أجزائه ، ومات واحد منهم عقب إخراجه ، وأخرج الآخران الجزء الثاني ، ومات واحد منهم أيضاً ، وأخرج العضو الثالث آخر الأجزاء ، وأدركه الموت بعد إخراجه .

وأما كتاب الزَّجَّاج الذي أنفقت في سبيله ما أنفقت من الجهد والمال فقد قيَّض القدرُ لنصَبي وَوَصَبي ـ كما يقول **الحريري** ـ أن طلبه **الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله** شيخ الأزهر الأسبق لينشره ضمن سلسلة من التراث كان يقوم بنشرها على نفقة أحد المحسنين ، فقد ظهر جزءان من الكتاب في طبعة مشحونة بالأخطاء ، إذ لم أكن في هذا الوقت بالقاهرة ، ولم أشرف على تصحيحه ، ثم نفد المبلغ المرصود ووقف الكتاب عند هذا الحد ، وما زالت الأجزاء الباقية تنتظر من ينفق عليها لإخراجها ..

المؤلف

وأود قبل الحديث عن الكتاب أن أذكر لمحة من حياة مؤلفه ، فهو **أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل** ، غلب عليه لقب **الزَّجَّاج** ، لأنه كان يحترف خراطة الزجاج ، وقد وصفه مترجموه بالتقوى والورع وحسن الخلق ، وكان حنبلي المذهب ، وحين حضرته الوفاة سئل عن عمره فعقد أصابعه يشير أن عمره سبعون عاماً ، وهو توفي سنة ٣١١هـ ، وكان آخر ما نطق به « **اللهم احشرني على مذهب أحمد بن حنبل** » ، وهو عصامي في نشأته وتعليمه ، كان كسبه من خراطة الزجاج درهماً ودانقين ، أو درهماً ونصف الدرهم ، وهو كسب ضيق جداً ، ولكن نفسه تاقت إلى درس النحو فانضم إلى حلقة ثعلب ـ **أبي العباس أحمد بن يحيى** ـ وهو كوفي كان قد نزح إلى بغداد ، ولما قدم **المبرد** ، وهو بصري ، استولى على لب **الزَّجَّاج** وشاقه أن يدرس عليه ، ولكن **المبرد** لم يكن يدرس إلا بأجر ، ولا أجرة إلا على قدرها ، وكان دخل **الزَّجَّاج** كله لا يكفي لشيء ، فطلب من **المبرد** أن يعلمه أحسن تعليم على أن يدفع له درهماً واحداً كل يوم ما امتدت حياتهما ، سواء احتاج لتعلم أو استغنى ، وقبل الأستاذ الطلب وبر التلميذ بالعهد .

وأعجب **المبرد** ذكاؤه وعلمه وجده فكان يخصه بنصائح علمية ، وربما رفض إلقاء الدرس إذا غاب ، ثم زكاه لدى ذوي الثراء والجاه ليكون معلماً لأولادهم ، فكان ذلك فاتحة رزقه ، ثم اختير معلماً **للقاسم بن عبيد بن وهب** ، وزير المعتضد ، وكان القاسم وزيراً أيضاً بعد أبيه ، وكان يحابي أستاذه **الزَّجَّاج** ولا يقبل أوراقاً إلا بخطه .

وعُرِف **الزَّجَّاج** بذكائه وعلمه ، وكان له من ذلك دخل واسع وثراء ، وحين أراد المعتضد شرحاً وتبسيطاً لكتاب « **جامع النطق** » الذي عمله له مجبره **ابن النديم** عرضه على إمامي النحو **ثعلب والمبرد** ، فأبدى كل منهما اعتذاراً ، وقام **الزَّجَّاج** بهذا العمل ، فأعجب الخليفة ، ونال **الزَّجَّاج** من ورائه رزقاً وشهرة .

الكتاب

أما كتابه « **معاني القرآن وإعرابه** » فقد أخرجه وهو في قمة نضجه ، وبعد أن اكتمل علمه وأصبح ذا مذهب نحوي وآراء خاصة به في الإعراب واللغة ، شرع في كتابته سنة ٢٨٥هـ ، وأتمه سنة ٣٠١هـ ، فاستغرق تأليفه ستة عشر عاماً .. وهي زمن طويل ، ويبدو أنه كان يمليه ويُدَرِّسُه ، كما يبدو أنه درَّسه غير مرة ، وهو أهم كتاب قامت عليه شهرته .

امتاز هذا الكتاب عن أخويه ـ **مجاز**

□ خطا فؤاد سزكين الخطوة الجادة الأولى حين أخرج كتاب «مجاز القرآن» لأبي عبيدة معمر بن المثنى محققاً مشروحاً ..

□ استغرق تأليف كتاب معاني القرآن ستة عشر عاماً ..

أبي عبيدة ، ومعاني الفراء ـ ببسط تفسيراته اللغوية وإفاضته في بيان أوجه الإعراب ، وبتعرضه لمسائل أخرى غير لغوية ، فقد تحدث بإفاضة عن الميراث وعن الطلاق والوصية ، ودفع آراء الرافضة والمشبهة ، ووضح مذهب أهل السنة .

وكان له رأي في الاشتقاق طبقه في هذا التفسير ، فهو يرى أن الكلمات التي تشترك في كل الحروف أو معظمها لابد أن تكون لها جميعاً معنى أساسي أصيل تدور كل معانيها عليه ، وقد طبق هذا المبدأ في تفسيره ، فلدى كل كلمة لغوية في القرآن يبدأ بشرحها ، ثم يبين المعاني المتفرعة من المادة الأصلية ، والصلة التي تربط الفروع بالأصل ، فيقول مثلاً : **الصلاة من الصلوة : وهي مؤخر البعير أو الفرس ، وهي ضد الجلوة ، وهي مقدم الشيء ، ومن هنا سمي السابق مجلياً ، وسمي الذي يليه مصلياً ، أي : تابعاً للمجلي ولاحقاً له ، ويقولون : صلاه ، أي : تبعه ولحقه ، وصلى النار : دنا منها ، وصلوه الجحيم : ألحقوه بها .. وهكذا ، والحق أنه بارع جداً في هذا التحليل ، كما هو موفق في اختيار الشواهد الشعرية التي يؤيد بها شرحه ، وبهذا كان كتابه قاموساً لغوياً واسع الجوانب شرحاً وشواهد .**

أما في **الإعراب** فهو حريص على إعراب الكلمات التي بها غموض ، وحين يعرب الجملة بين الأوجه العديدة المحتملة التي يمكن أن تكون عليها ، ويبين وجهة كل إعراب ، والمعنى الذي تنتهي إليه : فإذا كان ثم قراءة ذكرها ، وإذا لم تكن قراءة قال : **هذا وجه إعرابي ، ولكن لا تقرأنّ به إلا إذا ثبتت به قراءة صحيحة .**

وفي بحثي عن أصول شواهده الشعرية ومراجعها والمناسبة التي قيلت فيها لاقيت متاعب ومشقة ، **ولكنها كانت ذات فائدة كبيرة .**

وللزَّجَّاج بجانب منهجه اللغوي وقفات في معارضة الملحدين وذوي المذاهب الشاذة ، كما أن له وقفات فقهية لا يشرح فيها مذهباً ، ولكن يشرح وجهة الفقه الإسلامي ، وهي ليست مستفيضة ، ولكنها تنم عن مذهبه وعقيدته .

وفي حديثه عن **الإعجاز القرآني** لم يعن بالجانب البلاغي ، ولم يلتفت إلى ما في الآية القرآنية من حسن التعبير أو جمال التركيب أو اختيار اللفظ ، **وهذا ما لا ينتظر من رجل اللغة والنحو ، ولكنه ـ على نحو ما يفعل المبرد في كامله ـ يوضح المعنى المستفاد من التركيب ، ويوضح الفرق بين التعبير القرآني ، والتعبير الذي كان يمكن أن تكون عليه الجملة لو قدم فيها اللفظ أو أخر ، أو جيء بكلمة غير التي جاءت .**

وجانب آخر عني به وهو إخبار القرآن عن القرون الخالية والأمم الماضية ، وحديثه عن الكتابيين ، ذلك أن **رسول الله** ﷺ أمي ، لم يقرأ كتاباً ولم يجلس إلى معلم ، فإخباره بهذه الأحداث لا يكون إلا من قبل الوحي ، وهو من أدلة رسالته وصدق دعواه النبوة ، وقيمة الكتاب الكبرى ومنهجه الأساسي هو المنهج اللغوي الذي نال به مكانته بين المفسرين واللغويين ، حتى إننا نجد بعض كتب التراجم تعرف **الزَّجَّاج** بأنه صاحب كتاب : « **معاني القرآن وإعرابه** » ومعظمها حين تذكر كتبه يضع هذا الكتاب في رأس القائمة التي تسردها ، والمعروف من كتبه لا يتجاوز أربعة عشر كتاباً .

والمفسرون الذين جاؤوا بعد الزَّجَّاج اتخذوا شروحه اللغوية قواعد ثابتة ، فاكتفوا بالرجوع إليها أو نقلها ، ويكفي أن يرجع إليه أمثال : **القرطبي ، والبغوي ، والرازي ، وابن الخازن** : والأمر كذلك عند الأدباء واللغويين ، وقد

☐ المفسرون الذين جاؤوا بعد الزجاج اتخذوا شروحه اللغوية قواعد ثابتة ..

☐ لايزال التفسير اللغوي فصلاً غير مستوفى في مكتبتنا العربية ..

ذكر البغدادي في مقدمة موسوعته « **خزانة الأدب** » أنه اعتمد على تفسير **الزَّجَّاج** واكتفى به ، ونجد أن **ابن منظور** في لسان العرب ينقل آراءه وشواهده في هذا الكتاب نقلاً وينسبها إليه : ولمن شاء أن يرجع إلى ما كتبه في مادة « **سفه** » فهو نقل من هذا الكتاب ، والمشكلة في الآية هي أن الفعل « **سفه** » فعل لازم كفرح وخَجِلَ ، وبهذا يكون نصب « **نفسه** » بحاجة إلى توجيه ، فإما أن يكون الفعل متعدياً ، ونفسه مفعولاً له ، أو يكون لازماً فتكون نفسه .. تمييزاً ، والتمييز لا يكون مُعرَّفاً .

وهناك أيضاً توجيهات إعرابية في بعض المسائل التي تفرقت فيها آراء النحويين ، فنجد الكثيرين يؤثرون رأي **الزَّجَّاج** ، ومع أن هذه المسائل أصبحت غريبة على أبناء هذا الجيل إلا من يعنيهم هذا الدرس النحوي اللغوي ، أوثر أن أشير فقط إلى بعض منها :

ففي الآية الكريمة :

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ﴾ ، نجد المبتدأ اسماً موصولاً لجماعة الذكور ، وهو « **الذين** » ولكننا نجد الخبر جملة فعلية يربطها بالمبتدأ ضمير النسوة « **يتربصن** » .. ـ وكان القياس أن يكون « **يتربصون** » ـ وفي توجيه هذا الإعراب يؤثر الكثيرون رأي **الزَّجَّاج** .

ومثل هذا ما جاء في الآية الأخرى :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ... ﴾ ، وهي مجرد أمثلة أضعها أمام القارىء المتخصص ولا داعي لشرحها ؛ وكل ما أريد هو الإشارة إلى قيمة الكتاب وسر ولع العلماء به وتقديره .

فإذا كان هناك بعد هذا من يتقرب إلى الله بحبس هذا الكتاب فالله وحده حسيبه ، ولست أكافىء أحداً ولا أملك عقاباً .

وأثار هذا الكتاب جدلاً من ناحية أخرى ، فإن « **أبا علي الفارسي** » العالم النحوي اللغوي المشهور ألَّف في نقده كتاباً كبيراً هو كتاب « **الإغفال** » يريد به ما أغفله **الزَّجَّاج** من الشواهد أو الأعاريب : والفارسي تلميذ **الزَّجَّاج** ، تلقى عليه هذا الكتاب وهو في سن مبكرة جداً ، ولم يكتب نقده إلا بعد موت **الزَّجَّاج** بزمن ، وكتابه كبير قيم حقاً ، ولكنه لا يغض من قيمة كتاب **الزَّجَّاج** ، وبعض نقوده لا تتعلق باللغة ولا بالنحو بل هي أدنى إلى أن تكون مصادمات من شاب يريد إظهار شخصيته .

من ذلك أن **الزَّجَّاج** في بداية كتابه شرح البسملة ، ولكنه قال : **إنه تأدباً مع الله تعالى لا يشرح اسم الجلالة ولا يبين اشتقاقه** » فتركه ، فقال **أبو علي الفارسي** :

إنه عندما وصل إلى سورة الحشر وفيها :

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ... ﴾ شرح أسماء الله تعالى ، وأنه لا فرق بين الله والرحمن .. وهذا نقد يتجه إلى شخص المؤلف لا إلى كتابه ، ولكنه ناقشه أيضاً في بعض نقوله عن سيبويه وتوجيهه رأيه ، وفي بعض هذه المناقشات يبدو فعلاً أن **الفارسي** درس كتاب **سيبويه** دراسة أعمق من صاحبه ...

وبوجه عام لا أريد الإفاضة في شرح محتويات الكتاب ، وإنما أردت تعريفاً بكتاب قيم في مكتبتنا العربية ، قدره بعض المستشرقين وبذلوا جهداً مشكوراً لإحيائه وإبرازه للقراء ، وحاربه بعض الشرقيين المسلمين ، وبذلوا جهداً غير مشكور في سبيل إخفائه وحجبه .

هـوامش :

(١) الدكتور سزكين تركي يعيش الآن في ألمانيا الغربية ، وهو مشغول بإخراج موسوعة عن الفكر الإسلامي قد تزيد على عشرين جزءاً ، يتابع عمل بروكلمان ومنهجه في معجمه الكبير .

(٢) الدكتور ، لنجس ، تسمى بعد إسلامه باسم ، أبو بكر سراج الدين ، ـ وقد لاقى في سبيل إسلامه عنتاً كثيراً .

نور من كتاب الله

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَافِرِينَ ، لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (الأنفال : ٧-٨)

شرف الولاية

تزيد مرتبة السلطان العادل على قوّام الليل وصوام النهار ، لأن نفع أولئك لا يتعداهم ونفعه يتعدى ، إذ بنظره يتعبد المتعبدون ، ويسافر التاجرون ، ويشتغل بالعلم المتعلمون ، فكأنه عبد الله بعبادة الكل . . .

قال سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ : صنفان إذا صلحا صلح الناس : السلطان والعلماء . . .

وإن جار السلطان في ولايته فإنه شين لذكره الجميل في الدنيا ، وأعد له العقاب في الأخرى . . . (الشفاء لابن الجوزي)

من أقوال رسول الله ﷺ في الظلم

- الظلم ظلمات يوم القيامة (البخاري) .
- اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب (متفق عليه) .
- رحم الله عبداً كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فجاءه فاستحله قبل أن يؤخذ وليس ثم دينار ولا درهم ، فإن كانت له حسنات أخذ من حسناته ، وإن لم تكن له حسنات حملوا عليه من سيئاته (البخاري) .
- دعوة المظلوم تحمل على الغمام ، وتفتح لها أبواب السماوات ، ويقول الرب عز وجل : لأنصرنك ولو بعد حين . .

(أحمد في مسنده)

جاهلية . . وإسلام !!!

« . . . كان العرب في جاهليتهم على إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم ، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال ، ونُسخت ديانات ، وأبطلت أمور ، ونُقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت ، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت ، فعفّى الآخر الأول ، وشغل القوم ـ بعد المغاورات والتحارب وتطلب الأرباح ، والكدح للمعاش في رحلة الشتاء والصيف ، وبعد الإغرام بالصيد والمعاقرة والمياسرة ـ بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وبالتفقه في دين الله عز وجل ، وحفظ سنن رسول الله ﷺ مع اجتهادهم في مجاهدة أعداء الإسلام . . . فصار الذي نشأ عليه آباؤهم ونشأوا عليه كأن لم يكن . . . . » .

(ابن فارس : الصاحبي)

شرف الدنيا والآخرة :

يروى أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه حج في بعض الحجات ومعه زوجته ابنة قرظة بن عبد عمرو بن نوفل ، فإذا هو بجماعة حول رجل يسألونه ، فبعضهم يقول : رميت قبل أن أحلق ، وبعضهم يقول : حلقت قبل أن أرمي ، ويسألونه عن أشياء أشكلت عليه من مناسك الحج . . .

فقال : **من هذا ؟ قالوا : هذا عبد الله بن عمر . .**

فالتفت إلى زوجته ، فقال : **هذا وأبيك الشرف ، وهذا والله شرف الدنيا والآخرة .**

(جامع بيان العلم وفضله)

القرآن والجانب العقلي :

بينما ينفتح كتاب العهد القديم ، منذ السطر الأول في سفر التكوين ، على عالم الظاهرات المادية ، وينفتح كتاب العهد الجديد في إنجيل يوحنا على عملية التجسيد ، ينفتح القرآن على الجانب العقلي : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ... ﴾ .

اقرأ : هذه الكلمة الأولى التي تفتح إليها أول ضمير إسلامي ، ضمير محمد ﷺ ، وينفتح لها بعده كل ضمير مسلم . . .

إن الحروف هي حقاً أداة النقل للروح ، لكل رسالة ، ولكل بلاغ ، فهي الحامل والرمز لكل معلومة من المعلومات ، فأول ما نزل به القرآن يشير إلى أهميتها ، ويخصص موضوعها بالذكر ، ويرسم في الضمير الإسلامي قيمتها منذ اللحظة الأولى في كلمة « اقرأ » .

إن الحرف ينقل ويبلغ الروح ، في الوقت نفسه يحنطه من الضياع ، وسيحفظ أولاً ، وقبل كل شيء ، القرآن نفسه ، ذلك الكتاب الذي لم يتغير فيه حرف واحد منذ أربعة عشر قرناً على خلاف الكتب الأخرى كلها . .

(مالك بن نبي ـ إنتاج المستشرقين)

رحمة الله وعذابه

جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :

اختصمت الجنة والنار ، فقالت الجنة : مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم ؟

وقالت النار : مالي لا يدخلني إلا الجبارون والمتكبرون ؟

فقال للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء . . .

وقال للنار : أنت عذابي أعذب بك من أشاء .

مراتب المحبـــة . .

المحبة مراتب ، **أولها** : **العلاقة** ، وهي تعلق القلب بالمحبوب .

الثانية : **الإرادة** ، وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له .

الثالثة : **الصبابة** ، وهي انصباب القلب إليه بحيث لا يملكه صاحبه ، كانصباب الماء في الحدور .

الرابعة : **الغرام** ، وهي الحب اللازم للقلب ، ومنه الغريم ، لملازمته ، ومنه : ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ﴾ .

الخامسة : **المودة والود** ، وهي صفو المحبة وخالصها ولبها ، قال تعالى : ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدّاً ﴾ .

السادسة : **الشغف** ، وهي وصول المحبة إلى شغاف القلب .

السابعة : **العشق** ، وهي الحب المفرط الذي يُخاف على صاحبه منه ، ولكن لا يوصف به الله تعالى ، ولا العبد في محبة ربه ، ولعل امتناع إطلاقه أن العشق محبة مع شهوة .

الثامنة : **التَّيم** ، وهي بمعنى التعبد .

التاسعة : **التعبد** .

العاشرة : **الخلة** ، وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه . . .

وقيل في ترتيبها غير ذلك ، وهذا الترتيب تقريب حسن ، لا يعرف حسنه إلا بالتأمل في معانيه . . .

(شرح الطحاوية)

قصة مثل

الحرب سجـــال . .

أول من قاله أبو سفيان يوم أُحد عندما قال : **اعل هبل . . . اعل هبل .**

فقال عمر رضي الله عنه : **يا رسول الله أجيبه ؟** قال : **بلى يا عمر .**

فقال عمر : **الله أعلى وأجل .**

فقال أبو سفيان : **يابن الخطاب إنه يوم بيوم بدر ، وإن الأيام دول ، وإن الحرب سجال .**

فقال عمر : **ولا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار .**

فقال أبو سفيان : **إنكم لتزعمون ذلك ، لقد خبنا إذن وخسرنا !! . .**

(الأمثال العربية ومصادرها في التراث)

القلب السليم

القلب السليم الذي ينجو من عذاب الله هو القلب الذي قد سلم لعبودية ربه حياء وخوفاً وطمعاً ورجاءً ، ففني بحبه عن حب ما سواه ، وبخوفه عن خوف ما سواه ، وبرجائه عن رجاء ما سواه ، وسلم لأمره ، ولرسوله تصديقاً وطاعة ، واستسلم لقضائه وقدره ، فلم يتهمه ولم ينازعه ولم يتسخط لأقداره ، فأسلم لربه انقياداً وخضوعاً وذلاً وعبودية ، وسلم جميع أحواله وأقواله وأعماله وأذواقه ظاهراً وباطناً لمشكاة رسوله ﷺ . . .

(ابن القيم : مفتاح دار السعادة)

الصادق الأمين

إن من تتبع سيرته الشريفة ﷺ ، في حركاته وسكناته ، وعباراته وإشاراته ، في رضاه وغضبه ، في خلوته وجلوته . . . **لا يشك في أنه كان أبعد الناس عن المداجاة والمواربة ، وأن سره وعلانيته كانا سواء في دقة الصدق ، وصراحة الحق في جليل الشؤون وحقيرها** . . . وأن ذلك كان أخص شمائله ، وأظهر صفاته قبل النبوة وبعدها ، كما شهد ويشهد به أصدقاؤه وأعداؤه إلى يومنا هذا . . .

﴿ قُل لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يونس : ١٦) .

(اقرأ مثلاً ما كتبه توماس كارليل الانكليزي في كتاب « الأبطال » ، وما كتبه الكونت هنري دي كاستري الفرنسي في « خواطر وسوانح عن الإسلام » ثم اقرأ شهادة قريش التي سجلها أبو سفيان وهو في الجاهلية بين يدي هرقل عظيم الروم لما سألهم هرقل : **هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟** قال : **لا** ، وسألهم : **هل يغدر ؟ قال : لا . . .**) .

(محمد عبد الله دراز ـ النبأ العظيم)

بقلم : الدكتور حسن المعايرجي

من تاريخ

ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات اليابانية والكورية

□□ لقد كان من دواعي السرور حصولي على مقالة الأخ الياباني المسلم عبد الكريم سايتوه (Abdul Karim Saitoh) والتي نشرها باللغة الانجليزية في (Journal) ، وهي مجلة معهد شؤون الأقليات الاسلامية - جامعة الملك عبد العزيز - جدة ، المجلد الأول العدد الأول (مايو) ١٩٧٩م .. وكانت بعنوان « رحلة الإسلام التاريخية نحو الشرق ومجتمع المسلمين في اليابان في الوقت الحاضر » □□

ومن خلال المقال الممتع في تلك المجلة العلمية الرصينة أشار الكاتب إلى ترجمات معاني **القرآن الكريم** الست إلى اللغة اليابانية ، وأجمع في هذه العجالة ملخصاً لما أتى على ذكره من الترجمات .

وقد أضفت صوراً لبعضها مما هو مجموع لدي من التراجم باللغات المختلفة .

يقول الأخ **عبد الكريم سايتوه** : « **إن أول ترجمة في اللغة اليابانية هي ترجمة (ك . ساكاموتو)** ونشرت في عام ١٩٢٠م وكانت بعنوان (Koran Kyo) ، وكان المترجم بوذياً ، ومعلماً للغة الانجليزية ، وقام بالترجمة نقلاً عن ترجمات (**سال - ورودر - وبالمر - وهوير - وعبد القادر**) وكلها بالانجليزية ، والترجمة في جزئين من الحجم المتوسط ، والمقدمة كتبها المترجم بروح متعاطفة مع الإسلام ، وإن كان قد سقط في خطأ خطير بوضعه صورة لشخص في أول الترجمة كتب تحتها اسم **النبي محمد صلى الله عليه وسلم** ، وقد أعيدت طباعة هذه الترجمة في مطبعة (Kaiz - sha) في عام ١٩٢٩م .

أما الترجمة الثانية فقد ظهرت في اليابان في عام ١٩٣٨م ، وقام بترجمة أغلبها (ج .تكاهاشي Takahashi) ، ولم يكن مسلماً ، وتوفي عام ١٩٣٥م قبل نشر ترجمته ، وقد ساعده أحمد أريجا (Ahmad Ariga) ، وهو ياباني ولد بجوار أوسكا ، وذهب إلى الهند في صباه ، ودخل الاسلام هناك ، وعند عودته لليابان استقر في (كوبي Kobe) ، حيث كان يعمل بالتجارة مع البلاد الاسلامية الجنوبية .

وقد حاول الحصول على إذن من الحكومة ليقوم بالتبشير في أرجاء البلاد ، ولكن طلبه رفض .

والترجمة الثالثة نشرت عام ١٩٥٠م ، وقام بها الدكتور (**س. أوكاوا** Dr S.O. KAWA) ، وكان زعيماً وطنياً ، ولكنه لم يكن مسلماً ، وله مؤلفات أخرى مثل « **دراسات عن الاسلام** » و « **سيرة النبي محمد** » **صلى الله عليه وسلم** .

والترجمة الرابعة قام بها البروفسور (**إزوتسو** Prof. Izutsu) ، وطبعت في (**كايزوشا** Kaizoshi) ، في عام ١٩٤٥م (ولا أدري لماذا وضعت هذه الترجمة في الترتيب عقب الترجمة السابقة مع تقدمها عنها في التاريخ) .

وقد كتبت هذه الترجمة بلغة يابانية فصيحة ، وهي في ثلاثة أجزاء ، وقد أشار **الأستاذ إزوتسو إلى أن القرآن الكريم** لا يمكن في الحقيقة ترجمته إلى أي لغة ، وأن أي ترجمة ما هي إلا تقديم أو تعريف بالقرآن الكريم على أحسن الأحوال ، ولابد من قراءة القرآن الكريم بنصه العربي لمن أراد قراءته حقاً .

وفي الحقيقة إن إشارة الأستاذ إزوتسو تشعرنا بأنه أدرك ما في القرآن الكريم من إعجاز : لغة وتركيباً ومعنى ، وما فيه من حلاوة وطلاوة لا تدركه فيها أي لغة أخرى .

الترجمة الخامسة والتي نشرت عام ١٩٧٠م قام بها (**أو. اكيدا - بان ياسوناري - ك. فوجيموتو**) ، وكانت هذه الترجمة حلقة في سلسلة من ٨١ حلقة من الكتب بعنوان « **الكتب العالمية الشهيرة** » أصدرتها شركة شيو - كوران - شاليمتد (Chuo - Koran - Sha Co. Ltd.) ، وقد ترجمت هذه الترجمة عن طبعة القاهرة للقرآن الكريم عام ١٩٢٣م ، مع تعليق مبسط سهل القراءة للأستاذ (**فوجيموتو**) وهو أستاذ في تاريخ الشرق الأوسط ومدير معهد الدراسات الشرقية بجامعة كانساي في اليابان ، وقد تفضل بإهدائي نسخة من هذه الترجمة ، وقد فوجئت بوجود العديد من الصور المنتشرة في الترجمة ، وهي عبارة عن (**٨٧ صورة**) لأماكن تاريخية ، مثل : غار حراء ، والكعبة المشرفة ، والمدينة المنورة ، وأربع خرائط ورسوم توضيحية ، وقد أرسلت للأستاذ (**فوجيموتو**) في حينه أنبهه إلى أن هذه الترجمة هي ترجمة معاني لكتاب نزل به الوحي ولا داعي لإضافات ليست في الأصل العربي ، وذلك إن تحرينا الأمانة العلمية .

أما الترجمة الأخيرة أو السادسة فقد نشرت عام ١٩٧٢م ،

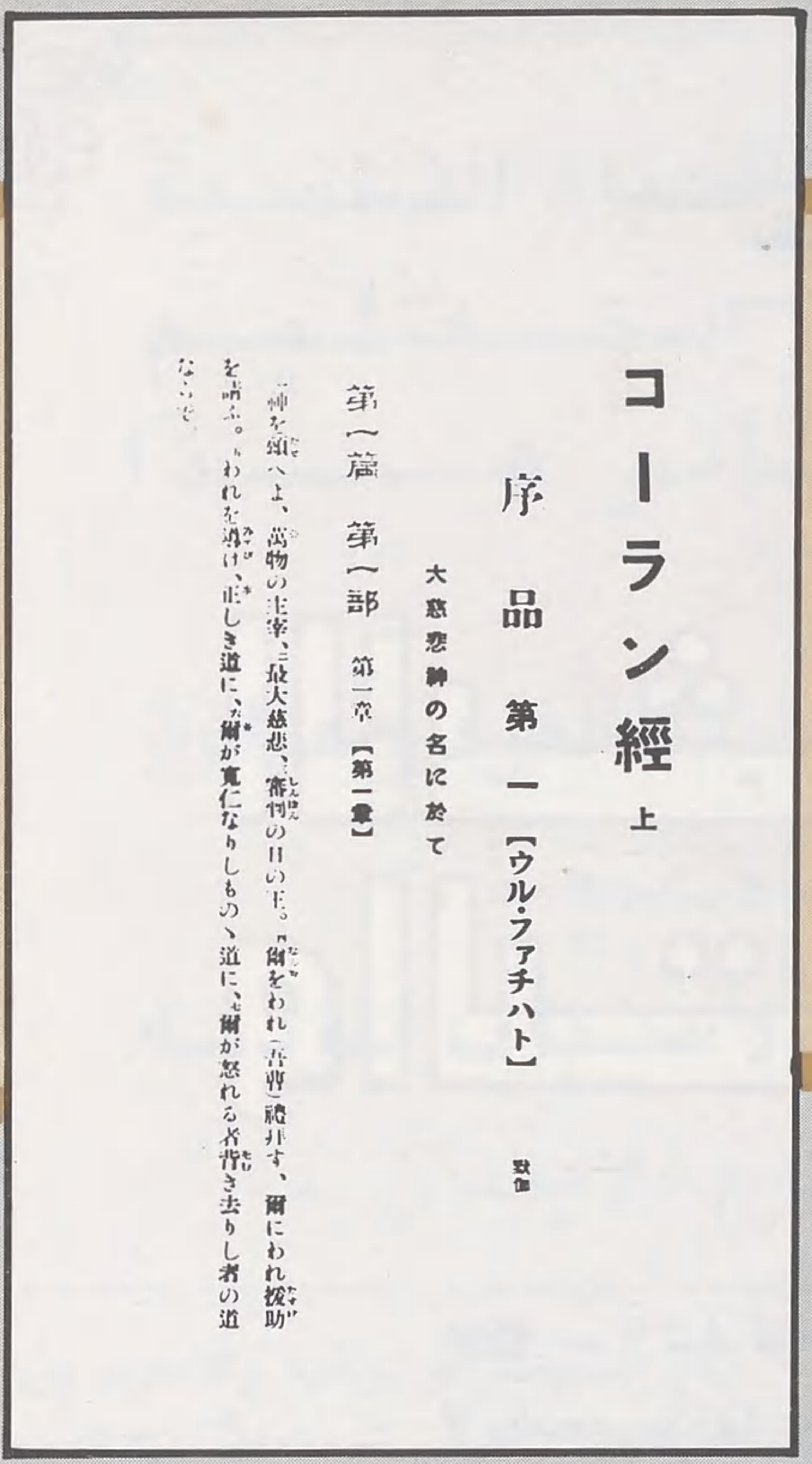
コーラン經 上

序品 第一 【ウル・ファチハト】

大慈悲神の名に於て

第一篇 第一部 第一章 【第一章】

神を讃へよ、萬物の主宰、最大慈悲、審判の日の王。爾をわれ（吾曹）禮拜す、爾にわれ援助を請ふ。われを導け、正しき道に、爾が寛仁なりしものゝ道に、爾が怒れる者背き去りし者の道ならで。

■ ترجمة معاني سورة الفاتحة باليابانية ، ساكاموتو .. ■

■ القرآن الكريم ساكاموتو ١٩٢٠م ■

وقام بالترجمة كاملة لأول مرة أحد المسلمين ألا وهو الحاج (**عمر ميتا**) ، والذي أتم الترجمة في اثنتي عشرة سنة من العمل الشاق الدؤوب ، والترجمة في (**٧٥٨ صفحة**) وملحق بها النص العربي (وإن كانت النسخ الموجودة لدي من هذه الترجمة خلو من النص العربي) . ويستمر صاحب المقال في القول : إن النص العربي يقع في نصف الصفحة الأيمن وتقابله الترجمة اليابانية والشرح ، وأسلوب الترجمة تقليدي رصين ، يحاول توصيل المعنى القرآني للقارىء الياباني واضعاً كل جهده لبلوغ هذا الهدف .

والحاج (**عمر ميتا**) ولد في (**ياماجوشي Yamaguchi**) ، عام ١٨٩٢م وبعد تخرجه من جامعتها عمل موظفاً في شركة سكك حديد منشوريا بالصين ، وبقي يعمل مدة ثلاثين سنة ، ودخل الاسلام عام ١٩٤١م في بكين ، وعاد إلى وطنه عام ١٩٤٥م ليعمل مع منظمة مسلمي اليابان في طوكيو ، وقد دعي في عام ١٩٥٧م لزيارة الباكستان ، وأدى فريضة الحج عام ١٩٥٨م ، واختير رئيساً للمنظمة عام ١٩٦٠م ، ودعي إلى مكة المكرمة ليتفرغ لإتمام ترجمته التي انتهى منها عام ١٩٦٥م ، حيث عاد إلى وطنه وظل يراجع ترجمته ، ثم كون لجنة من ستة أشخاص لمراجعة عمله ، وفي النهاية نشرت عام ١٩٧٢م ، وطبع منها (**٥٠٠٠ نسخة**) .

وجاء في نهاية ترجمة **الحاج عمر** الملحوظة التالية :

هذه الترجمة اليابانية للقرآن الكريم وحواشيها كتبها **الحاج عمر ميتا** ، وهو ياباني مسلم ، وذلك بدعم من رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة ، وقد طبعت ونشرت في اليابان بمعرفة مسلمي اليابان وذلك في سبتمبر ١٩٧٣م .

وهناك مشروع لإعادة طبع ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة اليابانية (ترجمة الحاج عمر ميتا) ، مراعين في هذه الطبعة الجديدة التبسيط إلى درجة تكون في متناول الجميع من مسلمي اليابان .

وقد استغرق هذا المشروع عامين ونصف العام من الإعداد ، وستكون عدد النسخ المطبوعة من هذه الطبعة الجديدة (**٥٠ ألف نسخة**) وستطبع على نفقة جلالة الملك خالد بن عبد العزيز - رحمه الله - ملك المملكة العربية السعودية ، وباهتمام من رابطة العالم الاسلامي أيضاً .

الترجمة باللغة الكورية ...

- د. عثمان كيم يونج سن رئيس قسم اللغة العربية - جامعة هانكوك - سيول كوريا الجنوبية والذي درس لمدة ثلاث سنوات بجامعة القاهرة ، والذي زار جامعة قطر هذا الشتاء قام بنشر ترجمة باللغة الكورية عام ١٩٧١م ، وهي مترجمة عن اليابانية ، عن الترجمة التي أصدرتها شركة شيو - كوران - شاليمتد بعنوان الكتب العالمية الشهرية . وبما أن هذه الترجمة (**أي اليابانية**) كانت حافلة بالصور فقد صدرت الترجمة الكورية حافلة بالصور أيضاً ، ولكن بعد دخول الأخ الكريم **كيم يونج سن الإسلام** عكف على ترجمة جديدة نشرت في فبراير (شباط ١٩٨١م .. وقد استعان في هذه الترجمة ببعض التفاسير باللغة العربية كتفسير المنار كما استعان بترجمة يوسف علي الانجليزية وجاءت الترجمة في (٧٣١ صفحة) من قياس (١٥ر٥ × ٢١ر٥سم) وهي مطبوعة طباعة جيدة على ورق رقيق ولم يطبع بها النص العربي ، والترجمة مقدمة في صفحة واحدة .

ويقدر عدد المسلمين في كوريا الجنوبية الآن بـ (٢٥ر٠٠٠) نسمة ، وقد دخل الاسلام كوريا أثناء الحرب الكورية بين الشمال والجنوب ، عندما اشتركت في هذه الحرب قوات من الأمم المتحدة منها : الكتيبة التركية التي كان لها إمام يؤم الجنود في الصلاة ، وكانوا يقيمون في معسكر شمالي مدينة سيول ، وكان سكان القرى المجاورة يراقبونهم وهو يؤدون الصلاة في خشوع ، وقد تأثروا فأسلم بعضهم ، ومنهم : **الشيخ محمد يون إمام مسجد سيول المركزي وهو أول من أسلم في كوريا مد الله في عمره** .

بقلم : محمد محمد عيسوي الفيومي

الآثار النفسية والتربوية للصيام

■■ مما لا شك فيه أن للصيام آثاراً عميقة وفوائد جليلة لا يقتصر مداها على الجوانب الجسمية للصائم فحسب بل يتعداها إلى الجوانب النفسية والتربوية للفرد فضلاً عن الآثار الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع بأسره، وإلا لما فرضه الله عز وجل على المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣) ■■

ذلك لأن المتأمل في المنهج الإسلامي يدرك بوضوح أنه يريد الخير للبشرية جمعاء؛ فما من شيء فرضه الله عز وجل على المسلمين إلا وفيه صالحهم، وما من شيء نهاهم عنه إلا وفيه شر لهم. إذ أن الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي يهتم بسلامة الأجسام، اهتمامه بسلامة النفوس والأرواح، ومن سعادة المسلمين الحقة أن دينهم لم يدع شيئاً يمس كيانهم ويحفظ أبدانهم إلا وبيَّنه بياناً شاملاً، وشرحه شرحاً كاملاً، وذلك لتبلغ البشرية ذلك الكمال المنشود.

وإذا كانت أقوى الأجهزة والآلات في عالم الصناعة لا يمكن لها الاستمرار في العمل دون توقف منذ نشأتها وحتى استهلاكها، وإنما تحتاج إلى فترة للراحة والصيانة بين حين وآخر، فإن الجهاز الهضمي يحتاج هو الآخر إلى فترة راحة يستجم فيها، ويجد فرصته في شهر الصيام، فهو بمثابة إجازة سنوية له، فإذا انتهى الصيام فإن الجسم يؤدي وظيفته أكثر نشاطاً ودقة وحيوية: وجدير بالذكر أن الصيام يعد فرصة لتخليص الجسم من بعض الشحوم التي قد تسبب العديد من الأمراض الجسمية للفرد، كالسكر والتخمة وضغط الدم، وأمراض الكلى، وتصلب الشرايين.. وغير ذلك من الأمراض التي يعرفها علم الطب: كما يصاب بالكسل والخمول وتبلد الذهن والإحساس وينخفض لديه مستوى الأداء والذكاء.

ولهذا دعا الإسلام إلى عدم الإسراف في تناول الطعام في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف: ٣١).

وهذه الآية الكريمة تعد معجزة من معجزات الطب الخالدة، فهي تأمر بعدم الإسراف في الطعام والشراب لتجنبنا وتحمينا مما يقع فيه المسرفون من أوجاع وأمراض ووهن وضعف: إن كثيراً من الناس يتوهمون أنهم بتناولهم كمية كبيرة من الطعام يزدادون صحة وقوة، وخفي عليهم أن كمية الطعام الزائدة تسبب لهم عكس ما يرجون، **إن الجسم لا يستفيد من كل ما يلقى فيه من طعام، وإنما يأخذ مجرد كفايته منه**، ثم يبذل بعد ذلك مجهوداً كبيراً للتخلص مما زاد منه عن حاجته، وبجانب هذا تصاب المعدة وسائر الجهاز الهضمي بإرهاق شديد يسلم المرء إلى أمراض معينة تلحق بذلك الجهاز، وقد قال **الحارث بن كلدة** طبيب العرب:

« **إن المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء** ».

أما عن الآثار النفسية للصيام فهي من الكثرة بحيث يصعب حصرها.. غير أننا نوجز بعضها، وأهمها: **تنمية الإرادة**، فإذا كان القلب يمثل أعظم عضلة مسؤولة عن ضخ تيار الدم وتوزيعه على الجسم، فإن الإرادة تشكل أهم عضلة في الجهاز النفسي الواعي للفرد، فهي المسؤولة عن دفع تيار الحياة النفسية للفرد، والإرادة كأي عضلة في الجسم تنمو وتقوى، إذاً فهي تخضع لقوانين التعليم والممارسة والتدريب، وهنا تظهر لنا أعظم قيمة للصوم كأحد أركان العبادة الإسلامية فهو المسؤول عن تدريب الإرادة عند الفرد، **وإذا ما تم تكوين الإرادة وتنميتها كانت إحدى مفاتيح الوقاية النفسية**. كما أنها أكبر وسيلة لاكتساب الثقة بالنفس

- **الإرادة هي المسؤولة عن دفع تيار الحياة النفسية السليمة للفرد وهي تخضع لقوانين التعليم والممارسة والتدريب، ولا يتأتى هذا التدريب إلا بالصوم ..**
- **بالصوم تصبح الأمانة سلوكاً في حياة الفرد وعادة متأصلة ينعكس أثرها على المجتمع ..**
- **إن الفراغ الروحي هو من أخطر الأسباب المؤدية الى الأمراض النفسية وإن سببه عدم الايمان ..**

وهي من دعامات الشخصية السوية، والأساس العلمي هنا يظهر في أن حرمان الإنسان من الطعام مدة أربع عشرة ساعة أو أكثر، وهي حاجة بيولوجية أساسية تجعله قادراً على أن يتحكم في سلوك آخر لأن الحرمان من الأكل أشد أنواع الحرمان.

كما أنه ينمي لدى الفرد عادة الصبر وقوة التحمل، ويجعله أكثر قدرة على ضبط انفعالاته، ويكون لديه روح الأمانة والصدق والإخلاص حيث يكون هو الرقيب على نفسه، وبذلك فالصوم أمانة بين العبد وربه، حيث ورد في الحديث عن **أبي هريرة رضي الله عنه** قال: قال **رسول الله ﷺ**: « **قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به** » [رواه مالك].

وبذلك تصبح الأمانة سلوكاً في حياة الفرد، وعادة متأصلة فيه ينعكس أثرها على علاقته بالمجتمع، فضلاً عما يعتري الصائم من إحساس بالرضى والسعادة عندما يشعر أنه يمتثل لأوامر الله وطاعته، فينعكس ذلك على نفسه بالأمن والطمأنينة ويتخلص من القلق والاكتئاب مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨).

لأن الفراغ الروحي سبب من أسباب الأمراض النفسية، وهو ما أكده علم النفس الحديث، حيث أكدت أبحاث عالم النفس « **كارل يونج** » **أن نسبة كبيرة من المصابين بالأمراض النفسية يرجع أسبابها إلى عدم الإيمان، ذلك لأن الإيمان يكسب المؤمن الأمن والسكينة**، ويؤكد ذلك ما جاء في قوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (الفتح: ٤).

إذ يصبح المؤمن مطمئن النفس في نومه ويقظته، وهو ما تفتقر إليه المجتمعات الغربية حيث يعاني الشباب هناك من القلق والاكتئاب والضياع نتيجة الفراغ الروحي فيندفع إلى دروب من السلوك المنحرف، فيتناول الخمور والأقراص المخدرة لتنسيه جو الاكتئاب والقلق والصراع النفسي المسيطر عليه نتيجة لعدم الإيمان، كما أننا نشاهد انتحاراً بالجملة، كما نرى انتشار بعض الجرائم، وليس أدل على ذلك مما يؤكده المفكر العالمي « **رجاء جارودي** » في تصريحاته من أنه لم يجد حلاً لعديد من المشاكل إلا باعتناقه الإسلام، وصدق الله إذ يقول:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (الصف: ٩).

كما أن الصائم يشعر بالسعادة نتيجة لإحساسه بالرابطة بينه وبين الله عز وجل، وبذلك يؤدي الصوم دور التحصين والوقاية والتطهير من الشوائب التي قد تعلق بالنفس والبدن، وهو ما يؤكده الحديث الشريف عن عبدالله بن مسعود قال: كنا مع النبي ﷺ فقال: « **من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** »، وهنا تتجلى القيمة التربوية للصوم، فهو نوع من العلاج السلوكي الذي يعني تعديل السلوك عن طريق الممارسة وإبدال عادة سيئة بعادة مفضلة.

كما أن في تأدية فريضة الصوم ما يشعر الغني بآلام الجوع التي يعانيها الفقير فيدفعه إلى الإحسان إليه، وبذلك تسود روح المودة والمحبة والألفة والتآزر بين أفراد المجتمع عندما ينال الفقير قدرٌ من أموال الأغنياء، فتطهر النفوس من الضغينة والحقد والكراهية، وينتشر التماسك والتضامن، فضلاً عن تنمية عادة النظام لدى الصائم حيث يتناول طعام الإفطار في وقت محدد، ويكف عن الطعام في وقت معين، وهي عادة محبوبة تسعى إلى تحقيقها كل المجتمعات المتقدمة.

تُرى أي منهج تربوي حديث حفل بما حفل به المنهج الإسلامي من أدب جم وذوق رفيع وخلق قويم ؟!

إنه بحق يحرص على تحقيق العزة والسعادة للفرد والجماعة بل للبشرية جمعاء.

مكتبة الأمة

الكتاب : البغوي ... ومنهجه في التفسير

المؤلفة : عفاف عبد الغفور حميد

الناشر : دار الفرقان ـ الأردن

□□ دراسة علمية منهجية لعلم من اعلام التفسير في القرن الخامس الهجري ، حياته ، منهجه ، طريقته في التفسير ... تتالف من تمهيد وثلاثة ابواب :

ففي التمهيد بيان لعصر المفسر وبيئته وأثر ذلك في شخصيته ونبوغه .

وفي الباب الأول بفصوله الثلاثة ، كان الحديث عن حياته ونشأته ورحلته في طلب العلم ، ومذهبه ، وصفاته واخلاقه . في الأول منها ، وفي الثاني جاء الحديث عن شيوخه وتلامذته وبيان تأثيرهم فيه وتأثرهم به ، ومن ثم تأثيره في الأجيال التي تلته ؛ وفي الثالث كان الكلام على آثاره ومؤلفاته والتي تمثل حصيلة جهده وثمرة طلبه للعلم ...

أما الباب الثاني ، وهو أوسع ابواب الكتاب وأهمها ، فتضمن ثلاثة فصول بعد مقدمة عن تفسير البغوي « **معالم التنزيل** » ودواعي تأليفه ... ففي الفصل الأول منه تحدثت الباحثة عن الأصول التي اعتمد عليها في تأليفه « **معالم التنزيل** » وهي التفاسير المأثورة عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وطرق الأخذ عنهم ، وكتب الأخبار والمغازي ، والقراءات العشر ، ثم الكتب الصحيحة المعتبرة للحديث النبوي .

وفي الفصل الثاني بسطت القول في « **منهجه في التفسير** » فضمنته تفاصيل دقيقة عن تفسير البغوي وكيف أنه جاء معتمداً على خمسة أصول رئيسة هي :

- **الاعتماد على الكتاب والسنة .**
- **الحرص على المأثور من التفسير .**
- **البعد عن البدع ، وقلة الإسرائيليات والموضوعات في تفسيره .**
- **العناية باللغة والنحو والقراءات .**
- **ذكره لقضايا العقيدة والأحكام الفقهية بإيجاز .**

وقد تتبعت الباحثة هذه الأصول في التفسير وقدمت أمثلة

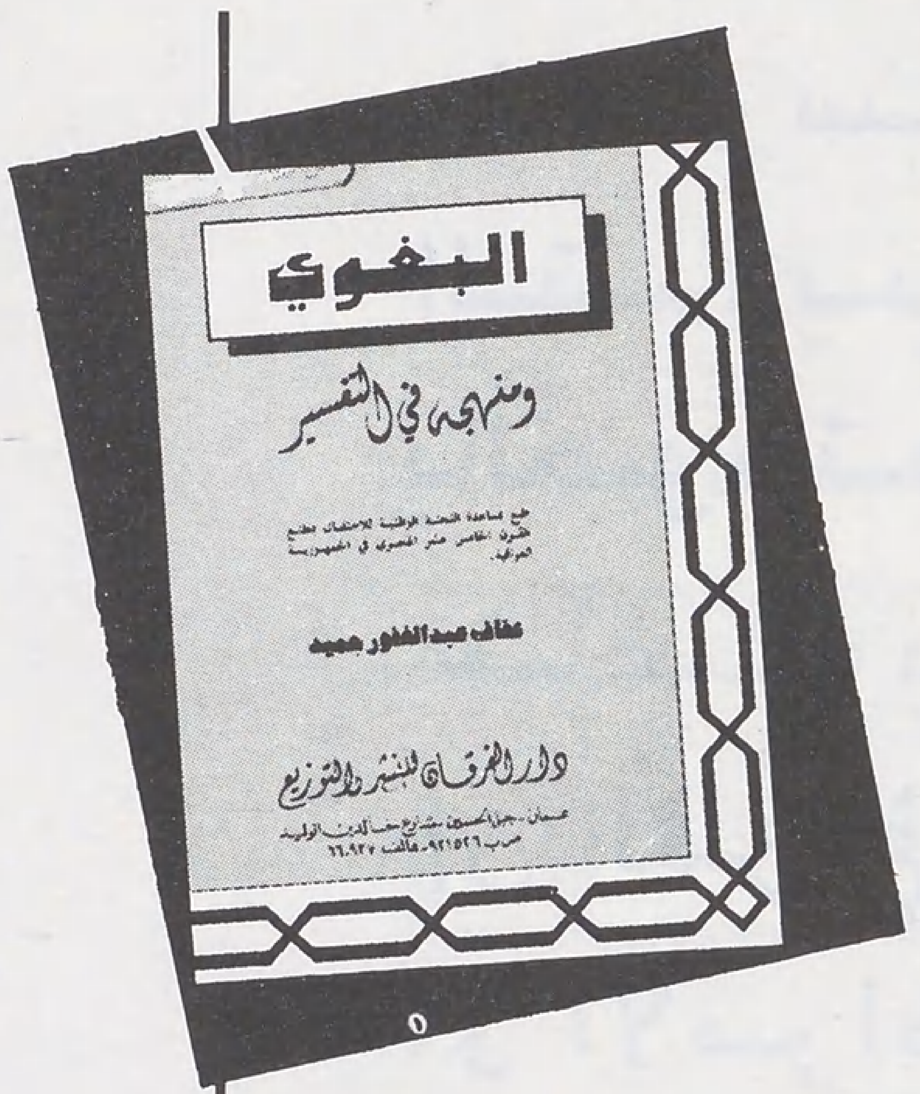

لتدلل صحة استنتاجها هذا .

وفي الفصل الثالث تكلمت عن أهم المباحث في علوم القرآن التي تشكل ركناً مهماً في هذا التفسير .

اما الباب الثالث فقد عقدت فيه الباحثة ثلاثة فصول ، فكان اولها للحديث حول آراء العلماء في البغوي وتفسيره والمآخذ عليه ، وتوصلت إلى انهم جميعاً اثنوا عليه وعلى تفسيره إلا انهم اخذوا عليه مأخذاً واحداً في قضية ما وقع في تفسيره من الاسرائيليات ...

وثانيها للموازنة بينه وبين تفسير سابق له هو : « الكشف والبيان » للثعلبي المتوفى عام ٤٢٧هـ . وتفسير لاحق به هو : « لباب التأويل في معاني التنزيل » للخازن المتوفى عام ٧٢٥هـ . حين كشفت ما كان بينه وبينهما من تطابق واختلاف ، وانه تفسير متميز مستقل وإن كان قد استفاد من الأول وافاد الثاني .

وثالثها للكشف عن ميزة تفسير البغوي وقيمته العلمية ، وقد استندت واستدلت في ذلك بآراء العلماء والدارسين قدماء ومحدثين ، كما وضحت ذلك من خلال التفسير نفسه ...

وفي خاتمة البحث اقترحت الباحثة إعادة طبع « **معالم التنزيل** » بعد تحقيقه تحقيقاً علمياً يتيح المجال للإفادة منه ومن منهجه المتميز الواضح السهل الذي يصلح لمستويات مختلفة من القارئين .. □□

الكتاب : أوليات الفاروق السياسية

المؤلف : غالب عبد الكافي القرشي

الناشر : المكتب الإسلامي ـ بيروت ، ومكتبة الحرمين ـ الرياض

□□ الكتاب في اصله اطروحة تقدم بها مؤلفه إلى المعهد العالي للقضاء في المملكة العربية السعودية للحصول على درجة الماجستير في السياسة الشرعية ، وقد اثنت لجنة المناقشات على الأطروحة واشادت بها ، وشهدت لها بانها اول عمل في ميدان التطبيق العملي للسياسة الشرعية ...

وجاءت هذه الدراسة في مقدمة وبابين وخاتمة ...

فقد احتوت المقدمة الأسباب التي دفعت الكاتب لاختيار هذا الموضوع ، واهميته ، ومنهجه في البحث ، كما بين أن موضوعه جديد لم يُسبق إليه ..

اما الباب الأول فقد جعله من فصلين : قدم في الأول منهما نبذة عن حياة الفاروق رضي الله عنه وصفاته الأساسية من خِلقية وخُلقية ، وكيف ظهر الإسلام بإسلامه ، وأهليته للاجتهاد .

وفي الفصل الثاني : قدم نبذة عن السياسة مبيناً معنى هذه الكلمة لغة واصطلاحاً ، وردّ على من قال : إنها ليست عربية ، واثبت ذلك بالأدلة الصحيحة ، ثم بين معنى السياسة الشرعية عند الفقهاء مرجحاً التعريف الذي ارتضاه ، مشيراً إلى العلاقة بين السياسة الشرعية والفقه ... كما تكلم عن أهم الأصول التي تقوم عليها السياسة الشرعية من المصالح المرسلة ، والاستحسان وسد الذرائع ...

اما الباب الثاني الذي جاء بعنوان : أوليات الفاروق السياسية ، فقد جعله من ستة فصول ذكر في الأول منها أوليات الفاروق في السياسة العامة ، وفي الثاني أولياته في الأحوال الشخصية ، وفي الثالث أولياته في معاملة غير المسلمين او في العلاقات الدولية ، وفي الرابع أولياته في السياسة الحربية ، وفي الخامس أولياته في السياسة المالية ، وفي السادس أولياته في العقوبات والديَّات ...

وجاءت الخاتمة لتقدم اهم النتائج التي توصل الباحث إليها ، والتي كان منها :

- **عظمة الفاروق وعبقريته السياسية والاقتصادية والعلمية أمر لم يشاركه فيه أحد من الصحابة فضلاً عن ان يصل إلى ذلك احد من بعدهم .**
- **مهما كتب الكتاب عن الفاروق ، فإنهم لن يستطيعوا ان يوفوه حقه ابداً ...**
- **الفاروق كان اول من وضع تاريخاً للمسلمين (الهجرة) ، وأول من سن العسس في الليل بنفسه لتلمس حوائج المسلمين وحراستهم** ، وأول من سن عقد المؤتمرات العامة للقادة والولاة لمحاسبتهم وتدارس الأمور التي تهم المسلمين في الولايات ، وأول من اتخذ القرارات المكتوبة وعممها على ولايات الدولة ، وهو الذي أجلى أهل الكتاب من الجزيرة العربية إجلاءً تاماً توافرت أسبابه ، كما اسقط الجزية عن الفقراء والعجزة من أهل الذمة ، وأعطى فقراءهم من بيت مال المسلمين ... □□

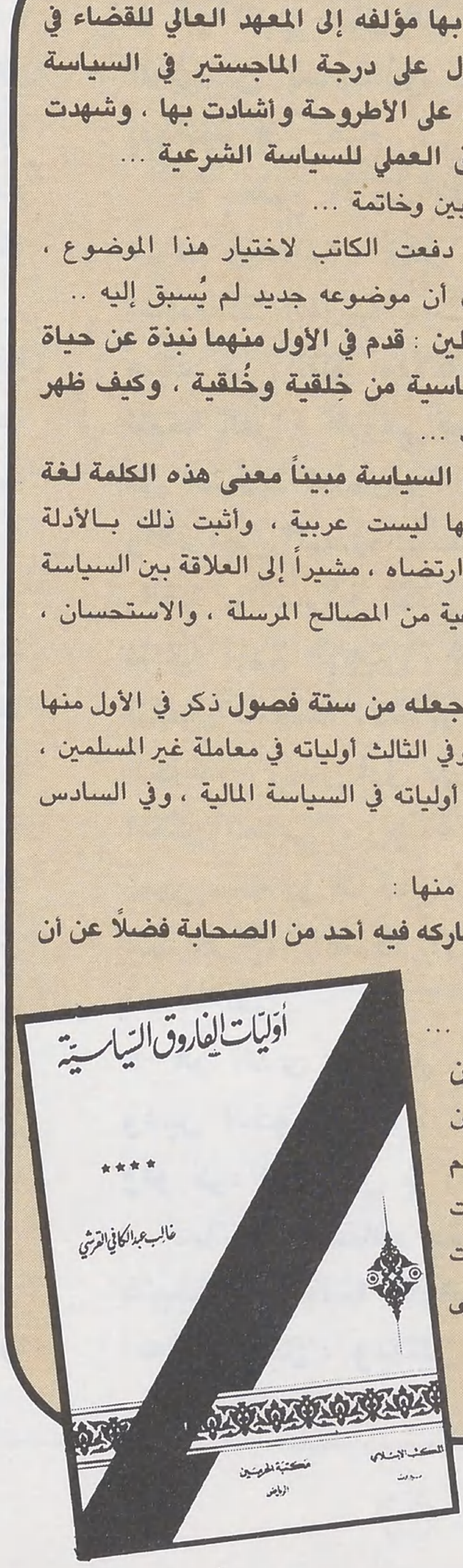

الكتاب : شعر الوليد بن يزيد

الجامع والمحقق : الدكتور حسين عطوان

الناشر : مكتبة الأقصى - الأردن - بمساعدة الجامعة الأردنية

□□ يقول المحقق : هالني ما أبصرت في أخبار الوليد وأشعاره من تلفيق وافتعال ، وتخليط وانتحال ، فرجعت أبحث عن أسبابه ، فتبين لي أن السياسة كانت أقوى الأسباب التي أدت إلى الدس عليه والطعن فيه ...

ولتوثيق شعر الوليد ، والتمييز بين صحيحه ومنحوله ، أخذ المحقق بمنهج القدماء الذي يقوم على النظر في السند والمتن ، فتعقب مصادر شعره ، وطرق تحمله ، واستقصى سير رواته ، ودرس فنون شعره ...

ولقد قال الأستاذ المحقق **أحمد راتب النفاخ** في حق هذا الكتاب :

(... نظرت في « شعر الوليد بن يزيد » صنعة الدكتور حسين عطوان ، فرأيت فيه جهداً طيباً ، ومصابرة على تتبع هذا الشعر في مظانه من مطبوع ومخطوط ، ومعارضة رواياته بعضها ببعض ، والتعليق عليه مما لا يقدره حق قدره إلا من دفع إلى مضايق هذا الضرب من العمل العلمي وكابد مشاقه ...

ومن أظهر السمات المنهجية في عمل الدكتور وأحراها بالتقدير أنه تَهَدَّىٰ إلى ما أخطأه كثير ممن يتصدون لمثل هذا الصنيع ، فلم يدع أن ينظر في المصادر التي ساقت أخبار الوليد وأشعاره ، وطرائق تحمل تلك الأخبار والأشعار ، ووجوه رواياتها نظرة نقدية فاحصة استهدىٰ فيها الأصول التي حررها علماء هذا الشأن ، على ما في ذلك من عسر ومشقة ، ولا سيما في باب الرواية الأدبية ... **وإذا كان بعض ما انتهى إليه مما يمكن النزاع فيه ، فلا ريب أن قدم بصنيعه مثالاً حسناً لما ينبغي من إحياء هذه الطرائق النقدية الأصيلة التي تميز بها علماؤنا المتقدمون ...**

وجملة القول في عمل الدكتور ، أنه بالجهد الذي بذله فيه ، والمنهج الذي أخذ به ؛ يعلو على كثير من أمثاله مما تخرجه بعض المؤسسات العلمية ، بل ما تقدمه دور النشر ...) .

وقد أحسن المحقق صنعاً بالفهارس التي وضعها لشعر الوليد [القوافي والأعلام والأمكنة والمصادر] ، وكم كان جميلاً لو أنه قدم ولو بإيجاز شيئاً عن حياة الوليد التي عرض لها بإسهاب في كتابه « سيرة الوليد بن يزيد من كتب التاريخ والأدب ومن شعره » لتتم فائدة القارىء الذي لم يطلع إلا على « شعر الوليد » .

ونقول مع المحقق : نرجو أن يكون فيما جمع من شعر الوليد ما يفيد دارسي التاريخ الإسلامي والأدب العربي .. □□

الكتاب : بحوث ودراسات مع إطلالة القرن الخامس عشر الهجري

إعداد : نخبة من المؤلفين

الناشر : جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية - الأردن - عمان ص.ب: ٩٤٨٩

□□ جمعية البحوث والدراسات الإسلامية التي تكونت في الأردن لتقوم على خدمة الفكر الإسلامي عن طريق تجميع الباحثين المسلمين ، ودعم مجهوداتهم الفكرية في مجال الدراسات والبحوث التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، فتعيد إلى مفكرينا وجامعاتنا وثقافتنا إطارها الإسلامي الناصع لتعود لأجيالنا هويتها الإسلامية ...

والكتاب الذي نقدمه للقارىء المسلم باكورة إنتاجها ، وهو عبارة عن أبحاث وموضوعات استكتب لها نخبة من العلماء والمفكرين ، علها تفيد في وصل الماضي بالحاضر ، وتلقي الضوء على جوانب مهمة في المسيرة الإسلامية الواعية ، وتدفع إلى العمل الجاد في المستقبل في مجالات : بناء الأسرة المسلمة ، وتربية الشباب وتحصينه إزاء تحديات كبيرة تواجهه في هذا العصر : كما تسهم في بيان أخطار العدو الصهيوني الطامع في أرض الإسراء والمعراج ، وتدعو إلى تحرير فلسطين المسلمة بطريق إسلامي واضح ، هو : الجهاد في سبيل الله ، فهو طريق المصطفى ﷺ ، وطريق صحابته رضوان الله عليهم من بعده ...

ويقول الدكتور إسحاق الفرحان رئيس جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية في تقديمه لهذا الكتاب :

... ولعل هذا الكتاب الذي نقدمه اليوم يكون خطوة سديدة في هذا الطريق ، طريق تحديد عناصر استراتيجية هادفة للعمل الإسلامي العالمي ، عمادها : التخطيط الهادف ، والتنظيم الدقيق ، والوصول بها إلى الحكم بما أنزل الله في ميادين حياتها المختلفة ، وتنمية مجتمعاتها بشرياً واجتماعياً واقتصادياً بصورة تمزج بين ثرواتها المادية الطائلة ، وطاقاتها الروحية الهائلة ...

وقد أكدت بعض هذه البحوث على ضرورة إبقاء باب الجهاد مفتوحاً ، وإنشاء المؤسسات العلمية والمجامع الفقهية ، والقيام بالموسوعات الفقهية التي تمهد الطريق لتدوين دستور إسلامي ، وقوانين إسلامية مشتقة من كتاب الله عز وجل لتحكم بين الناس بالعدل وبما أمر الله عز وجل ...

وبعضها أكد على الجانب العلمي والتكنولوجي في حياة الأمة المسلمة ، واستغلال خيراتها لصالح أبنائها ، وضرورة ربط الحياة السياسية للأمة بمنهج المصطفى ﷺ حين أصدر الإعلان التأسيسي للدولة الإسلامية في المدينة المنورة ...

ومن أبحاث الكتاب : **مواقف اليهود من الدولة الإسلامية الأولى دراسة وثائقية وتحليلية - الأسرة المسلمة وتحديات العصر - صحابة جاهدوا واستشهدوا في الأردن وفلسطين - مشكلات الشباب في المجتمع المعاصر من منظور إسلامي - العالم الإسلامي والتقنية الحديثة** □

في استقبال رمضان

أقبِلْ « فَدَيْتُكَ » ساطعاً لألاءَ ... وامْلأ ربوعَ المشرقَيْنِ ضياءَ
وأنِرْ طريقَ المُدْلجينَ لِيَأمَنوا ... غلسَ الظلامِ ويأمَنُوا الوغثاءَ
وافْتحْ مَغاليقَ الوجودِ بحكمةٍ ... تَهَبُ القُلوبَ العاصياتِ شفاءَ
واستنزِلِ الرحماتِ تَتْرى إننا ... كِدْنا - لَعَمْرُكَ - نَفْقِدُ الرُّحَماءَ
واخْلَعْ على الدُّنيا رُواءَ هِدايَةٍ ... واخْلَعْ عليها رونقاً وبَهاءَ

أقبِلْ فنحنُ إلى لقاءٍ عاجلٍ ... مُتَعَطِّشونَ فهل منحتَ لِقاءَ ؟
أقبِلْ وأحيِ نُفُوسَنا بِهدايَةٍ ... تُمْسي لأدواءِ النفوسِ دواءَ
اسِ الخيارَ المصطفَيْنَ فإنَّهُمْ ... يحيَوْنَ في أوطانهِمْ غُرَباءَ
قطعُوا إلى اللهِ السَّبيلَ لعلَّهُمْ ... يَرِدُونَ في رِضوانِهِ النَّعْماءَ
أقبلْتَ بالنُّورِ السَّماويِّ الذي ... بَهَرَ الوُجودَ وعطَّرَ الأرْجاءَ
أسهَرْتَ لَيْلَ الصَّائمينَ تعبُّداً ... وتَهَجُّداً وتلاوةً ودُعاءَ
فهجَرْتُ نومي في هَواكَ توسُّلاً ... للَّهِ كَيْ أزدادَ فيكَ صفاءَ
ووقفتُ بين يَدَيْ إلهي خاشعاً ... مُتَبَتِّلاً مُتذلِّلاً بكَّاءَ

رَمضانُ كُنْ للمُذْنبينَ شفيعَهُمْ ... وَسَلِ الإلهَ لِعابديهِ عطاءَ
فلكَمْ تساءَلَ مُسْرِفوهُمْ هلْ لَنا ... في طَيْشةِ الميزانِ مِن شُفَعاءَ
رمضانُ كمْ لكَ مِن يَدٍ أسْدَيْتَها ... ووَهَبْتَها لِلصَّائمينَ جَزاءَ
مِنْ يَضيقُ الحَصْرُ عن تَعْدادِها ... أيْقَظْتَ فيها الشِّعْرَ والشُّعَراءَ
نَصْرانِ للإسلامِ في « بَدْرٍ » وفي ... « فتحٍ » أزالا الشِّرْكَ والشُّرَكاءَ
ويُجَلْجِلُ التَّوحيدُ صوتاً هادِراً ... غَمَرَ الحواضِرَ وانتحى البَيْداءَ
وتَداعَتِ الأوثانُ تَنْدُبُ حظَّها ... وتقيمُ مأتَمَها أسىً وعَزاءَ

ربَّاهُ : إنَّ الغاصبينَ بمرْصَدٍ ... يَتَربَّصُونَ بنا أذىً وعَناءَ
مِن بَعْدِ « أندلُسٍ » « فلسطينُ » هَوَتْ ... وتَمزَّقَتْ بيْنَ الوَرى أشْلاءَ
والعُرْبُ في سِنَةٍ متى إيقاظُهُمْ ؟ ... لِيَرَوْا كرامتَهم تَضيعُ هَباءَ !
واليومَ في « لبنان » يَسْطُو غادِرٌ ... لِيُحيلَ أمْنَ الآمنينَ شَقاءَ
فاسْألْ بِها « صبرا وشاتيلا » تَجِدْ ... بِهِما مَذابِحَ تَفْجَعُ البُرَءاءَ
وتَرى ابنَ آدمَ في نَذالَةِ طَبْعِهِ ... وَحْشاً يَثُورُ فيأكُلُ الضُّعَفاءَ

يا أيُّها العُرْبُ الكِرامُ تيقَّظُوا ... وامْضُوا إلى آمالِكُمْ شُرَفاءَ
صُونُوا كَرامَتَكُمْ وشُدُّوا أزْرَكُمْ ... ودَعُوا التَّخاذُلَ واسْحَقُوا الأعْداءَ

شعر : محمد السيد الداودي

بريد الأمة

●● رسائل الإخوة القراء ، بما تحمله من « أصداء » و « مقترحات » و « تصويبات » وغيرها ، تشير إلى أن « الأمــة » أصبحت تشغل حيزاً كبيراً من اهتمامات القارىء المسلم .. وهذا ما نعتز به ..

● وحين تُعنى « الأمــة » بالقراء ، فذلك لأنهم رصيدها الحقيقي وأن رسائلهم ، نافذتها التي تطلع من خلالها على ما يدور في أذهانهم من أفكار ومفاهيم وما يختلج في نفوسهم من أحاسيس ومشاعر وما يعانون من مشكلات ، ليأتي عطاؤها ، من ثم ، تلبية لحاجاتهم الملحة ●●

رســالــة ..

■■ بعث فضيلة الشيخ عبد اللطيف عبد الغني حمزة ، مفتي جمهورية مصر العربية ، برسالة توضيحية لبعض ما نشرته « الأمة » في عدد ربيع الآخر ١٤٠٣هـ تحت عنوان : « ســؤال وفتوى » .. يقول فيها :

[... سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد :

إنه قد جاء في عدد ربيع الآخر ١٤٠٢هـ صفحة ٦١ تحت عنوان سؤال وفتوى حول طفل الأنبوب والميراث « **تعقيب على فضيلة مفتي مصر بقلم الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا** » حول مقال لنا في مجلة « **المسلمون** » العدد الأخير ، « **ذو القعدة ١٤٠٢هـ** ، أغسطس (آب) ١٩٨٢م بعنوان « **طفل الأنبوب والميراث** » نفيد بأننا قد أجبنا عن السؤال الذي وُجِّه إلينا في هذا الشأن بأن طفل الأنبوب الذي يتكون من ماء غير ماء الزوج هو طفل غير شرعي ، فيه معنى الزنى . لكن لا يجوز التخلص منه لأنه نفس بشرية حرَّم الله قتلها ، مع انه نتاج زنى .

والحكم أن هذا الطفل يلحق بأمه في النسب لأنه غير ثابت النسب للأب . أما من جهة الميراث ، فلا يحق لهذا الطفل أن يرث من أبيه لأنه ابن غير شرعي ، لأن ميراث الأقارب منوط بثبوت النسب ، فكلما كان النسب ثابتاً تبعه الميراث ، فإذا انتفى النسب ، انتفى الميراث من طريق القرابة ، وقد صرحنا بذلك في قولنا :

« والحكم أن يُلحق هذا الطفل - طفل الأنبوب في الحالة المذكورة - في نسبه بأمه . فابن الزنى يلحق في نسبه بأمه لأنه غير ثابت النسب للأب - ولا شك أنه إذا ألحق نسبه بأمه ، ثبت بينها وبينه جميع أحكام البنوة والأمومة من حرمة النكاح وحرمة المصاهرة ، والنفقة والميراث - فترثه أمه ويرثها هو بلا خلافٍ في ذلك » .

أما السؤال الذي ورد بمجلة « **الأمة** » ووجه إلينا على لسان مندوب مجلة « **المسلمون** » وهو : (**حتى لو كانت أمه تملك مالاً أو عقاراً ؟**) فهذا السؤال لا شك في أنه نقل عنّا خطأ أو سهواً وصوابه : (**حتى لو كان أبوه يملك مالاً أو عقاراً ؟**) فالجواب نعم . **لا يرث من أبيه شيئاً لأنه ابن غير شرعي ولأنه غير ثابت النسب للأب** .

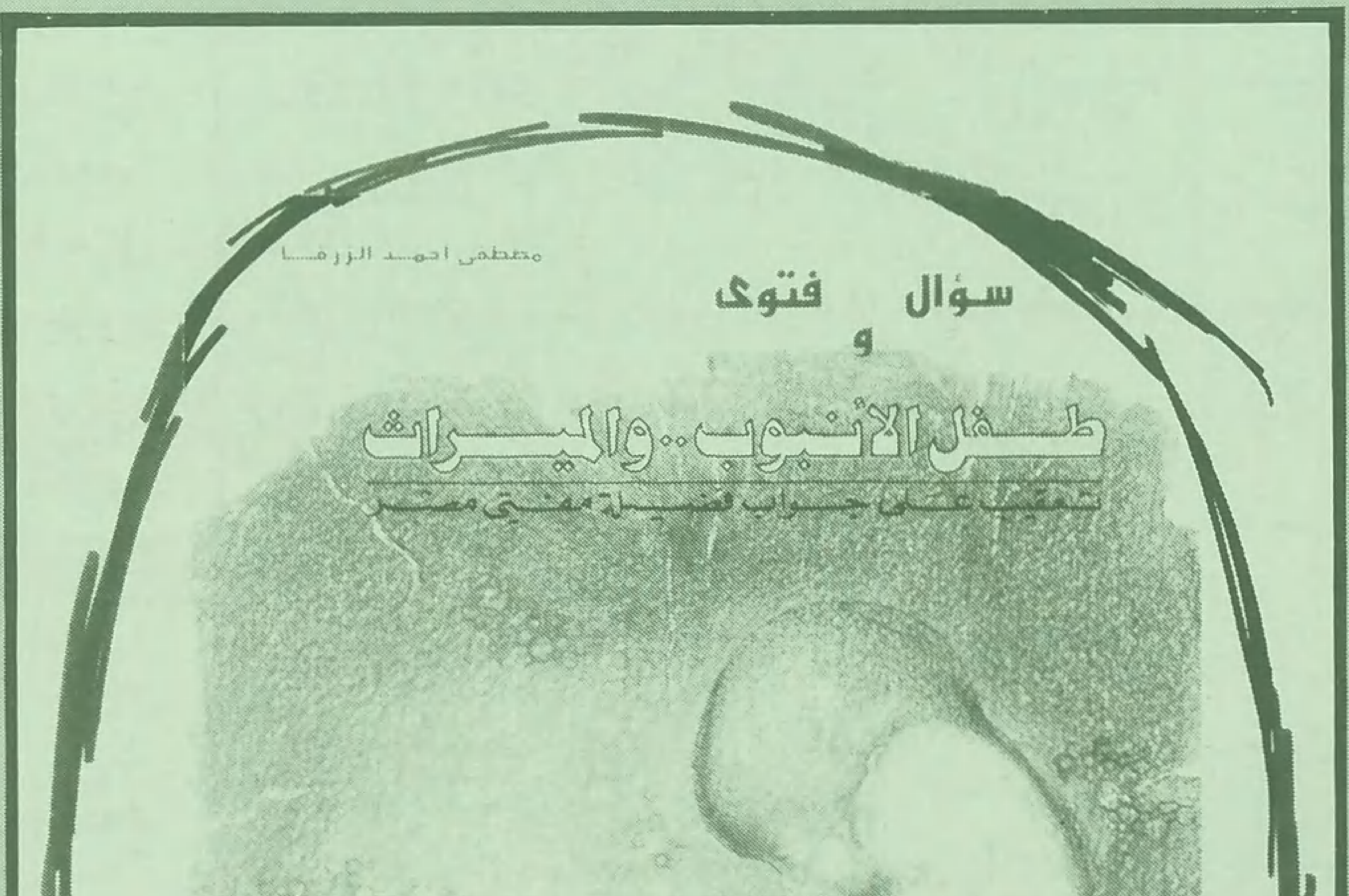
مصطفى احمد الزرقا
سؤال و فتوى
طفل الأنبوب.. والميراث
تعقيب على جواب فضيلة مفتي مصر

وربما أحاط بحديثنا لمندوب مجلة « المسلمون » ظروف أدت إلى نقله الجواب خطأ أو سهواً ، ونظراً لثقتنا في أمانة وتسجيل هؤلاء ، مما جعلنا لم نراجع الحديث ، ولم نقرأ المقال بمجلتهم إلا بعد أن قرأنا تعقيب مجلتكم الموقرة .

وأخيراً نشكر لكم حسن اهتمامكم وغيرتكم على الإسلام وهدانا الله جميعاً سبيل الرشاد .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته]

أصداء

● **حول استطلاع [مليلة : الجوهرة المسلوبة] الذي نشر بالعدد(٣١) ، وصلتنا رسائل عديدة .. من بينها رسالة الأخ « أبو عبدالحميد» من مدينة « ليل » الفرنسية .. يقول في رسالته :**

[... إن من أهم دواعي بقاء الاسبان في « **مليلة** » وإصرارهم على عدم التخلي عنها ، هو الدور الذي تقوم به حالياً في نشر الفساد (بكل صوره) في المجتمع المغربي بشكل عام والمناطق المجاورة لها بشكل خاص . حتى إنه ليمكن القول بأن كل ما نعانيه في بلادنا من مظاهر الفساد ، مصدره « **مليلة** » !

فمنها تخرج يومياً ، إلى مختلف أنحاء المغرب ، عيِّنات عديدة من الخمور مما جعل خمر « **مليلة** » مشهوراً ومعروفاً عند من يشربها ومن لا يشربها .. وهي كذلك تعتبر وكراً خطيراً لممارسة الدعارة والميسر ، ومعبراً تمكن اليهود عن طريقه من تهريب ما جمعوه من بلادنا من ثروات وأموال طائلة ... لقد أصبحت المدينة خطراً يتهدد شبابنا ومجتمعنا بل وهويتنا الإسلامية] !

[**مليلـــة أيضـــاً**] !!!

● **ومن ولاية مدنين ، جنوبي تونس ، يقول الأخ محمد بن عمر الزائدي :**

[... ما أحوجنا إلى مثل هذه الاستطلاعات التي توقظ الضمائر وتنبه الغافل إلى أن هناك أراضي إسلامية لا تزال تعاني ويلات الاستعمار الصليبي وترزح تحت سيطرته المباشرة ..

وإذا كان المغرب المسلم قد استطاع ، بعقيدته وإيمانه أن يصد على مرِّ التاريخ كيد الغزاة والمحتلين ، فهو لن يحني رأسه أمامهم اليوم] .

● **وحول المعنى نفسه كانت رسالة الأخ مزاورة احمد من المغرب ..**

● **ومن القصر الكبير ـ المغرب ـ جاءت رسالة الأخ الشدادي يوسف ، حول ما نشره بالعدد [٣١] في زاوية « من المحرر » ..**

[... بكثير من الحسرة والألم ، قرأت ما كتبه المحرر بعنوان « **جيل المأساة** » .. حقاً : إنها صورة من المآسي وألوان من المعاناة والمظالم والاعتداءات التي يعيشها عالم المسلمين .. في أفغانستان وفلسطين المحتلة ولبنان وآسام وفي كل مكان ..

وآلمني أكثر ، التعتيم الإعلامي المقصود لما يقع على المسلمين ويصيبهم من تشريد وذبح وتمثيل ..

ألم يحن الوقت لأن نستيقظ ونتحد على منهج الله ونعمل بجد وصدق لاسترداد ما سلب منا من عز وكرامة وريادة ؟] .

● **وقام الأخ المهندس أ.م.ع.ب من القاهرة ـ بكتابة رسالته** بخط جميل وصمم إطاراً لها من وحدات زخرفية إسلامية بعد أن قرأ موضوع شيخ الخطاطين .. أما مضمون الرسالة فقد جاء حول الاستطلاع المصور عن « **منظمة الدعوة الإسلامية في أفريقيا** » .. يقول :

[... طالعت في عدد جمادى الأولى استطلاعاً حول « **منظمة الدعوة الإسلامية في أفريقيا** » .. وأعترف بأنني عاجز عن التعبير لكم عن مشاعري بعد قراءتي هذا الموضوع ، ووددت لو شاركت إخوتي العمل والجهاد في هذا المجال لخدمة الإسلام والمسلمين ..] .

● **وحول الاستطلاع نفسه ، جاءت من الأردن رسالة الأخ كمال أصحاب .. يقول فيها :**

[... وإنني كمسلم ـ والحمد لله ـ ويهمني أمر المسلمين ، فإنني أود أن أعرف عنوان المنظمة .. وجزاكم الله عن الإسلام وعنا كل الخير لما تقدمونه من النافع الجيد ...] .

... **وإلى الأخ كمال ، والإخوة الذين يرغبون في معرفة عنوان المنظمة ، العنوان هو : « منظمة الدعوة الإسلامية في أفريقيا » : ص . ب ١٨١٣ مبرقة ٣٥٠ ـ الخرطوم ـ السودان**

بأقلام القراء

● **الأخ محمد الظاهر من رابطة الكتاب الأردنيين ، عمّان الأردن ، بعث برسالة شعرية يقول فيها :**

[إلى ضـــائع !!!]

بلهيبِ الجمْرِ تَلْعَبْ ورمادُ الموتِ في القَلْبْ
سَادِرٌ في الغيِّ والأوْ هامِ ، محزونٌ مُعَذَّبْ
جاهِلٌ لا تُدْرِكُ الإيـ ....مَانَ أوْ لِلحَقِّ تَغْضَبْ
رُوحُكَ الظَّمْأىٰ سَتَبْقىٰ مِنْ سَرَابِ الوَهْمِ تَشْرَبْ
لَا تَرَىٰ في هٰذِهِ الدُّنْـ ....يَا سِوَىٰ اللَّذاتِ مَطْلَبْ
أنْتَ في الغَفْلَةِ عن أخْـ ....رَاكَ ، في دُنْيَاكَ تَرْغَبْ
أنْتَ لِلشَّيْطَانِ نَابٌ أنْتَ لِلآثَامِ مِخْلَبْ
أيُّهَا السَّادِرُ فَاعْلَمْ أنَّ فِعْلَ الخَيْرِ أوْجَبْ
فَتَزَوَّدْ قَبْلَ أنْ تَخْـ ....لُو عَنِ الدُّنْيَا وَتَذْهَبْ
إنَّما الإيمَانُ زَادُ الرُّ وحِ .. مَا أزْكَىٰ وَأطْيَبْ
فَاجْعَلِ القُرْآنَ دُسْتُو راً ، وَلِلّٰهِ تَقَرَّبْ
والْتَمِسْ عَفْواً مِنَ الرَّحْـ ....مٰنِ .. عَفْوُ اللهِ أقْرَبْ
وَانْطَلِقْ مِن أُفْقِكَ المَسْـ ....دُودِ ، دَرْبُ الحَقِّ أرْحَبْ

تصويب

جاء في عدد [شعبان ١٤٠٣هـ] ضمن موضوع « حكم الاستفادة من اعضاء الموتى في عمليات الزرع » بالصفحة رقم « ٦٠ » عبارة : [افتى الشيخ حسنين ـ رحمه الله ـ (مفتي مصر سابقاً] .. مما يوهم بوفاته .

والصحيح ان فضيلة الشيخ حسنين مخلوف لا يزال على قيد الحياة نفع الله بعلمه المسلمين ، ومدَّ في عمره .

ردود خاصة

■ **الأخ البودالي حسن ـ من المغرب ـ والإخوة الذين يرسلون تصويبات :**

●● نشكر لكم اهتمامكم ـ ونرجو تحديد أرقام الصفحات الواردة فيها العبارات المطلوب تصويبها حتى نتمكن من التنبيه إليها .

■ **الأخ علي قاسمي ـ قابس ـ تونس :**

●● ملاحظاتك محل تقديرنا .. وجزاك الله خيراً .. ونحب أن نقول : بأن كلمة **(عربي)** ترد في كثير من البلاد الإسلامية « **ومنها تونس** » ، مرادفة لكلمة **(مسلم)** .. كما أن كثيراً من غير المسلمين لا يجدون ـ من حيث المدلول ـ فرقاً بين « **عربي** » و « **مسلم** » . فنرجو أن لا ينظر إلى الأمر بهذه الحساسية .

■ **الأخ البركاني جمال الدين ـ القصر الكبير ـ المغرب ..**

●● نشكر لك اهتمامك بما ينشر في المجلة ، ونؤكد أن الاسم الذي كتبناه « **مليلة** » هو الاسم العربي الصحيح للمدينة ، وفي هذا يقول ياقوت الحموي في كتابه (**معجم البلدان** ١٩٧/٥) : **مَلِيلَةُ : بالفتح ثم الكسر ، وياء تحتها نقطتان ولام أخرى . مدينة بالمغرب قريبة من سبتة على ساحل البحر .**

■ **الأخ الهادي المعتوقي اليوسفي ـ صفاقس ، تونس .. والأخ ع.م. القاهرة ..**

●● نشر بعض الصور في المجلة ، ليس من قبيل التكريم وإنما من مقتضيات الشكل الصحفي .. والعبرة هنا بما يرد من كلام ومعانٍ تُقرأ به الصورة .

واحة الإخاء

[حرمة الأزهر]

■■ **الأخ حمدي حسين محمد ، القاهرة ، يقول في رسالته إلى « الواحة » :**

[... قرأت ما جاء في « **كلمة الأمة** » العدد [٣٠] بمناسبة العيد الألفي للأزهر الشريف .. وحقاً : إن الأزهر والزيتونة والقرويين والأموي ، معالم ثقافية وحصون فكرية تعني في حياتنا الكثير وتعني في تراثنا الشيء الكبير ، تعني في حضارتنا : الشموخ ؛ وفي واقعنا : الأصالة ، والامتداد ... وللأزهر ، خاصة دور كبير في صد تيارات التغريب وموجات الاستعمار السياسي والثقافي والفكري ، مما مكن **الأمـة** من الحفاظ على ذاتيتها وتماسكها وإسلامها . فغدا الأزهر بذلك كياناً له حرمته ودلالته . ولكن ، يلاحظ في الفترات الأخيرة أن السيَّاح يدخلون إليه على شكل يسيء إلى الشعور الإسلامي دون أن يتقيدوا أو يلتزموا بما تقتضيه حرمة مثل هذه الأماكن من آداب وسلوك معين ..

ونحن نأبى لحصوننا وقلاعنا الفكرية أن تصبح مراكز سياحية أو متاحف .. هذا ما أردت الإشارة إليه والله الموفق] .

● **ومن القاهرة أيضاً ، وردت رسالة من الأخ عبداللطيف إبراهيم مصطفى ،** يلقي فيها بعض الضوء على كتاب مليء بالسموم والخرافات صدر حديثاً في طبعته الثانية ..

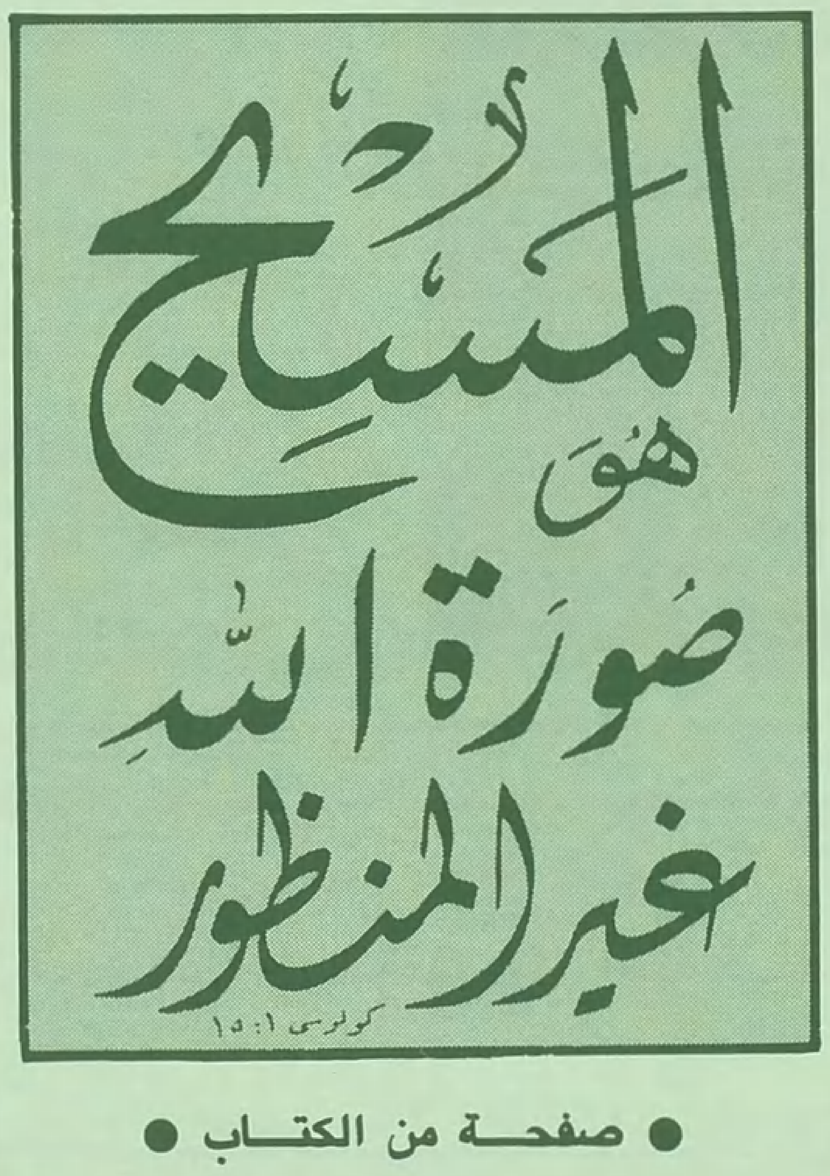

● صفحة من الكتاب ●

[... يحمل الكتاب اسم : « **ما معنى : المسيح ابن الله ؟** » تقديم : نخبة من خدَّام الإنجيل (!) ويباع بثمن بخس .. وهو عبارة عن محاولة نصرانية لهدم عقيدة التوحيد المتمكنة من نفوس المسلمين ... ومما جاء في الكتاب :

« بنوة المسيح ليست بنوة مجازية » وهي « تختلف في جوهرها عن بنوة الملائكة والمؤمنين الحقيقيين » .. « هو الله معنا » .. « ابن الله يقصد به ، ذات الله » .. « هو ذات صورة الله في جوهره اللانهائي » ... إلى غير ذلك من السموم التي قد لا تجد من يتصدى لها من علمائنا .. وإني أتساءل : أين المؤسسات الإسلامية التي من أولى مهماتها : حماية الأجيال والنظر فيما ينشر من كتابات تمس عقيدة المسلمين ودينهم ؟] .

مقترحات

● **الأخ حسن عنبر ـ القاهرة ـ المطرية ..**

يصحح المقترحات التي نشرت باسمه في العدد الثلاثين على هذا النحو :

* عدم نشر المدح الذي يرسله الإخوة إلى « **الأمة** » .. وحسبها نجاحاً الخطابات التي تطلب زيادة الأعداد ، وكذا نفاد الطبعات المتتالية من « **كتاب الأمة** » وذلك حتى نوفر الصفحات المخصصة « **لبريد الأمة** » لبعض الرسائل ..

* الشيخ محمد ناصر الدين الألباني تحدث في بعض مؤلفاته ـ وهي مؤلفات قيمة ـ عن الصعوبات التي تواجهه في طباعة كتبه ، ويستحق أن تذلل له هذه الصعوبات عن طريق « **الأمة** » ..

● **الأخ رضا حافظ مرسي ـ الدوحة ، قطر .. يقترح :**

أن تقوم « **الأمـة** » بإجراء مقابلات صحفية مع الشباب المسلم على مستوى العالم الإسلامي وأن تخصص صفحات لعرض مشكلاتهم ومناقشتها وتقديم الحلول الإسلامية لها .

● **ومن السباعية ، مصر يقترح علينا الأخ عبد الرحيم شراقي ..** بأن يكون موضوع المسابقة بحثاً مكتوباً حول المشكلات التي يعاني منها المسلمون في وقتنا الراهن .. كما يقترح بأن تكون جوائز البحوث الفائزة ، نشرها على نفقة مجلة « **الأمة** » .

● **أما الأخ أسعد يسن حسين ، من الإسكندرية ، فيقترح** رفع سعر « **كتاب الأمة** » ليساعد ذلك في زيادة الكمية التي تطبع وتوزع ، حتى يتمكن كل مسلم من الحصول عليه .

إفتتاح المركز الإسلامي في أمريكا الشمالية ..

■■ تم في أوائل الشهر الماضي افتتاح المرحلة الأولى من المركز الإسلامي بمدينة بلينفلد بولاية أنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية ..

يتكون المركز من مسجد ومكتبة ، يتسع المسجد لحوالي ألفي مصل ، وقد روعي في تصميمه أن يكون للنساء مكان متميز بمدخل خاص ، بالإضافة إلى صالتين للأطفال .

أما المكتبة فتستوعب مائتي ألف كتاب ، وتتكون من طابقين رئيسين ، يحتوي الطابق الأول على أقسام الإعارة والخدمات والأمناء والفهارس الرئيسة ، بالإضافة إلى القبة السماوية التي صممت على شكل يسمح بدخول الضوء الطبيعي أثناء النهار لتهيئة الجو المناسب للمطالعة والدراسة .

أما الطابق الثاني فيشتمل على المراجع والأرفف وصالة لأجهزة عرض الشرائح والميكروفيلم والميكروفيتش بالإضافة إلى صالة لعرض الأفلام كما يحتوي على ثماني غرف للبحث العلمي ، وصالة كبيرة فيها حوالي ثلاثين ألف كتاب نادر .

أما القبو فيحتوي على قسم استلام وفرز الكتب ، وقاعة للمحاضرات تتسع لحوالي مائتين وخمسين شخصاً .

ويشرف على المركز الاتحاد الإسلامي لأمريكا الشمالية الذي يضم الاتحادات والجمعيات الإسلامية التي تساهم في نشر الدعوة الإسلامية بين الأمريكتين ، بالإضافة إلى رعاية أبناء الجالية الإسلامية .

ومن الجدير بالذكر أن صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر كان قد تبرع بكامل نفقة إنشاء المركز .

والله نسأل أن يهيء لهذا المركز العناصر البشرية القادرة على توظيف هذه الإمكانات المباركة لنشر الوعي الثقافي وتعزيز حركة الدعوة ، وتنشيط البحث العلمي والدراسات الإسلامية .. والتمكين للإسلام في الأمريكتين .

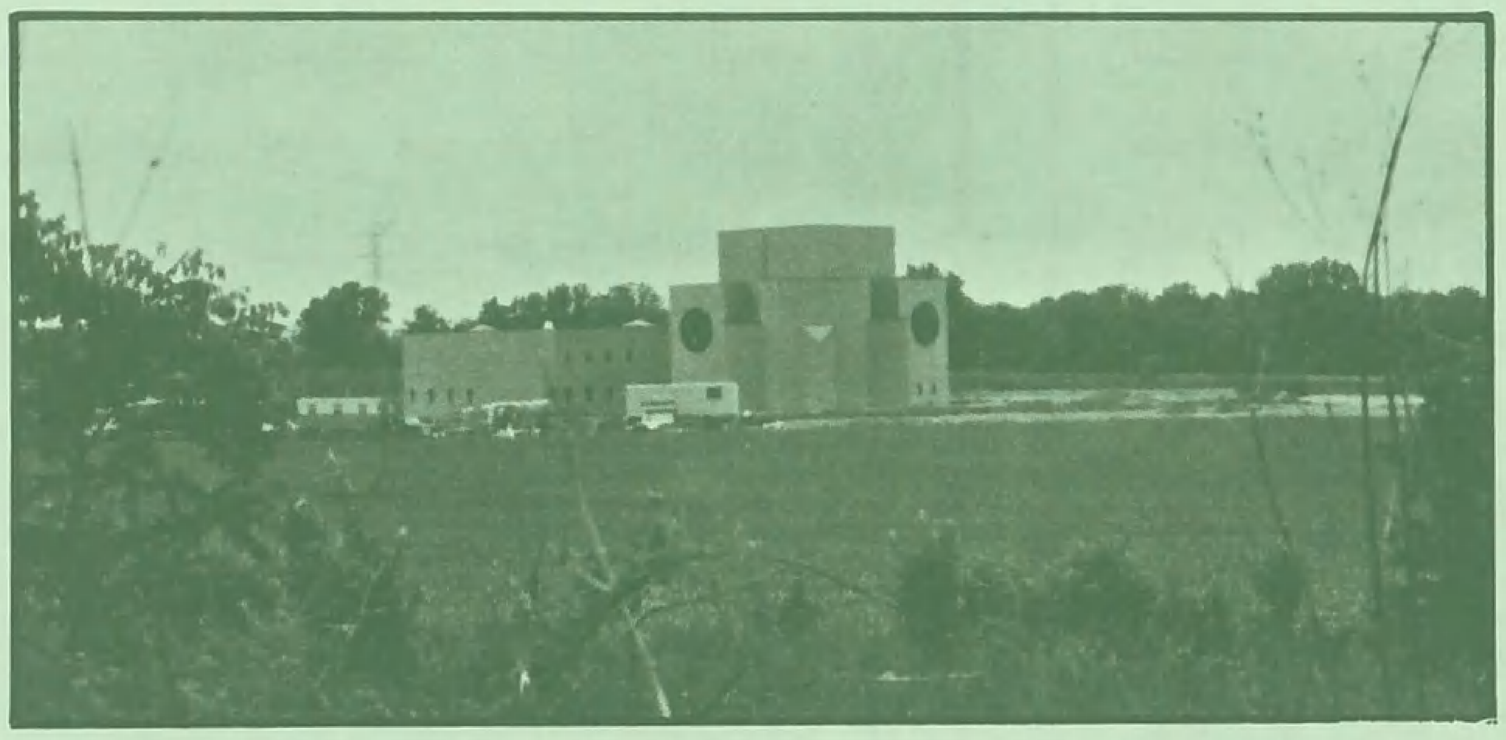

○ انجاز المرحلة الأولى من مشروع المركز الإسلامي بأمريكا الشمالية (المسجد والمكتبة) ○

○ إحدى قاعات المكتبة في مرحلة الإنشاء ○

نـــوادي الروتـــاري !!!

●● تأسست نوادي الروتاري في شيكاغو بأمريكا عام ١٩٠٥م من قبل المؤسسين اليهود :

* باول هاريس ــ محام .
* سلفستر شيلر ــ تاجر فحم .
* غوستاف إيه لوهر ــ مهندس معادن .
* ميريام إيه شوري ــ تاجر وخياط .

● وفي عام ١٩١٠م تشكل الاتحاد الروتاري الأمريكي الذي ضم ١٦ نادياً في ذلك الوقت ، وفي عام ١٩٢٢م تشكلت منظمة الروتاري العالمية ، وذلك بعد انتشار هذه النوادي في عدد من مدن أوروبا .

واليوم هناك أكثر من ١٦٧٠٠ ناد وتسعمائة ألف عضو روتاري في أكثر من ١٥١ دولة .

● وتتستر نوادي الروتاري وراء الأخلاق المثالية والقيم الإنسانية العالمية ومحبة السلام ... وتطالب نوادي الروتاري أعضاءها بأن يكونوا مواطنين عالميين مترفعين عن القومية .

● شعار الروتاري عبارة عن عجلة مسننة (**ترس**) بأربعة وعشرين سناً باللونين الأزرق والذهبي ، وتضم داخلها كلمة روتاري .. كما تستعمل شعارات أخرى في اجتماعات الروتاري مثل : الناقوس والمطرقة .

وظيفـــة المحتســـب !!!

●● صدرت في باكستان توجيهات بإنشاء محاكم شرعيــة على مستوى المديريات في الولايات الباكستانية الأربع .. على أن يتم تعيين قاضيين ـ على الأقل ـ لكل محكمة من هذه المحاكم التي ستتبع رأساً **المحكمــة الشرعية العليا في الحكومة الفيدرالية** ..

ومن جهة أخرى ، صدر مرسوم جمهوري يقضي بإنشاء وظيفة المحتسب .. وفقاً لما جاء بالمرسوم ، يقوم المحتسب الذي يعين بقرار جمهوري لمدة أربع سنوات لا تمدد ، بمهامه وممارسة سلطته بشكل مستقل عن الأجهزة التنفيذية . على أن تعمل هذه الأجهزة في جميع أنحاء باكستان ، لدعم مهمته .

ويحق للمحتسب أن يجري أي تحقيق ـ بناء على شكوى أو طوع إرادته ـ حول أي دعوى بسوء الإدارة في أية هيئة سواء من قبل مسؤوليها أو الموظفين العاديين فيها . كما يحق له أن يجري أي تحقيق أو يبحث في أية قضية لا تزال قيد العرض (**النظر**) في محكمة أو تتعلق بالشؤون الخارجية أو بشؤون الدفاع للباكستان ..

ويتمتع المحتسب ، بموجب هذا المرسوم ، بكافة السلطات التي تتمتع بها المحكمة المدنية .. وله سلطة كسلطة المحكمة العليا في معاقبة كل من ينقض حرمة سلطته .

ولا يسمح برفع أية دعوى أو استصدار أي أمر بالاعتقال أو بأي إجراء قانوني ضد المحتسب والموظفين التابعين .. إلّا أنه يحق لرئيس الجمهورية أن يفصل المحتسب من وظيفته لأسباب سوء التصرف أو للعجز في أداء مهام الوظيفة ، أو لأسباب جسمانية أو لعجز عقلي .

ويستخدم الروتاريون اصطلاحات وكلمات خاصة رمزية لا تفيد المعنى مباشرة .

● يقع المركز العالمي لمنظمة الروتاري العــالميــة حــاليــاً في مــدينــة « **إيفانستون** » بولاية « **إيلينوي** » في الولايات المتحدة الأمريكية ، كما يوجد سكرتير للمركز العام في كل من لندن وزيوريخ ، وترتبط المقاطعات الروتارية مباشرة بالمركز العام ، ويتم انتخاب حكامها في الاجتماع السنوي ، ويعتبر هؤلاء الحكام مفوضين من المركز العام .

[نشرة النور (المغرب) ١٦ مارس «آذار» ١٩٨٣م]

المسلمون الفرنسيون ..

●● **نظم المسلمون الفرنسيون ، مؤخراً ، مؤتمراً لدراسة أوضاعهم داخل المجتمع الفرنسي** . وطالبوا القيادة السياسية الفرنسية بتفهم موقفهم وأوضاعهم مشيرين إلى أنه ليس هناك مسلم واحد يشغل منصب نائب أو سناتور أو يحتل أي منصب حكومي داخل الحكومة الحالية في حين أن اليهود الفرنسيين (**الأقل عدداً**) **ممثلون بصورة افضل ويشغلون ٢٥٪** من المناصب الهامة في هيئات الدولة .

وأعلن المؤتمرون عزمهم على تشكيل حزب اقلية إن لم يستجب لمطالبهم ..

وتجدر الإشارة إلى أن عدد المسلمين الفرنسيين يقدر بحوالي مليون شخص ، ٨٠٪ منهم من أصل جزائري .. وتتألف البقية من الأفارقة والقادمين من الشرق الأوسط الحــاصلين على الجنسية الفرنسية .. هذا في الوقت الذي يبلغ فيه حجم الجالية الإسلامية أربعة ملايين ومائتي الف مسلم .

ضغط صهيوني لمنع مناقشة القضـية الفلسطينية !!!

●● **جندت المنظمات الصهيونية في فرنسا** وسائلها في محاولة للضغط على الحكومة الفرنسية لمنع قيام مؤتمر دولي دعت الأمم المتحدة إلى عقده في آب (اغسطس) القادم في مقر اليونسكو في باريس لمناقشة القضية الفلسطينية .

وعقب اجتماع عقده بوزارة العلاقات الخارجية الفرنسية صرح **جان كان** رئيس الطائفة اليهودية في مدينة **سترازبورغ** بأن **كلود شيسون** وزير العلاقات الخارجية وصف المؤتمر بأنه [**يشكل ضربة رديئة لفرنسا**] ، ووصف اختيار باريس لاستضافة المؤتمر بأنه [**أمر مشين**] !!!

ولم تنف وزارة العلاقات الخارجية ما نسب إلى شيسون من تصريحات معادية لعقد المؤتمر ، بل إن الناطق الرسمي باسم الوزارة أوضح بشكل قاطع موقف فرنسا الرافض لعقد مثل هذا المؤتمر في العاصمة باريس حتى ولو كان ذلك في إطار المنظمة الدولية ـ اليونسكو ، وقال : [**منذ أن قررت الأمم المتحدة ودون موافقة فرنسا ، عقد هذا المؤتمر في باريس ، فإن فرنسا لم تتوقف عن الإعلان للجهات المعنية كم هي متاثرة لهذا القرار**] .

من جانب آخر هدد مسؤول الطائفة اليهودية في **سترازبورغ** بأنه إذا تم عقد المؤتمر الدولي في باريس فإنه سيتم تجميع اليهود من الدول الأوروبية كافة في باريس للتظاهر في الشوارع ضد هذا المؤتمر .

وإزاء تلك الضغوط وهذه التهديدات الصهيونية ، هل تستطيع الحكومة الفرنسية أن تمنع عقد مؤتمر دولي دعت إليه الأمم المتحدة وتخطط لعقده في مبنى اليونسكو الذي يعتبر من الناحية القانونية أرضاً دولية لها حصانتها ؟!!!..

قراءة ثقافية

اللغة العربية ... وتحدي الاحتلال !!!

□□ يظل تحرير المسلمين من الاحتلال الروسي أملاً يراود الإرادة الإسلامية ضمن حدود الاتحاد السوفييتي .

ورغم أن المادة «٣٦» من الدستور الروسي تنص على المساواة بين مختلف الشعوب القاطنة في الجمهوريات السوفييتية ، وتسمح لهم بممارسة لغاتهم .. فإن الروس سعوا للقضاء على شخصية كل عنصر آخر غيرهم ، خاصة المسلمين ، وأعدوا خطتهم المدمرة التي بدأت في العشرينات من القرن الميلادي الحالي :

* فألغوا كتابة الشعوب الإسلامية للغاتها الأصلية بالحروف العربية ، وفرضوا الحروف اللاتينية .
* وقاموا بتنفيذ مشروع « **البلشفة** » الذي يهدف إلى إجبار المواطنين المسلمين على تعلم اللغة الروسية ، وأغدقوا الأموال الطائلة على هذا المشروع لإغراء هؤلاء المواطنين على ترك اللغة الأصلية . [**وفشلت المحاولتان**]
* **وهجروا أعداداً ضخمة من الروس إلى منطقة آسيا الوسطى ليحتكوا بالمسلمين ويغيروا لغاتهم الأصلية .. وفشل هذا الأسلوب أيضاً لانعزال المهجرين الجدد عن السكان الأصليين المسلمين .**

ويؤكد [**موري فشباسي**] **أستاذ الجغرافيا الإنسانية بجامعة « جورج تاون »** بأمريكا ـ في مقابلة صحفية ـ ظاهرة تزايد أعداد هؤلاء المسلمين ، حيث يتوقع أن تزيد نسبة الشباب المسلم في الاتحاد السوفييتي في نهاية هذا القرن الميلادي إلى « ٤٠٪ » من السكان ، وقد دأبت القيادة السوفييتية على وضع الجنود الآسيويين المسلمين في المراكز الدنيا في الجيش .. ومع ذلك فقد زادت مؤخراً شكوى القادة العسكريين من أن أغلب المجندين المسلمين لا يتكلمون اللغة الروسية ، مما زاد الفجوة بينهم وبين القادة الذين توجسوا خيفة من تمسك هؤلاء المسلمين بثقافتهم وتقاليدهم الإسلامية واعتبروه تحدياً لسيطرتهم .

وترى الأوساط الثقافية الإسلامية أن هناك توافقاً بين ما فعله كمال أتاتورك في دولة الخلافة الإسلامية من فرض الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية في الكتابة أولاً ، وما نادى به بعض الكتاب في مصر المسلمة من الدعوة إلى الكتابة باللغة العربية بالحروف اللاتينية ثانياً ، وما صنعه الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي من « **فرنسة** » لغة المسلمين ثالثاً ، وبين ما فعله الروس الملحدون في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي رابعاً ..

فقد ادعى الجميع الرغبة في السهولة ، على أساس أن العربية وحروفها صعبة حسب زعم بعض تلامذة المستشرقين ، والفرنسيين ، والروس الذين زادوا فأعلنوا الرغبة في التوحيد اللغوي بين شعوب روسيا المسلمة !!

غير أن الهدف كان واضحاً : وهو إقصاء الجذور العميقة التي تقوم عليها الشخصية المسلمة كهدف أول ، وإحداث الغربة بين الأجيال الجديدة والقرآن الكريم ومصادر الإسلام ثانياً .

وإزاء هذا الخط التآمري المتحد بفعل الصهيونية ، تبرز أهمية المحاولات التي يجب أن تبذل ، ليس فقط لوقف هذا التيار الشيطاني بل للحفاظ على العربية بين أهلها ، ونشرها بين غير الناطقين بها .

معركة اليرموك الفاصلة ...

□□ في إطار الاهتمام بالثقافة العسكرية الإسلامية ـ كجزء من التصور الإسلامي العام ـ وبحركة الفتح الإسلامي كظاهرة فذة في تاريخ العالم ، نظمت **رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر** محاضرة ـ ضمن الموسم الثقافي الخامس ـ بعنوان [**معركة اليرموك الفاصلة**] .. القاها الباحث الأستاذ **أحمد عادل كمال** ..

وتأتي ميزة المحاضر من اهتماماته المبكرة بدراسة المغازي والمعارك الإسلامية وتحليلها بأسلوب علمي وبطريقة موضوعية ، على ضوء معطيات العلوم العسكرية الحديثة ونظرياتها ومناهجها ومدارسها المختلفة ، كما قدم للمكتبة الإسلامية بحوثاً وكتباً في هذا المجال ـ بجهد فردي ـ سبق به كثيراً من المؤسسات ، مثل : (**الطريق إلى المدائن**) ، (**القادسية**) ، (**الطريق إلى دمشق**) ، و (**سقوط المدائن**) ...

وقد نتوقع أن تكون المعالجة المدروسة والعلمية لمثل هذه الموضوعات ـ في شكل محاضرة ـ من الأمور التي يصعب متابعتها لذلك استعان المحاضر بوسائل الإيضاح ـ كالشرائح ـ كما أنه لم يفقد في تحليله المادي المتخصص رؤية المسلم للصلة الوثيقة بين العقيدة والنصر ..

في بداية المحاضرة ، فند ما قد يتراءى لبعض المستشرقين من أن المسلمين نهجوا نهجاً متعسفاً .. « ... **تزحف جيوشهم على جيرانهم ، فإما الإسلام او الجزية ، وإلا فهي الحرب** ... » .. فقال :

[... **لم تكن حركة الفتح على تلك الصورة ، إنما كان الإسلام ديناً منزلاً يفرض على المسلمين تبليغه للناس ويأبى المتألهون ذلك . وهو ليس ديناً كهنوتياً يحبس الناس في البيع والصوامع ويدع الجبابرة والأكاسرة والقياصرة وشأنهم مع الناس ، وإنما هو دين ودولة ، كما يفرض العبادات والمناسك ، يفرض الزكاة حقاً للفقير على الغني ، ويفرض العدل حقاً على الحاكم ، ويفرض الحاجة لكل ذي حاجة على من بيده حاجته .. إن المعارك الإسلامية كانت معارك تحرير لأناس مستعبدين ، مستذلين ..**

تصريحات وأقـوال

■ « كثرت المنظمات والمؤسسات والمراكز والمعاهد والمجامع الإسلامية ، وكثرت اللقاءات التي تعقدها ، والقرارات التي تتخذها . وأصبح بعضها منافساً لبعضها الآخر ، وأصبحت مواعيد هذه اللقاءات متداخلة ومتضاربة بحيث أصبح العلماء المسلمون يحارون حين يضطرون لاختيار أحدها .. » .

(د. ناصر الدين الأسد رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية)

○ وليم كولبي ○

■ « أعتقد أن القوى الإسلامية في جميع الأقطار العربية هي أقوى وأمنع من أن تسمح بتحول أي وجود سوفييتي في المنطقة إلى تواجد دائم ، ومنذر بالخطر .. وقد يزوِّد الاتحاد السوفييتي بعض هذه الدول ببعض الطائرات أو ببعض الدبابات لكنه لا يستطيع أن يملي على أي منها سياستها الخارجية ، وقد رأينا كيف أفلتت مصر من قبضة الاتحاد السوفييتي ، ولا يعني ذلك أنه لن يكون للاتحاد السوفييتي عملاء في المنطقة ـ لكن هؤلاء العملاء مهما بلغوا من النفوذ لا يستطيعون الصمود في وجه المبادىء الإسلامية .. » .

(وليم كولبي ـ الرئيس السابق لوكالة المخابرات الأمريكية C.I.A [١٩٧٣ ـ ١٩٧٦م] والذي تقلب خلال ربع قرن في مختلف مناصبها)

○ الكسندرهيج ○

■ « إن القضية الملحة والأكثر خطورة هي نتائج التطرف الإسلامي الذي يسود الدول العربية ويؤثر على استقلالها ، وإذا خرج عن السيطرة فإنه سيضر بمصالح الدول الكبرىٰ أيضاً » .

(الكسندر هيج ـ وزير الخارجية الأمريكي السابق [١٧ فبراير «شباط» ١٩٨٣م])

ويرفض ملوكهم أن تبلغ رسالة الإسلام في أرضهم ..] ..

وبعيداً عن الانتصار العاطفي تناول المحاضر معركة اليرموك الحاسمة **(الخامس من رجب ١٥هـ)** التي انفتح على أثرها الشام ثم مصر والشمال الأفريقي حتى الأندلس :

[... **دخل الروم المعركة بثمانين ألف فارس وبمشاة لا يقل عددهم عن المائة والعشرين ألفاً اصطفوا في عشرين صفاً ، شغل مساحة طولها تسعة كيلومترات وعرضها يتراوح بين خمسين إلى مائة متراً**] .

وفي المقابل لم يكن عدد المسلمين يزيد عن ستة وثلاثين ألفاً فقط . [**ومع هذا المنظر المرعب فقد طابت نفوس المسلمين لقتال عدوهم**] ، فكلمات أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب** التي بعث بها إلى أميرهم **أبي عبيدة** رضي الله عنهما لا يزال صداها يتردد في القلوب فيزيدها تثبيتاً ..

[... **فلا تَهُولَنَّك كثرة ما جاء منهم فإن الله منهم بريء ومن بريء الله منه كان قمِناً ألَّا تنفعه كثرة وأن يَكِلَهُ الله إلى نفسه ويخذله . ولا توحشك قلة المسلمين فإن الله معك ، وليس قليلاً من كان الله معه .. وأما قولك إنه قد جاءهم ما لا قِبل لهم به ، فإلَّا يكن لكم بهم قبل فإن الله بهم قبلا**] .

ثم قرأ القراء **سورة الأنفال** على جند المسلمين وخرج **خالد بن الوليد** يحرض جنده ويحمسهم ويأمرهم بالصبر] ..

● الباحث أحمد عادل كمال ●

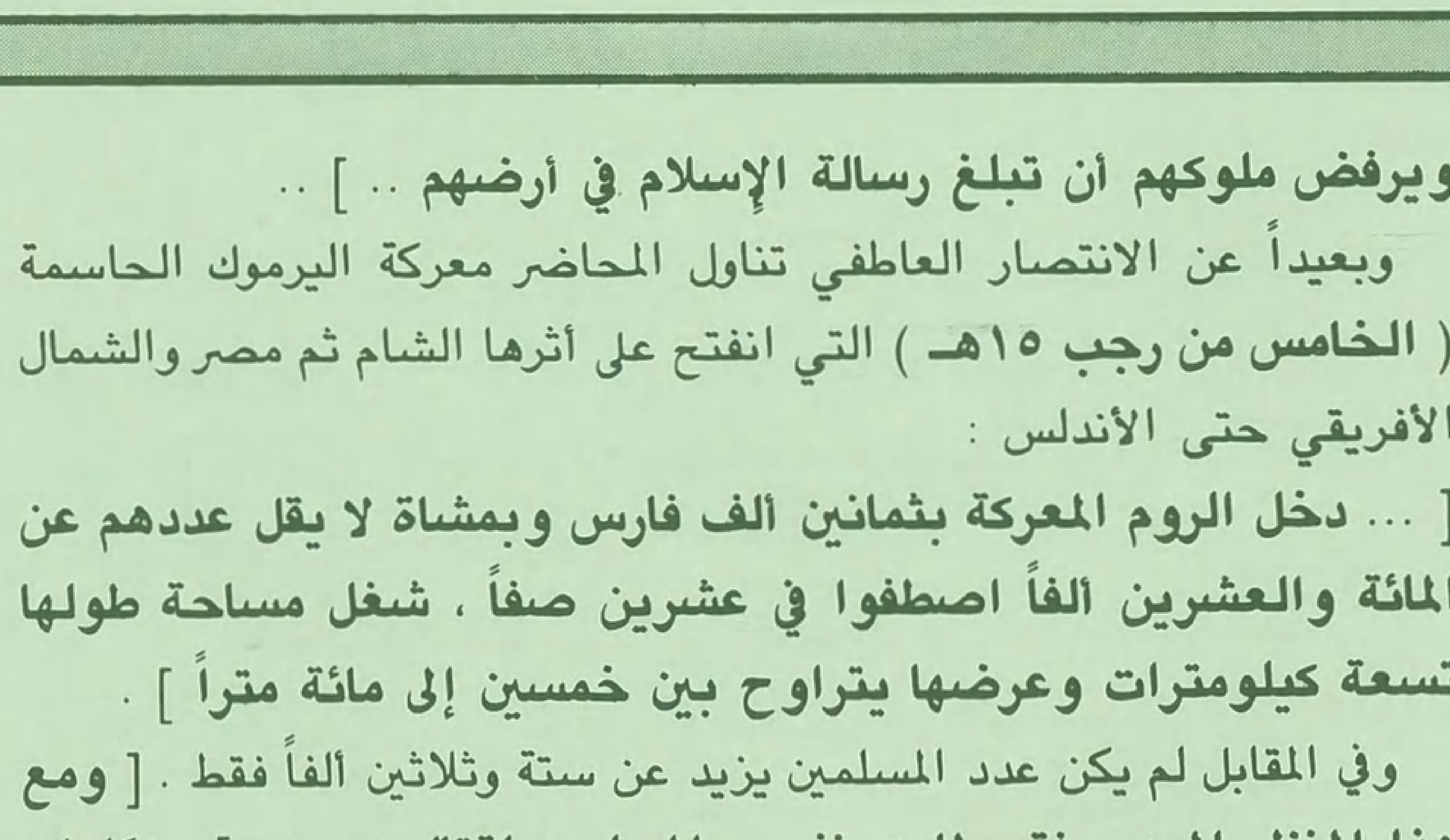

واشتعلت المعركة وحمي الوطيس .. وثبتت الفئة القليلة عدداً ، إلى أن أتم الله نصره وهزم الروم وقُتِّلوا وفر من بقي حياً ..

ولكن ، كيف هَزَمَ المسلمون ستة أضعافهم عدداً ؟!..

يجيب المحاضر على هذا السؤال فيقول :

[... إزاء هذا التفوق العددي الهائل للروم ، قدَّر خالد الموقف حقَّ قدره .. لقد كان في معاركه كلها هجومياً . ولكنه في هذا الموقف رأىٰ أن يبدأ بالدفاع أمام هجمة الروم حتى تتكسر صفوفهم ثم يبتدىء هجومه من بعد ، ولتحقيق ذلك طلب من جنده الصبر ولا شيء غير الصبر : (**إن الصبر عزٌ . وإن الفشل عجز . وإن مع الصبر تُنصرون**) .. واعتمدت خطته على القوات الاحتياطية إذ جعل جميع فرسانه قوة احتياط مع قوة صغيرة من المشاة] .

ويؤكد المحاضـر : [... أن ما فعله **خالد** كان تأصيلاً لقاعدة أساسية من قواعد علم الحرب في العصر الحديث .. وذلك إذا كان يمكن لهذا العلم أن يؤصل وتوضع له قواعد مستقاة من التجارب التي مرت وشواهد التاريخ] .

[كان **خالد** يدرك ـ بكل تأكيد ـ نوعية جنده ويثق بهم .. ولنا أن نتصور لو أن **خالداً** كان يقود جيشاً خلاف هذا الجيش ما كان استطاع أن يعتمد عليه في خطة مثل هذه ... كان جيشه يضم ألفاً من صحابة رسول الله ﷺ ، ومائة ممن شهدوا بدراً الكبرى ...] .

واختتم الأستاذ **أحمد عادل كمال** محاضرته بمقارنة متأنية بين ما تفتقت عنه عبقرية **خالد** من خطط عسكرية محكمة وبين ما وضعه كل من المحلل الحربي الألماني **كارل فون كلاوز فيتز** [القرن١٩] صاحب نظرية التفوق الدفاعي ، والمحلل الإنجليزي **ليدل هارت** [القرن العشرين] فقال :

[... **إذا درسنا خطة خالد يوم اليرموك نجده عمل بالنظرية التي ينسبونها إلى كلاوزفيتز في الشق الأول من المعركة ، بدءاً بالدفاع وانقلاباً إلى الهجوم .. ثم عمل ـ في الشق الثاني من المعركة ـ بالنظرية التي يقول بها ليدل هارت ، والقائمة على إحداث الصدمة في نفوس العدو**] !!

في عالم الاقتصاد

اليهـــود ... والأزمات الاقتصادية !!

■■ **يتوقع المراقبون أن يأتي اختراق اليهود للسوق المالية في لبنان عن طريق غير مباشر ، ليعبروا من خلاله إلى المؤسسات الاقتصادية والمالية ، على خطين :**

- مشاركتهم في مساهمات مالية تقوم بها الشركات متعددة الجنسية ، وهي ذات صفة عالمية ، حتى إن بعض المساهمين العرب شركاء في بعضها ، ويبدو أن مثل هذه الشركات ستكون لها حصة من الاستثمارات المرتقبة في مرحلة الإعمار .
- دخولهم في ميادين التجارة والصناعة والزراعة كمنافسين في السوق اللبنانية .

فبعد أن خرّبت القوات الإسرائيلية قسماً كبيراً من الأراضي الزراعية وعدداً من المصانع دخلت منتجات إسرائيل بأسعار إغراقية ونافست الإنتاج الزراعي والصناعي اللبناني ، كما عرقلت حركة الصادرات اللبنانية إلى الأسواق العربية التقليدية ، تارة لأسباب أمنية تتحكم بها القوات الإسرائيلية المرابطة على الطريق الدولية ، بيروت ـ دمشق ، وتارة أخرى لأسباب تعود إلى إجراءات اتخذتها بعض الدول العربية لمنع تسرب البضائع الإسرائيلية إلى أسواقها عبر لبنان ، ونتيجة لذلك تقدر المصادر الاقتصادية الأضرار التي لحقت بالقطاعين الزراعي والصناعي بما يتراوح بين ٥٠٪ و ٧٠٪ ، وأن استمرار هذه المنافسة من شأنه أن يقضي على البقية الباقية ..

وكان للقطاع التجاري نصيبه من أضرار الاختراق الإسرائيلي للاقتصاد اللبناني حيث يركِّز اليهود اهتمامهم على هذا القطاع نظراً لأهميته في مجال الخدمات وحركة الأموال والاعتمادات المصرفية ، فتقدم إسرائيل عدة إغراءات للتجار اللبنانيين للاستيراد عن طريقها أو شراء المنتجات المستوردة من مرافئها ، وتتمثل هذه الإغراءات في الانخفاض المحسوس في

الاقتصــاد الإسـلامي ...
أسـس ومفاهيم ..

■■ ناقشت ندوة « **الاقتصاد الإسلامي والتنمية** » التي نظمتها ، مؤخراً ، كلية الشريعة بالجامعة الأردنية ، ثلاثة أبحاث حول :

- الاقتصاد في الإسلام .
- التنمية والرفاه من منظور إسلامي .
- التنمية في ضـوء القيم القرآنية .

وقد عرض مقدم البحث الأول الدكتور **محمد سعيد رمضان البوطي** للخطوط العريضة والأسس التي يقوم عليها الاقتصاد الإسلامي وتتلخص في :

* تربية الإنسان بأن يمارس أسباب معاشه بدافع وظيفي لا بدافع من التعشق النفسي ، ويتجلى المعنى الاقتصادي في هذا الأساس في أن الإنسان لا يستطيع أن يستفيد من السلعة التي يتاجر بها إلّا إذا كان مالكاً لها مع قدر من الاستغناء عنها وعدم التعلق بها .
* تحديد معنى المال والمنافع بما يتفق والأساس الأول .
* الملكية الفردية حق فطري للإنسان لا يجوز استلابه ، مع حفظ حق المجتمع .
* تحديد الحد الفاصل بين طرفي الملكية الفردية والملكية العامة .
* تتلخص مصادر الملكية الخاصة في إحراز المباحات ، العقود ، الخلفية (**الإرث**) والتولد من المملوك .
* التصرف في المملوك حق شرعي للمالك إذا لم يتعسف في استعمال حقه .. ومن هنا يحجر على السفيه إذا أساء استخدام المال .

وحول « **التنمية والرفاه من منظور إسلامي** » يقول الدكتور عبد العزيز الخياط :

« ... إن التنمية لا تؤدي إلى تغيير في القيم إلّا في المجتمعات التي لا يضبطها ضابط من عقيدة أو قيم ثابتة . فالإسلام يرى أن التنمية الاقتصادية جزء من التنمية للمجتمع بأبعادها المختلفة ، ولا تقتصر على التنمية المادية فحسب .. » .

وأضـــاف قائلاً :

« ... **إن الإسلام الذي يمنع السرف والترف يمنع نقيضهما من كنز المال ، والشح ، والتقتير .. لأنه يريد للإنسان أن يستفيد من التنمية الاقتصادية ، وأن يحيا حياة كريمة ، وأن يستغل المال الذي اكتسبه** ... » .

وفي ختام بحثه أكَّد الدكتور **الخياط** على عدة أمور هامة :

فالإسلام حث على التنمية الاقتصادية والإنتاج بجميع الوسائل ، وفي جميع الحقول .. ووضع ضوابط للتنمية ، فحدد طرق الكسب المباحة وبيَّن طرق الكسب الحرام .. وأباح للإنسان أن يستفيد من آثار التنمية في الإنفاق لتلبية حاجاته الأساسية والتمتع بالطيبات ضمن ضوابط الإسلام في الاستهلاك المباح .. وجعل معنى الرفاهية لا يقتصر على المأكل والمشرب والملبس والمسكن ، بل يشمل جميع الحاجات التعليمية والصحية والأمنية وغيرها .. كما أن مستوى الإنفاق يكون حسب المستوى الاقتصادي وحسب التنمية ، وذلك يعني أنَّه يتغير من زمن لآخر .

أما البحث الثالث « **التنمية في ضوء القيم القرآنية** » ، فقد استعرض مقدمه الدكتور **إبراهيم زيد الكيلاني** ، مفهوم التنمية في الإسلام وعلاقة الزكاة بالتنمية مؤكداً أن هدف الزكاة ليس مادياً ، لسد الحاجة ، فحسب بل لإشاعة روح التعاون والمحبة بين أبناء المجتمع الواحد ، ولهذا أثره الكبير في التنمية .

كما استعرض أيضاً ، فلسفة الإسلام في المحافظة على منجزات التنمية والأهداف الإنسانية لها . وقال :

« ... **إن أكثر القيم الإسلامية تأثيراً في التنمية هي تلك القيم التي رفع الله بها من شأن العمل والعمال** ... » .

تكاليف النقل ، ومثال ذلك أن طائرات « **العال** » التي تعود من أوروبا عادة فارغة تنقل البضائع بسعر نصف دولار للطن الواحد مقابل دولار لنقل الطن من أوروبا لبيروت !

أما بالنسبة للنقل البحري فإن تكاليف نقل الحاوية (**الكونتينر**) يقل ألف دولار عن طريق شركة « **زيم** » الإسرائيلية .

ولعل القلق من تحرك رجال المال اليهود ينبع من قدرتهم في السيطرة الاقتصادية والمناورات المالية العالمية ، وأهمها سيطرتهم على الاقتصاد البريطاني وتأسيس « **بنك انجلترا** » عام ١٦٤٩م ، وعلى الاقتصاد الأمريكي وتأسيس « **بنك أمريكا** » عام ١٧٨٣م .

ومن المعروف أن رجال المال اليهود ساهموا في الأزمة الاقتصادية العالمية المعروفة ، أو « **كارثة ١٩٣٠م** » ، حيث بدأت بامتناع بيوت المال العالمية التي يسيطر عليها اليهود عن تمويل وسائط النقل وشركات النقل البحري الأمريكية والأوروبية ، بينما قدمت قروضاً ضخمة مغرية وتسهيلات مغرية إلى السفن الألمانية واليابانية والإيطالية مما أدى إلى انتعاش حركة السفن إليها ولا سيما سفن نقل الحبوب واللحوم المجمدة ، وفي مرحلة تالية امتنعت المصارف الكبرى عن تمويل تسويق الحبوب واللحوم المجمدة ، وتأمين مراحل إنتاجها المختلفة في أمريكا والغرب بصورة عامة حتى تكدست بكميات هائلة في الصوامع والمستودعات وارتفعت تكاليفها ، وفي الوقت نفسه طرحت « **القوى المالية** » كميات هائلة من اللحوم والحبوب في جميع أسواق العالم بأسعار مخفضة ، وبشكل مفتعل ، وكان مصدرها استراليا والأرجنتين والاتحاد السوفييتي ، ونتيجة لذلك وقعت الأزمة الاقتصادية الكبرى في أمريكا وأوروبا والعالم أجمع ، وتركزت بشكل مباشر على القطاع الزراعي والغذائي ، وحدث انهيار اقتصادي واجتماعي وتداعت القيمة المالية والأسهم والسندات ووثائق الملكية لقاء الرهونات والتأمينات والفوائد التي ترتبت للمصارف والمؤسسات المالية لدى استحقاق القروض التي قدمتها لتيسير الإنتاج الزراعي وعجز المزارعون والمنتجون عن الوفاء بها نتيجة للكساد ..

التعبير بالصورة

[الطفولة في الدول النامية !!!..]

أخبار قصيرة

●● فكرة إنشاء « **صندوق عالمي لنشر الدعوة الإسلامية** » طرحها للمناقشة المؤتمر الثاني للمصرف الإسلامي بالكويت الذي انعقد مؤخراً وأسفر عن تكوين لجنة تأسيسية لوضع النظام الأساسي للصندوق ..

○○ الحركة السرية اليهودية التي تشكلت للقيام بأعمال انتقامية ضد المواطنين العرب وممتلكاتهم في الأراضي المحتلة .. أعلنت مسؤوليتها عن زرع قنبلة موقوتة في مسجد بمدينة الخليل .. وتعتبر حركة « عصبة الدفاع » امتداداً للعصابات الصهيونية التي ساهمت في قيام إسرائيل على أرض فلسطين المسلمة ..

●● نتائج مشاريع « **التخطيط الشامل للثقافة العربية** » جرى بحثها في المؤتمر الرابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .. من التوصيات إقامة مؤسسة عربية للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ..

○○ في عشرة آلاف نسخة ، تم إنجاز الطبعة الثالثة من كتاب « عيسى نبي الإسلام » [Jesus A Prophet of Islam] الذي تنشره دار الرعاية الإسلامية بلندن .. الكتاب يقدم الدليل على بشرية ونبوة عيسى عليه السلام من الكتب المقدسة عند النصارى أنفسهم ..

●● نسبة الأمية في بلاد العالم الإسلامي ٩٠٪ ـ وتتراوح ما بين ٤٠٪ و ٨٠٪ في عدد كبير من دوله .. الاحصائية أوردها الدكتور عبدالفتاح جلال الخبير بمنظمة اليونسكو في محاضرة بجامعة محمد بن سعود الإسلامية بالرياض حول مشكلة الأمية في العالم الإسلامي ..

○○ أعدّت الهيئة العليا للوسائل السمعية والبصرية في باريس قائمة بالإذاعات الحرة التي حصلت على تراخيص بموجب القانون الجديد التي أصدرته الحكومة ، الذي يسمح ببث برامج خاصة إلى فئات معينة .. تضمنت القائمة أربعة لليهود وواحدة للدعارة (!)

●● أعداد كبيرة من الجنود الكوبيين لاقت حتفها خلال المعارك التي دارت مؤخراً بين المجاهدين وقوات الغزو الروسي في أفغانستان .. ومن المعروف كذلك أن وحدة من القوات الفيتنامية تتولى حراسة مطار كابول ..

ترشيد الإعلام الإسلامي ...

الدستور

■ **يواجه عالمنا الإسلامي تحديات كثيرة فكرية** وسياسية واقتصادية ، وتطرح في السوق الدولية عديد من الاتجاهات والأفكار يروجها اصحابها باستعمال شتى فنون الإغراء والدعاية التي برعت في إنتاجها حضارة العصر وتقنيات الاتصال بالغة التطور ، وفي مثل هذا الوضع يتطلب الأمر من امتنا الخروج من موقف الدفاع والاستكانة إلى موقف المبادرة لفرض النداء الحضاري الذي جاءت به رسالة الإسلام .

في هذه المعركة يمثل الإعلام الإسلامي سلاحاً فعالاً إذا وظفناه التوظيف السليم الذي يجعل منه اداة حافزة للهمم مفجرة للطاقات ، مقوية للعزائم ، داعية إلى الخير بكل معانيه ، نابذة للشر بشتى أشكاله ، يحصل ذلك عندما تنفذ البرامج الإعلامية الإسلامية المكتوبة والمسموعة والمرئية بفاعلية وجاذبية تضمن انصراف المجتمع الإسلامي بكل فئاته إلى العمل المبدع والجهد الخلاق والعمل الصالح .

إننا بحاجة إلى ترشيد حقيقي للإعلام بواسطة إقرار تعدد التعبير عن الآراء وتوفير مصادر الإعلام المتنوعة والمتعددة حرصاً على إضفاء المصداقية اللازمة على إعلامنا ، كما أننا بحاجة إلى استكشاف مدى نفاذ العملية الإعلامية ومدى تفاعل الجماهير معها .

إننا بحاجة أيضاً إلى تكامل كلي بين الإعلام السريع والدراسات والأبحاث الإعلامية العلمية .

وكذلك نحن بحاجة إلى الاهتمام بموضوع التخصص في عالم لم يعد يعترف بالعموميات ، إننا بحاجة إلى صحف متخصصة سياسية واقتصادية وعلمية واجتماعية ...

ومطلوب منا جميعاً السعي برؤية واقعية وجريئة لإعلام إسلامي يقوم على الصدق والوضوح لأن من شأن ذلك أن يجعلنا طرفاً أصيلاً في الحوار الدولي الجاري منذ سنوات من اجل إقرار نظام إعلامي جديد ، والنجاح في ذلك رهن بتحرك إسلامي منظم تؤاصر في ظله صفوف المسلمين وتتضافر طاقاتهم على مقدرات العصر التي ينبغي استيعابها ، كما أن النجاح رهن باحترام المسلمين لبعضهم والابتعاد عن كل ما يفرق ، وتوظيف كل ما يقرب ، بحيث تكون الذاتية الإسلامية هي المرجع والجامع بين المسلمين ، وتكون مصدر وفاقهم وتآزرهم .

بذلك تتجلى قوة الإسلام باعتباره رسالة سرمدية تمكننا من التعامل على قدم المساواة مع بقية العالم .

يجب أن تشكل تلك المعاني المحتوى الأساسي والمادة الجوهرية لإعلامنا الإسلامي ، ذلك أن واقع الإعلام وما يشهده من تقدم مذهل في الميدان التكنولوجي يشكل استفزازاً يمكن توظيفه لخدمة قضايانا .

ولعل الشرط الأول لبلوغ تلك الغاية هو صدقنا مع أنفسنا والتزامنا القاطع بأخلاقياتنا واعتزازنا بشخصيتنا وهويتنا الإسلامية ، واحتضان شبابنا احتضاناً يحميه من الانزلاق في متاهات التيارات المتناقضة مع عقيدتنا ويحصنه من جاذبية قوى الشر والتطرف .

من أجل ذلك يجب التقاء أكثر من جهة وهيئة من تلك التي تناط بها مسؤولية توجيه الشباب ، **وذلك من اجل وضع خطة إعلامية تحقق تلك الأهداف** ■

تشويه الغرب للصحوة الإسلامية

الشرق الأوسط

■ **يمكن القول ان الصحوة الإسلامية التي تعددت صورها ومظاهرها عبر العالم الإسلامي في السنوات القليلة الماضية قد حركت الغرب واثارت مخاوفه اكثر مما اثارت التفات المسلمين المعنيين بها** ، ربما لأن من يوجد ضمن دوامة الأحداث لا ينتبه عادة لدورانها ، وايضاً لأن الفكر الغربي الذي شنَّ طيلة قرون على الإسلام حرب التشويه والإبادة لم ينظر إلى الصحوة الإسلامية إلا من زاوية السلبيات فقط ، ليرسخ من جديد في التصورات والضمائر تهمة رجعية المسلمين وتخلفهم عن ركب الحضارة المعاصرة .

وكان لمواقف المسلمين انفسهم ضلعاً في تسهيل مهمة الغرب هذه ، فالصحوة الإسلامية التي اختلفت طرق التعبير عنها في العالم الإسلامي ظلت مفهوماً يكتنفه الغموض ، أوظلت مضامينها متناقضة في الأفواه والأقلام التي تتحدث عنها .

وقد اتاح ذلك للغرب أن يربط بينها وبين كل سلبيات الانغلاق والتحجر والعنف والكراهية والتعصب ... التي قد يكون تفجيرها في بعض المجتمعات راجعاً لرد فعل ، بعد كبت سنوات من قرون اضطهد فيها المسلمون من خصومهم .

لقد اختصر الإعلام الغربي الصحوة الإسلامية في مجرد حركة رفض وإنكار لواقع عالم اليوم وحضارته المادية دون تقديم بديل مناسب .

من أجل مواجهة هذا التشويه فإن على الفكر الإسلامي أن يقدم تحديداً أكثر دقة لمفهوم

ضـــــرورة اســـــتقرار أسعـــــار النفـــــط

The Guardian Weekly

■ هل يخدع الغربيون انفسهم في ابتهاجهم الشديد لانخفاض أسعار النفط وتدمير ما يسمى « **الكارتل** » النفطي (اوبك) ؟ .. من الصعب الآن معارضة هذا الإحساس العدواني . هناك إحساس عام في الولايات المتحدة بالذات بأن كل شيء من شأنه إيذاء الدول النفطية ، فهو جيد !! لماذا نقلق من جراء انخفاض أسعار النفط في الوقت الذي يجب أن نقلق فيه من جراء ارتفاعها ؟ ... ولكن الحقيقة أن هذا الإحساس تبسيط ضار للحقيقة ، لأن الدول النفطية ليست هي الوحيدة التي تتضرر من انخفاض أسعار النفط .. في العقد الماضي أصبح النفط العملة الرئيسة في العالم ، التي تعتمد عليها كل انواع العملات والمبادلات التجارية . وليس هناك ما يؤكد أن سعر النفط ، وقد انخفض ، سيبقى منخفضاً .

إن اخطر ما يمكن ان يحدث هو ان يؤدي انخفاض اسعار النفط إلى إفلاس عدد من الدول المنتجة مثل فنزويلا والمكسيك ونيجيريا ، ثم يعقب ذلك ارتفاع مفاجيء في الأسعار يؤدي إلى إفلاس عدد من الدول المستهلكة مثل البرازيل وكوريا الجنوبية والهند .

وهذا يعني ان عدم استقرار الأسعار هو اساس اللعنة النفطية من البداية . لقد كان هناك باستمرار إما تخمة نفطية او نقص في الإمدادات ، مما جعل هذه السلعة تحت سيطرة الاحتكارات التي تستطيع إيجاد حالة من التخمة أو النقص متى شاءت .

وقد كان « **جون روكفلر** » هو أول من وضع هذا المبدأ الرخيص عندما قال : **إن باستطاعته إغراق العالم بالنفط لتحطيم المنافسين ثم رفع اسعاره ثانية .** وليس هناك ما يدل على أن هذه القاعدة قد تغيرت . كما ليس هناك ما يدل على أن هناك مصدراً آخر للطاقة يستطيع أن يكون بديلاً كاملاً عن النفط . إن الاقتصاد العالمي يسبح الآن ، اكثر من أي وقت مضى ، على بحيرة من النفط !!

إن التخمة الحالية في اسواق النفط ناتجة عن ركود الاقتصاد العالمي ، واي انتعاش اقتصادي من شانه ان يقضي على هذه التخمة ويحولها إلى نقص .

من ناحية أخرى هناك عدد من الدول المتضررة من انخفاض الأسعار من شأنه تهديد كل أنواع استثماراتها سواء في مجال عمليات الاستكشاف أو تطوير الطاقة البديلة ، وجميع خطط التنمية والاستثمارات والمساعدات .

حتى الدول التي سيؤدي انخفاض أسعار النفط إلى تقليص فاتورتها النفطية ، مثل البرازيل ، سوف تتضرر من جراء تقليص استثماراتها في مجال تطوير الطاقة البديلة .

لذلك هناك حاجة لمحاولة جادة لاستقرار اسعار النفط بالتعاون بين الدول المنتجة والمستهلكة . لقد تحكمت الشركات النفطية الكبرى (خاصة ما يعرف بالشقيقات السبع) دوراً رئيساً في رفع وخفض اسعار النفط . وآن لهذا التحكم أن يتوقف . والفرصة مواتية الآن لإحداث استقرار في السوق النفطية قبل أن يرتفع السعر ثانية مع ازدياد الطلب . ومن الغباء أن يسمح الغرب لعدائه لأوبك أن يتحكم في تفكيره ويحجبه عن توقع فوضى ثانية مع ارتفاع متوقع للأسعار ■

[العدد ١٢/١٩٨٣م]

الصحوة الإسلامية التي انطلقت في شكل شعار مداعب للمطامح والآمال عند المسلمين ومخيف ومثير لخصومه واعدائه . **ولا يتاتى ذلك إلا بالمرور عبر الدراسات الإسلامية الهادفة التي تعتمد الأساليب الحديثة لشرح النصوص الإسلامية بوضعها في سياقها الاصلي ، واستخدام التفكير الاستنتاجي والاستقرائي لتعميق مضامينها الحافلة بالعطاء والدلالات .**

وهذا الجهد العلمي الذي يطلب من علمائنا ومفكرينا القيام به في أسرع الآجال سيكون أداة الحسم لتوقي سلبيات الصحوة الإسلامية ، بل واستبعادها لتتمحض الصحوة في الإيجابيات وحدها ، **بعيداً عن التشويه الذي رسمه الغرب بدافع الحقد والتشفي** ■

[العدد ١٥٤٨]

□□□□□□

نحو سياسة حكيمة للأمن الغذائي العربي ..

البيان

■ **الحديث عن الأمن الغذائي العربي لم يعد يقل اهمية عن القضايا السياسية الملحة التي يواجهها العالم العربي . هناك ازمة غذاء يعاني منها العالم العربي ، رغم ان امتداده الواسع يكفل تنوعاً خصباً في الإنتاج الزراعي والحيواني ، وهذه الازمة جزء من ازمة عالمية تواجه حتى العالم المتقدم .**

جوهر المشكلة الغذائية عموماً هو الفجوة القائمة بين إنتاج الغذاء وبين معدلات الطلب عليه في الحاضر والمستقبل ، وإذا نظرنا إلى هذه المشكلة في العالم العربي وجدنا انها تتركز في ان الحبوب الغذائية في كثير من هذه البلاد لا تكفي حاجات سكانها . وما ينطبق على الحبوب ينطبق على المواد الغذائية الأخرى . **والإنتاج العربي من هذه المواد يمكن ان يكون كافياً في عمومه إذا كان توزيعه عادلاً ، لكن المشكلة ان البناء الاقتصادي والاجتماعي في الوطن العربي ينطوي على نوع من عدم التوازن الناتج عن تعثر محاولات التكامل الاقتصادي العربي .**

لذلك لا يزال العالم العربي مستورداً للغذاء بشكل عام ، والحقيقة أن هناك مجالاً كبيراً للتفاؤل بصدد هذه القضية ، ولو تجاوزنا مشكلة القمح بالذات ، لوجدنا ان المشكلة تتركز في ترشيد التوزيع بشكل يسد الفراغ في بعض الاقطار .

مع ذلك ينبغي إدراك ان مستقبل الوضع الغذائي العربي يتوقف على طبيعة الطلب على الغذاء . وهذا الطلب يتأثر بنمو السكان والدخل وبمدى زيادة الإنتاج لمواكبة الطلب المتزايد ، لكن المعروف ان **علاقة الغذاء بالإنتاج الزراعي وثيقة . لذلك فالتساؤل هنا : إلى اي مدى يمكن تطوير زراعة المواد الغذائية في العالم العربي ؟ هناك رايان :**

- احدهما يقول إن المنطقة العربية قد استهلكت كل إمكاناتها كمصدر للحبوب .
- الثاني يرى أن تلك الامكانات يمكن تطويرها إذا توفر الماء بكميات مناسبة .

ويذهب بعضهم إلى انه بالإمكان مضاعفة الإنتاج الزراعي في مصر والعراق بالذات ، خلال اقل من عشرين عاماً .

المطلوب إذاً مجموعة من البرامج القائمة على أسس علمية لتطوير الزراعة العربية ضمن برامج أشمل للتكامل الاقتصادي العربي ، وفي إطار سياسة غذائية عربية موحدة تعنى بزيادة الإنتاج العربي بكل الوسائل مثل :

- **زيادة مساحة الاراضي المزروعة بالمواد الغذائية .**
- **زيادة مردود الارض عن طريق استخدام التكنولوجيا الزراعية .**
- **توفير الميـــاه .**
- **تطوير الإنتاج الغذائي المائي .**
- **تطوير المواد الغذائية الصناعية .**

من ناحية اخرى هناك ضرورة لإعادة النظر في دور الزراعة في نطاق عملية التنمية عموماً ، فالفكر التنموي العربي ، في العقود الماضية جعل الزراعة في مرتبة ثانوية بالنسبة للصناعة . ولا تزال الاستثمارات المخصصة لها أقل مما ينبغي .

هناك مسألة اخرى ينبغي الالتفات إليها ، وهي ترشيد سياسات التسويق والتسعير في العالم العربي ، هناك حاجة إلى تطوير نظم معلومات السوق . هناك علاقة قوية بين الامن الغذائي العربي وتجارة السلع الزراعية في البلاد العربية ، فاول ما تتسم به هذه التجارة ضآلة التعامل التجاري بين الدول العربية ، فمعظم صادرات المنطقة العربية من السلع الغذائية والزراعية تذهب إلى اسواق اجنبية ، وهذا يتطلب سياسة عربية عليا لتجارة السلع الزراعية .

هناك ضرورة أخرى لدعم مركز التفاوض للدول العربية في أسواق العالم بحيث تستطيع الصادرات العربية الزراعية تمويل واردات المواد الغذائية . ومن الوسائل التي تساعد على ذلك قيام الدول العربية بالشراء الجماعي للسلع الغذائية ، وخاصة القمح . وهذا الاسلوب يخفف أيضاً الضغوط الاقتصادية التي تتعرض لها تلك الدول ■

[العـدد ٩٠٩]

العـرب .. والإعلام الغربي

الاتحاد

■ **هناك جذور تاريخيـــة للاتجاهات التي تكونت لدى الغرب حيال العرب .** وتعود هذه الجذور إلى الحروب الصليبية حيث اعتبر الغرب العرب المسلمين اعداء لهم لطردهم إياهم من الأراضي المقدسة . كما اعتبر الإسلام مصدر تخلف للشرق . **وربط الغربيون بين الإسلام والتوحش والعنف ، واستمرت هذه الفكرة حتى عصر الاستعمار فصوروا الكفاح العربي من اجل التحرر والاستقلال على انه مواجهة بين النصرانية والإسلام . واخيراً جاء إنشاء الكيان الصهيوني ليعمق من مشاعر العداء الغربية تجاه العرب ، إذ ان هذا الكيان اوهم الغرب انه حارس مصالحه في المنطقة .**

ودخلت هذه التراكمات التاريخية في عملية التطبيع الاجتماعي والتنشئة لدى الطفل الأوروبي .

ومن الطريف ان صورة اليهودي قد تغيرت عند الغرب من جبان مراب قذر شرير كسول غير محارب إلى محارب نشط يزرع الصحراء ويحب السلام ، وقد نجحت الصهيونية في عملية التغيير تلك من خلال السيطرة على وسائل الإعلام الغربية .

من ناحية أخرى فإن اكبر خطأ إعلامي يقوم به العرب هو الظهور بمظهر المتوسل الضعيف . **والحقيقة ان العالم الغربي يحترم القوي حتى ولو كان ظالماً ويحتقر الضعيف حتى ولو كان محقاً .**

كذلك فإن وكالات الإعلام الغربية التي تقوم بعملية التغطية الإعلامية لا تبث الأخبار المطابقة للواقع . **ومعظم مراسلي هذه الوكالات من اليهود . وتعزو هذه الوكالات كل الأزمات العالمية ، خاصة الطاقة والتضخم إلى العرب ونفطهم .**

من ناحية أخرى فإن لدى الغربيين شعوراً بأن الفرد المخالف لهم سيء في كل شيء ، اما المشابه لهم فهو جيد في كل شيء . لذلك فهم لا ينظرون إلى الاختلافات الثقافية بيننا وبينهم نظرة إنسانية ، بل يأخذونها كدليل تخلف وينتقون من الحوادث والأخبار ما يدعم هذه النظرة .

على صعيد آخر فقد تأخر العرب في الاهتمام بالإعلام في الغرب اعتماداً على عدالة قضيتهم . وحتى عام ١٩٥٦م لم يبذلوا اي جهد إعلامي في الخارج .

وكانوا حتى تلك الفترة يعتقدون انه لا حاجة للدعاية لكون الغرب حليفهم ، وانحصر الجهد الإعلامي العربي في الجامعة العربية والسفارات العربية في الخارج ، **وهذه الجهود لم تنجح في ان تكون نداً للجهود الاعلامية الصهيونية** ■

[العـدد ٣٥٧٠]

من قضايا الأسرة

مجتمع الإباحية وصناعة البغاء

●● عندما ثار المجتمع الأوروبي على النظام الإقطاعي ، كانت ثورته ، في الواقع ، حرباً على ما كان ينطوي عليه ذلك النظام من إهدار لقيمة الإنسان وللوجود الإنساني .. إلا أن النظام الرأسمالي الذي جاء كرد فعل وبديل ، لم يكن أحسن حالاً ، لا سيما وأن نشأته كانت على أساس إطلاق العنان لنشاط الفرد ولحريته دون ضابط ودون اعتبار للمجتمع والأخلاق .. بل اعتبر جميع القيم الأخلاقية والإنسانية والاجتماعية ، لا معنى لها إذا أريد منها الحد من حركة رأس المال في كل المجالات .. ●●

وكان من الطبيعي أن يصاحب هذا النظام ، على المستوى الاجتماعي ، حالة من الانهيار والانحلال الخلقي ، وجد فيها أصحاب رؤوس الأموال فرصتهم لتحقيق أكبر قدر من الربح المادي .. فنشأت صناعات في مجال الأفلام الجنسية والصحف الصفراء والخمور والمخدرات والدعارة غزت أعماق المجتمع .. ليس المجتمع الأوروبي فحسب ، ولكن المجتمع الإنساني كله .. وفي وقتنا الراهن حيث تسيطر النزعة الإباحية ، أصبح (**البغاء**) بصفة خاصة ، صناعة وتجارة تمارس على المستوى الدولي ، وتستغل جسد الإنسان ومشاعره وعواطفه استغلالاً لم تعرف البشرية في تاريخها الطويل أبشع منه !!

ولم تعد النساء ـ البغي ، وحدهنَّ محور هذه التجارة في عصر الشذوذ الجنسي ، إذ أن السن التي تبدأ فيها مزاولة (**البغاء**) ، أخذت في الانخفاض .. وأصبح الأطفال أداة

مفاهيم أسرية !!

■■ [... من سقوط النفس ولؤمها ودناءتها أن يفرَّ الشاب القوي من تبعة الرجولة فلا يحمل ما حمل أبوه من واجبات الإنسانية ... ومن سقوط النفس أن يَغْتَرَّ الشاب فتاةً حتى إذا وافق غِرَّتَها مكر بها وتركها بعد أن يلبسها عارها الأبدي ... فسقوط النفس وانحطاطها هو وحده نكبة الزواج في أصلها وفروعها الكثيرة ... وأعظم أسباب هذا السقوط في رأيي هو ضعف التربية الدينية في الجنسين وخاصة الشبان ، ظناً من الناس أنَّ الدين شأن زائد على الحياة مع أنه هو لا غيره نظام هذه الحياة وقِوَامُها في كل ما يتصل منها بالنفس ..] ■■

مصطفى صادق الرافعي

« وحي القلم » الجزء الأول

كلمة

منهج جديد ... في الفكر النسائي الأوروبي

□□ تقود « إيفيت رودي » ، وزيرة شؤون المرأة الفرنسية ، في هذه الأيام حملة شعواء ضد الإباحية الإعلانية ، سواء على شاشة التلفاز أو في إعلانات المدينة .. وتطالب بأن يكون لجسد المرأة « حرمة خاصة » ، وأن تُستر الصور الخارجة بملصقات إعلانية أخرى ، وذلك كخطوة منها على طريق سن قانون يعاقب مخالفي تعليماتها في هذا المجال .

المراقبون الذين اعتبروا الحملة كأهم حدث على المستوى الاجتماعي في فرنسا ، أبدوا دهشتهم أمام مناصرة « اتحاد المرأة الفرنسي » والوجودية اليسارية « سيمون دو بوفوار » لحملة الوزيرة ، خاصة وأن « سيمون » اشتهرت بآرائها المتطرفة جداً في مجال « تحرر المرأة » وانطلاقها من طوق « الطرز والقيم الأنثوية المميزة » التي تعتبر ـ في رأيها ـ بمثابة « أسطورة اخترعها الرجل ليسجن المرأة في ظروف قهرية ومحدودة » !

وعلى كل ، فإن هذه « الحملة » تعبر عن منهج جديد في الفكر النسائي الأوروبي بشكل عام ، والفرنسي بشكل خاص ، انبثق عن اقتناع المرأة بأن مبادىء الثورة الفرنسية التي كانت تتحرك في إطارها ، قد استنفدت أغراضها وفقدت مدلولاتها .. فأصبحت « الحرية » لا تعني شيئاً أكثر من حرية الشهوة الغريزية على النحو ذاته الذي تميزت به « الوجودية » .. وقد تعدت آثار هذا المفهوم الحيواني للحرية ، نطاق الفرد إلى المجتمع ، وكانت سبباً في الوصول بالفرد والمجتمع وبنائه الحضاري إلى شفا جرفٍ هارٍ من الفوضى الأخلاقية والاجتماعية .

وقد تعبر أيضاً عن تباشير يقظة من غفلة دامت طويلاً .. إلّا أنها تبقى تخبطاً ما لم تجد من ينظمها ويوجهها ويضبطها ويرشدها إلى الطريق المستقيم . □□

جنسية جديدة تجد في كثير من البلاد الأوروبية والأمريكية منافذها الأوسع نطاقاً !!!

وفي تقرير حول « **قمع الاتجار بالأشخاص واستغلال بغاء الأشخاص** » قدمه في الأسابيع الأخيرة ، للأمم المتحدة ، بتكليف منها ، السفير الفرنسي السابق « **جان فرنان لوران** » ، يتضح أن [**عمر الفتيات البغايا في بعض أنحاء البرازيل يتراوح بين ١٢ و ١٤ سنة فقط ... وفي أمريكا اللاتينية ، فإن العاملين بالبغاء المستحسَنين أكثر من غيرهم ، ينبغي أن تتراوح أعمارهم بين ١٠ و ١٤ سنة !!.. أما في هونغ كونغ وبانكوك ، فتسلم فتيات صغيرات ما كدن يفطمن لتجار مقابل عشرات من الدولارات ليجدن أنفسهن ، بعد ذلك بقليل ، مسجونات مدى الحياة في إحدى بيوت الدعارة** !] .

ويشير ذلك إلى أن « **الشبكات السرية** » التي تعمل في مجال الاتجار بالأطفال لأغراض البغاء ، تستغل الفاقة التي تعانيها كثير من الأسر في البلاد الفقيرة ، الأمر الذي جعل [**بغاء القاصرات على مرّ السنين صناعة ، أصبحت تشكل مصدر رزق لعدد كبير من العائلات**] .

ويؤكد التقرير أن [**بغاء الطفل قد نظم في بعض البلدان الصناعية ، مؤخراً ، فظهر الأدب الإباحي الذي يشمل ألبومات الصور والأفلام وشرائط تسجيل الفيديو**] حيث [**يصور الأطفال أو تؤخذ لهم الأفلام في أوضاع فاحشة**] .. وتشير الإحصاءات إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية ـ وحدها ـ ينتشر بها ما لا يقل عن ٢٦٤ مجلة إباحية متخصصة في الأطفال !!

وقد وضعت منظمة الـ« **أنتربول** » الدولية ، تقريراً خاصاً بشأن الاتجار بالنساء ، حددت فيه شبكات دولية عديدة للبغاء ، تنقل ، في سرية شديدة ، من بلد إلى آخر [**ليس فقط النساء البالغات .. ولكن أيضاً فتيات لا يزلن دون سن الرشد**] .

ويستنتج التقرير أن هذه التجارة تتم عادة [**تحت غطاء وكالات الزيجات المزعومة أو عروض التوظيف في جولات العروض المسرحية**] .. ويضيف « **لوران** » : لذلك ، أن : [**ثمة أجهزة مخابرات وشركات رأسمالية تمارس هذه التجارة عندما تجلب تحت اسم مضيفات أو سكرتيرات ، نساء مدربات على هذا الشكل الخاص من بغاء البذخ لرشوة رجل دولة أو رجل أعمال أو لتعريض سمعته للخطر**] .

ولاعتبارات عديدة ، يرى «**لوران**» أن العقاب الذي تفرضه بعض الدول في هذا المجال ، « **قليل الفاعلية** » و « **غير كافٍ** » . ويعتقد بأن [شيئاً لن يتغير تغييراً دائماً في مجال البغاء ما لم يعتر العقليات الجماعية تغيير] ، من حيث نظرتها للمرأة البغي .. وينتهي القول بـ «**لوران**» إلى أن [**صورة المرأة ذاتها التي كثيراً ما تعتبر بضاعة جنسية مسخرة للرجل هي التي يجب تغييرها**] .

وأياً كانت رؤى «**لوران**» واستنتاجاته والمنهج الذي اتبعه في إجراء دراسته فإن التقرير الذي قدمه للأمم المتحدة ، يبقى ، وحده ، كافياً للدلالة العميقة على مدى البؤس الذي تعيشه ـ اليوم ـ شريحة كبيرة من المجتمع الإنساني ، تحررت من كل قيد خلقي أو ضابط ديني .. كما يؤكد حقيقة عجز النظم الاجتماعية الوضعية عن حل المشكلات التي تنشأ في إطارها ، ووفقاً لفلسفتها ، بل وعجزها تماماً عن قيادة البشرية وإمدادها بأهداف تعيش من أجلها ومبادىء وأفكار تقود خطاها في مصاعد الحياة ..

ومن هنا تبرز عظمة الإسلام ونعمته ونقاؤه وطهارته .. ويوماً إثر يوم ، ومن خلال ما آلت إليه المجتمعات الإباحية من اضطرابات وفوضى ومجانبة للفطرة السليمة ،

نزداد يقيناً وتمسكاً وإصراراً بأن النظام الإسلامي بما ينطوي عليه من مبادىء وإجراءات وقائية تستهدف الحفاظ على « إنسانية » الإنسان وتطهير المشاعر والمجتمع والحياة كلها من أسباب السقوط والانحراف ،

هو الملاذ وهو المنقذ ، ولكن ، فقط إذا حكّمته البشرية ورضيت بالعيش تحت ظله ..

الإنجاب ضروري لحيوية المرأة !

■■ قال الدكتور الروسي « **فيكتور بوجو مولتز** » في كتابه « **عش شاباً طول حياتك** » :

[... **من الواضح أن إنجاب الأطفال شيء مهم جداً في حياة المرأة من كل ناحية .. ولم يقرر أحدٌ من المختصين أن تعب البنية من كثرة الأولاد ، قاضٍ عليها .. بل من المؤكد أن الحمل والولادة عامل حيوي جداً في نشاط بنية المرأة .. ولست أميل إلى القول بأن المرأة تتعرض لتقصير حياتها بإفراطها في إنجاب الذرية .. فكلنا نعرف نساءً أنجبن كثرة من الأولاد وعُمِّرن طويلاً ..**] . ■■

من القارىء : فكري الكفافي ـ المنزلة ـ مصر

رســالة من قارىء . . .

■■ **يقول الأخ محمد طلبة محمود الحفني ، من القاهرة في رسالة بعث بها إلى باب « الأسرة المسلمة » :**

[... رحم الله شاعراً دافع عن الحجاب .. والشاعر هو أحمد محرم ، عاش في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، انبرى للدفاع عن قضية الحجاب في الوقت الذي ظهرت فيه دعوى قاسم أمين إلى « **تحرير المرأة** » وإلى « **السفور** » . ومن الأبيات التي أثّرت في نفسي ، وأحببت أن أذكرها للإخوة القراء بهذه المناسبة :

اقيمي وراء الخدر فالمرء واهم ... أغرّك يا أسماء ما ظن قاسم
سوى ما جنت تلك الرؤى والمزاعم ... تضيقين ذرعاً بالحجاب وما به

... ثم يعقب الشاعر محرم ، على ذلك موضحاً عاقبة التخلي عن الحجاب والانقياد خلف دعاوى السفور والتحلل .. فيقول :

سلام على الإسلام في الشرق كله ... إذا ما استبيحت في الخدور الكرائم

مسابقة العدد الثالث والثلاثين
السنة الثالثة

١ - قاموس المسابقة :

كلمات من القرآن الكريم ، هل تعرف المعنى الصحيح لها من بين المعاني الواردة أمام كل كلمة ؟

اذكر المعنى الصحيح ، ونص الآية التي وردت فيها :

● **صَافَّاتٍ** :
- باسطة أجنحتها
- محلقات
- متراصات

● **لِينَة** :
- ثمرة
- نخلة
- سحابة

● **سَائِحَات** :
- صادقات
- منتشرات
- صائمات

● **الأيَامىٰ** :
- من لا أزواج لهم من الرجال والنساء.
- من لا أزواج لهم من الرجال .
- من لا أزواج لهن من النساء .

● **تُخْبِرُونَ** :
- تُعلنون
- تُسرُّون
- تُعْرفون

٢ - كم غزوة غزا النبي ﷺ ؟
وكم عدد الغزوات التي قاتل فيها ؟

٣ - من هو :
- ● من صحابة رسول الله ﷺ الذين عُرفوا بالزهد .
- ● أسلم قبيل فتح خيبر ، فشهدها .
- ● بعثه أبو بكر رضي الله عنه على سبعمائة إلى الشام للحاق بيزيد بن أبي سفيان ، وشهد معه عربة وداثنة .
- ● في أجنادين ولّاه خالد ميسرة الجيش ..
- ● كان على رأس ألف رجل أرسلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي عبيدة يوم اليرموك ..
- ● ولّاه أمير المؤمنين عمر إمرة « **حمص** » بعد عزل معاوية عنها .
- ● كان يعاون ويساعد رعيته فأحبوه .. وبقي على ذلك إلى أن توفاه الله في السنة العشرين للهجرة .

٤ - من القائل ؟ وما المناسبة ؟

كم يستغيث بنا المستضعفون وهم قتلى واسرى فما يهتز إنسان
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم وانتمُ يا عباد الله إخوان

٥ - مؤلف وكتاب ... [المؤلف] :
- ● ولد سنة [٥١٠هـ] وقيل [٥٠٨هـ] وتوفي سنة [٥٩٧هـ] .
- ● اشتهر بالحديث ، ولقبه فيه بالحافظ ، وصنَّف فيه الكثير .
- ● قال عنه الذهبي : « **ما علمت أن أحداً من العلماء صنَّف ما صنَّف هذا الرجل** » .
- ● اشتهر بالوعظ أيضاً وتبحر في غير ذلك من العلوم والمعارف .
- ● من أشهر كتبه : « المنتظم في تاريخ الأمم » و « تذكرة الأديب » في اللغة .
- ● كان مجلسه يُقدّر في بعض الأحيان بمائة ألف .. ومن بين الحضور كان الخليفة المستضيء .

[الكتاب] :
- ● يتضمن عرضاً لسيرة الرسول ﷺ من بدايتها إلى نهايتها .
- ● يعتمد منهج الكتاب على حذف الأسانيد من الأخبار رغبة في الإيجاز .. كما اقتصر على أشهر الروايات .
- ● حققه مصطفى عبدالواحد ، ونشر لأول مرة اعتماداً على مخطوطتين كانتا بالأزهر والمكتبة التيمورية .

٦ - للسلحفاة فكّان ينتهيان بمنقار قرني لقطع وتمزيق الطعام .. كم عدد الأسنان في كل فك ؟

٧ - ايهما يجذب الأرض بقوة أكبر .. الشمسُ ام القمرُ ؟

مسابقة الأمة

الجوائز

الجائزة الأولى
خمسمائة ريال قطري.

الجائزة الثانية
ثلاثمائة ريال قطري.

الجائزة الثالثة
مائتا ريال قطري.

سبع جوائز أخرى : اشتراك مجاني بالمجلة لمدة سنة ، للفائز الرابع حتى العاشر

* حل المسابقة وأسماء الفائزين على الصفحة المقابلة

● ترسل الإجابات إلى ص. ب ٨٩٣ الدوحة - قطر
ويكتب على الغلاف : مسابقة الأمة

الاسم : ....

المهنة : ....

العنوان : ....

....

مسابقة الأمة
السنة الثالثة
٣٣

حل مسابقة العدد الحادي والثلاثين

١ ـ المعنى الصحيح ونص الآيـــة ...

○ دسَّاها : أفسدها بالفجور والمعاصي .

﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (الشمس : ١٠)

○ خَمْط : كل شجر ذي شوك ـ وقيل : شجر الأراك .

﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ (سبأ : ١٦)

○ وَقَبَ : دخل .

﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ (العلق : ٣)

○ بُسَّت : فُتَّت .

﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴾ (الواقعة : ٥)

○ الصَّدَفَيْنِ : ناحيتا الجبل .

﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ (الكهف : ٩٦)

٢ ـ في صفر من سنة إحدى عشر للهجرة ..
أسامة بن زيد .

٣ ـ أبو العاص بن الربيع .

٤ ـ أبو العتاهية .. من قصيدة له في رثاء صديقه علي بن ثابت .

٥ ـ [المؤلف] أحمد بن داود « أبو حنيفة » الدينوري .
[الكتاب] : (كتاب النبات) .

٦ ـ كوكب عطارد ، ويبعد عن الشمس حوالي ١٦ مليون ميل .

٧ ـ الكتاب .

أسماء الفائزين في مسابقة العدد الحادي والثلاثين

الفائز الأول :
● السليماني عبد الغني محمد
المملكة المغربية

الفائز الثاني :
● موسى أحمد المصطفى زيدان
السودان

الفائز الثالث :
● شفيق أحمد ذكرالله الأثري
الهند

الفائز الرابع :
● نورالدين بن أحمد بن ناصر
الجمهورية التونسية

الفائز الخامس :
● أيمن محمد عبدالرحمن قنديل
الأردن

الفائز السادس :
● شوقي أحمد السيد
جمهورية مصر العربية

الفائز السابع :
● بثينة إبراهيم عبدالله
الجمهورية العربية اليمنية

الفائز الثامن :
● لولوة حسن القوني
دولة البحرين

الفائز التاسع :
● بو كرمة بو خميس
الجمهورية الجزائرية

الفائز العاشر :
● غالب أحمد مصري
المملكة العربية السعودية

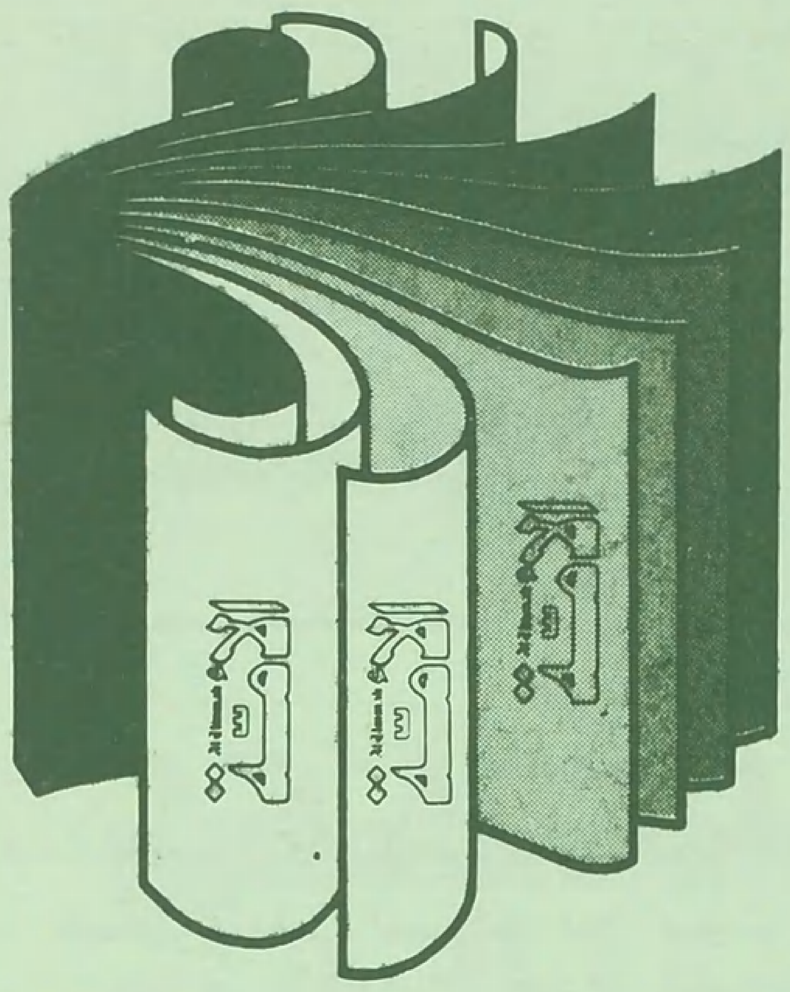

الأمة
اقرأ في الأعداد القادمة

□ المنهج ... وفلسفة المجتمع المسلم التربوية
الدكتور عباس محجوب

□ شخصية المنافق في القرآن الكريم
الدكتور أحمد عبد الحميد غراب

□ ابن تيمية ... وموقفه البطولي في معركة المسلمين ضد التتار
سعد صادق محمد

□ قضية للمناقشة
المحاماة في الشريعة الإسلامية
الدكتور خادم حسين إلهي بخش

□ كتاب في مقال
الحروب العربية الإسرائيلية
عرض وتقديم عارف عطاري

□ (استطلاع) :
في الهند ... الدعوة الإسلامية .. العطاء ومواجهة التحديات

□ الواقع التربوي ووسيلة التغيير
حوار مع الدكتور إسحاق الفرحان

خواطر.. وأفكار

على هامش الصحوة الإسلامية :
المسلمون وممارسة وسائل النهوض

□□ غير خافٍ ما آل إليه أمر الأمة الإسلامية ، من ضعف وتدهور وانكسار ، حط من شأنها ، وهز من شخصيتها ، وذوّب من تماسكها : فتداعت عليها الأمم حتى أصبحت القصعة التي حدَّث عنها الرسول عليه الصلاة والسلام ..

فنحن نعاني التخلف بكل مستوياته ، وعلى مختلف أصعدته الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والثقافية والعلمية ... وأرانا قد أدْمنّا هذا التخلف ، واستمرأناه وركنا إليه ، ما عاد يحفزنا على تجاوزه وتخطيه إلا الإباء والعزة والأنفة ، وغيرها من الصفات المستمدة من روح الإسلام ،التي ما فتئنا نتفاخر بها ونتشدق : فننشىء الكلام الكثير ، والمدح الكاذب ، والتزلف المستكره ، والافتخار المنتفخ ، في وقت لا يتسع لهذه المهاترات ، وفي عالم سريع النبض ، متسع الخطو ، يسير العلم والعقل فيه حثيثاً لاستحداث الوسائل وتسخيرها لضمان سيطرته على أمورنا ، وإحكام قبضته على رقابنا .

وإزاء ذلك لابد لنا من وقفة ، نحاسب بها أنفسنا : فنعترف صراحة بأدوائنا ، ونضع أيدينا على جراحنا : فنوقف أحلامنا السرابية ، ونعيش حاضرنا ، ونغربل مفهوماتنا ، ونقرأ إسلامنا قراءة صحيحة ولا نكتفي بمجرد القراءة عنه ... قبل أن تذوب شخصيتنا ، وتمحا هويتنا ، ونصبح أثراً بعد عين .

ولا سبيل للنهوض من هذا السبات ، إلا بامتلاك وسائله الجديدة المتجددة ، وإبقائها مشحوذة في أيدينا ، باستعمالها وممارستها ممارسة فعلية .

ولئن تبدو في الأفق مقدمات هذا النهوض ، والمتمثلة في الصحوة الإسلامية التي بدأت بواكيرها تظللنا فمن الخير استقبالها بالعمل ، وترشيدها ، وتوجيهها ، وتطويعها بجعلها واقعاً ممارساً ، نحياه في جوانبه كلها .. فدين الإسلام شامل متكامل ، وفي الوقت نفسه نحاذر من تبديدها وإحراقها في مشاعر مشبوبة ، وعواطف فائرة ، وحماسيات موقوتة ، وخطب رنَّانة مجلجلة .

إننا مطالبون حقاً بإبراز الأنموذج الإسلامي ، في كل جوانب الحياة ، ووضعه أمام الناس للاحتذاء به ، والسير على هديه ، نحن نحتاج إلى إيجاد البدائل الإسلامية لمستجدات حياتنا ، وإلى الحل الجذري ، والعلاج الشامل لعللنا وأمراضنا ، والوقوف بشجاعة أمام مشكلاتنا ، وليس مجرد الاكتفاء بتوجيه النقد المقصِّر لها ، أو الانفعال الطائش إزاءها : ولأمر ما جاء حديث الرسول ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » بلفظ التغيير ، وليس الوقوف السلبي منه عند الذم أو إبطال الزعم ... ولن يتأتى هذا إلا بعمل إسلامي متعاون ، وبدفعة واحدة ونفَس واحد ، ولا أعني بداهة الموقف الارتجالي المتسرع أو الاندفاع الطائش المتهور ، ولكن المطلوب هو خطوة واعية ، مدروسة ، متبصرة ، فما أهملناه من أمر ديننا ليس بالهين ، وما ألقيناه في الطريق القويم من أشواك ومعوقات ـ فضلاً عما وضع لنا ـ يحتاج منا إيماناً راسخاً ، وجهداً جباراً صادقاً لإزالته ، والتخلص منه . وإذا طوَّفنا سريعاً ببعض الجوانب في حياتنا المعاصرة ، ألفينا عِظَم المسؤولية الملقاة على عاتقنا بالعمل على تنقيتها ، وتغيير فاسدها .

فهناك في الجانب الاقتصادي ، ما زالت الأمة الإسلامية تئن تحت وطأة الربا في معاملاتها المالية بالبنوك ، وتتخبط بين أنظمة التأمين المحرمة ، والشركات المساهمة ... ولعل المطلوب الفوري للإنقاذ هو إحلال البدائل الإسلامية لهذا التعامل بإحياء المصارف الإسلامية النظيفة ، وإقام الشركات الإسلامية التي افتقدناها ، أين شركات المضاربة ، والوجوه ، والعنان ...؟ وأين القروض الحسنة ، والصدقات ، و ... إلخ . وباختصار نقول : إن عودة النظام الاقتصادي الإسلامي ، كفيلة بإنقاذنا مما نعانيه ، فنحن فقراء رغم ثروتنا ومصادر غنانا .

أمَّا الناحية العلمية ، وهي قوام الحياة المعاصرة ، فحدِّث ولا حرج ! لقد أصبحنا في ذيل القافلة بعد أن كنَّا نمسك زمامها : وأصبحنا مضرباً لأمثال الهزال والخمول والخور ، ووقفنا قبالة ما يفد علينا من أدوات ومخترعات مشدوهين ، واكتفينا بالقول : إن في القرآن الكريم ما يخبر عنها ، وما يسبق إليها : أو ردَدنا : إن هؤلاء القوم مدينون لأجدادنا بما وصلوا إليه . وغير ذلك من العبارات التي تنم عن قلة الحيلة ، وضعف الهمة ، والعجيب أننا نعي ذلك ونعرفه ، وغيرنا ينتقصنا ويُعيبنا فيه !

ولم يتوقف الجزر عند هذا ، ولكن نُكبنا بالهزائم العسكرية التي أضاعت الأوطان والمقدسات ، وذهبت بالأموال والأرواح . وما كل ذلك إلا لفرقتنا التي أذهبت ريحنا ، ولاستبدالنا بالجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته شعارات ضيقة مستوردة ، ولتوجيه السلاح إلى صدور بعضنا بعضاً ، حتى علم أعداؤنا من أين تؤكل الكتف ، فاجتهدوا في إلهائنا ، وتدبير المكائد لنا ، وإيهامنا بالمساعي الهادئة الراقية ، بينما هم يسرحون ويمرحون بين أظهرنا ، ونحن لا نكاد نخرج من ورطة حتى نقع في أخرى جاهزة منتظرة .

وليست الناحية الثقافية بأحسن حالاً من غيرها ، إنها فينا أشلاء مستوردة من هنا وهناك ، ومناهج مغلوطة ، ووسائل قاصرة كليلة ، فليس هذا الأدب هو معبر حالنا ، وليست هذه المناهج الوافدة لنقده تنبع من جوهر ديننا ، وما سر هذا الهجوم على اللغة العربية ورميها زوراً بهذي النعوت والاتهامات ؟ وإلى متى هذه المناهج في علوم الاجتماع والنفس والتربية ؟ هذا في الداخل ، أما في الخارج فيبدو التقصير في تعريف غيرنا بالحضارة الإسلامية ، فهم لا يزالون يعتقدون أننا أقوام تعيش في الصحراء ليس غير ، وهم يعتقدون أيضاً في ديننا كلاماً مغلوطاً ، فما صنعنا نحن إزاء ذلك ؟!! وهناك في الجانب المقابل ، ناس يتحرقون شوقاً للإسلام ولغته ، فهلا عملنا لهم شيئاً ؟! ولن أطيل في عرض الحال ، فهو بيِّن مرير يذكِّرنا بالمسؤولية ، ويستصرخنا للعمل على تغييره وإنقاذه بالوسائل الفعَّالة ، لاستئناف الحياة الإسلامية ، وتوثيق الصلات بين « الإسلام » و « المسلمين » ، فغيرنا من الأمم يحكم علينا بتصرفاتنا وسلوكنا ، ويظنون ذلك نابعاً من جوهر عقيدتنا وحضارتنا .. نريد أن نكون صورة صادقة لهذا الدين حتى نكون المثال في تصرفنا واعتقادنا وخير وسيلة لذلك ، هي الأخذ بأسباب التقدم بقوة ، ومواجهة العصر بروحه وبوسائله ، وعدم الالتهاء بالدفاع عن النفس ضد افتراضات وهمية ... وذلك على هدي من الإسلام الذي يدعونا إلى كل ذلك . □□

عيسى أمين صبري

صدر:

كتاب الأمة ٤

حول إعادة تشكيل العقل المسلم

الدكتور عماد الدين خليل

□ إن التأكيد على ضرورة إعادة تشكيل العقل المسلم لا يعني أبداً التقليل من شأن العوامل الأخرى، لاسيما وأن التجربة الإسلامية تتعامل مع الإنسان وحدة متوحدة، ونسيجاً متشابك الخيوط، وتتأبى على التفكيك والتمزيق والانتقاء ...

□ ليس ثمة ما يقف في طريق امتلاك ناحية التغيير الذاتي، كالرؤية التجزيئية أو الموقف النصفي ... لقد فهم كثير من المسلمين عملية التغيير فهماً خاطئاً، وتصوروها مجرد تجديد للتوثب الروحي فقط، أو إعادة التزام بحشد من القيم الخلقية أو السلوكية التي دعا إليها الإسلام ..

□ شئنا أم أبينا فنحن مسؤولون عن هزائمنا العقيدية، وانحطاطنا السياسي، وتخلفنا الحضاري ... ومرفوضة كل محاولة تسعى إلى اتخاذ ممارسات الأمم والجماعات الأخرى مشجباً لتعليق هذه الهزائم وتبريرها ... ولن ينقذنا إلا فعلنا الخاص، ولن يعيدنا إلى موقعنا المتقدم إلا تحملنا الكامل لمسؤوليتنا ..

■■ « ما الذي أصاب « العقل المسلم » فصدَّه عن المضيّ في الدرب إلى غايته؟ كيف ضربه العقم، بعد ذلك التوهج والإبداع اللذين أشعلت فتيلهما كلمات الله وتعاليم رسوله صلى الله عليه وسلم؟

ما هو طريق الخلاص؟ وكيف يستعيد هذا العقل (المأزوم) ثقته بنفسه فيحقق حضوره التاريخي بعد غياب القرون الطوال؟ ما الذي أراد الإسلام أن يقوله وهو يعيد تشكيل العقل العربي، ويدفع به إلى العالم طاقة حركية فذة، وقدرة متميزة على الابتكار والعطاء؟

وهل يتسنىٰ للإيمان أن يقف في المعركة وحيداً أعزل؟

ما هي النقلات الكبيرة التي حققها هذا الدين فشكَّل بها العقل الجديد؟

وما هي القدرات التي منحها الإيمان للإنسان المسلم فمكَّنه من ملاحقة هذه النقلات والتحقق بها؟

وما هو حجم الدور الذي أدَّاه هذا العقل المؤمن على مستوىٰ الأفكار والحضارات؟

بأية صيغة صُمِّم الهيكل الحضاري للرؤية الإسلامية .. وما هي ملامح وسمات المعطيات التي تمخضت عنه؟

كيف يعثر المسلمون الضائعون اليوم على مفاتيح الخلاص .. وكيف يقوم المجتمع (التكنولوجي) الإسلامي المرتجىٰ؟ وكيف تكون الاستجابة التي ستبعث العملاق؟

أسئلة كثيرة تدور في عقول المسلمين صباح مساء ... يسعى هذا الكتاب إلى الإجابة عنها قدر المستطاع ... » ■■

[من مقدمة الكتاب]

يطلب من وكلاء توزيع الأمة في العالم

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدى وَالْفُرْقَانِ ... ﴾

إنها البينات التي لا بد من الاستمرار على الصلة بها حتى تتضح الرؤية وتستبين المعالم فلا تضل بنا الطريق ولا تزلّ بنا القدم ، وتتحقق فينا ملكة الفرقان وهي أهلية يختص بها المسلم الملتزم دون سواه .. إنها النظر بنور الله والسير على هدي رسول الله ﷺ .. ولا يتحصل ذلك من خلال نظرة فلسفية باردة لتعاليم الإسلام تعوزها حرارة العقيدة وحركية الدعوة والعمل الإسلامي ..